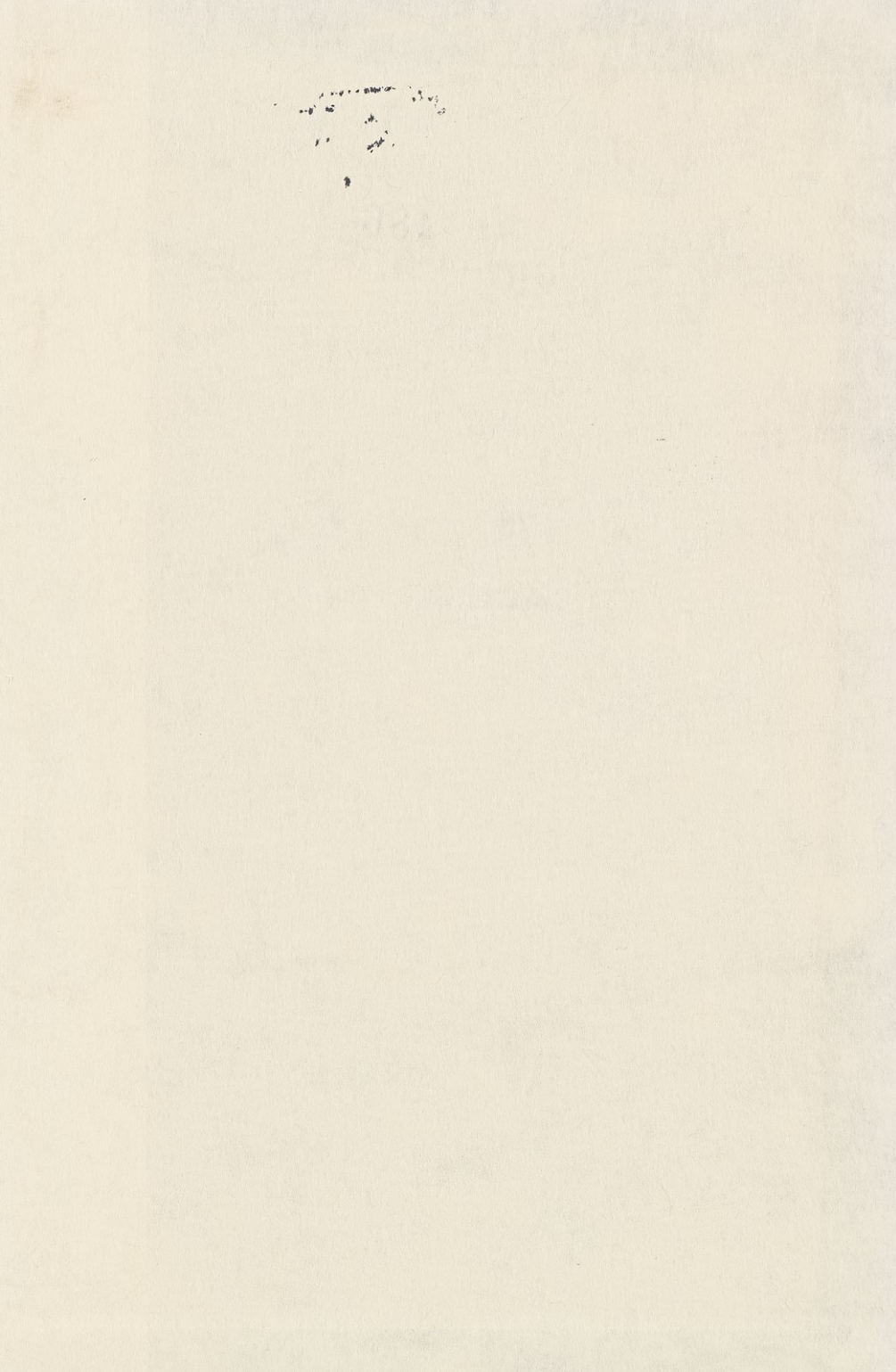


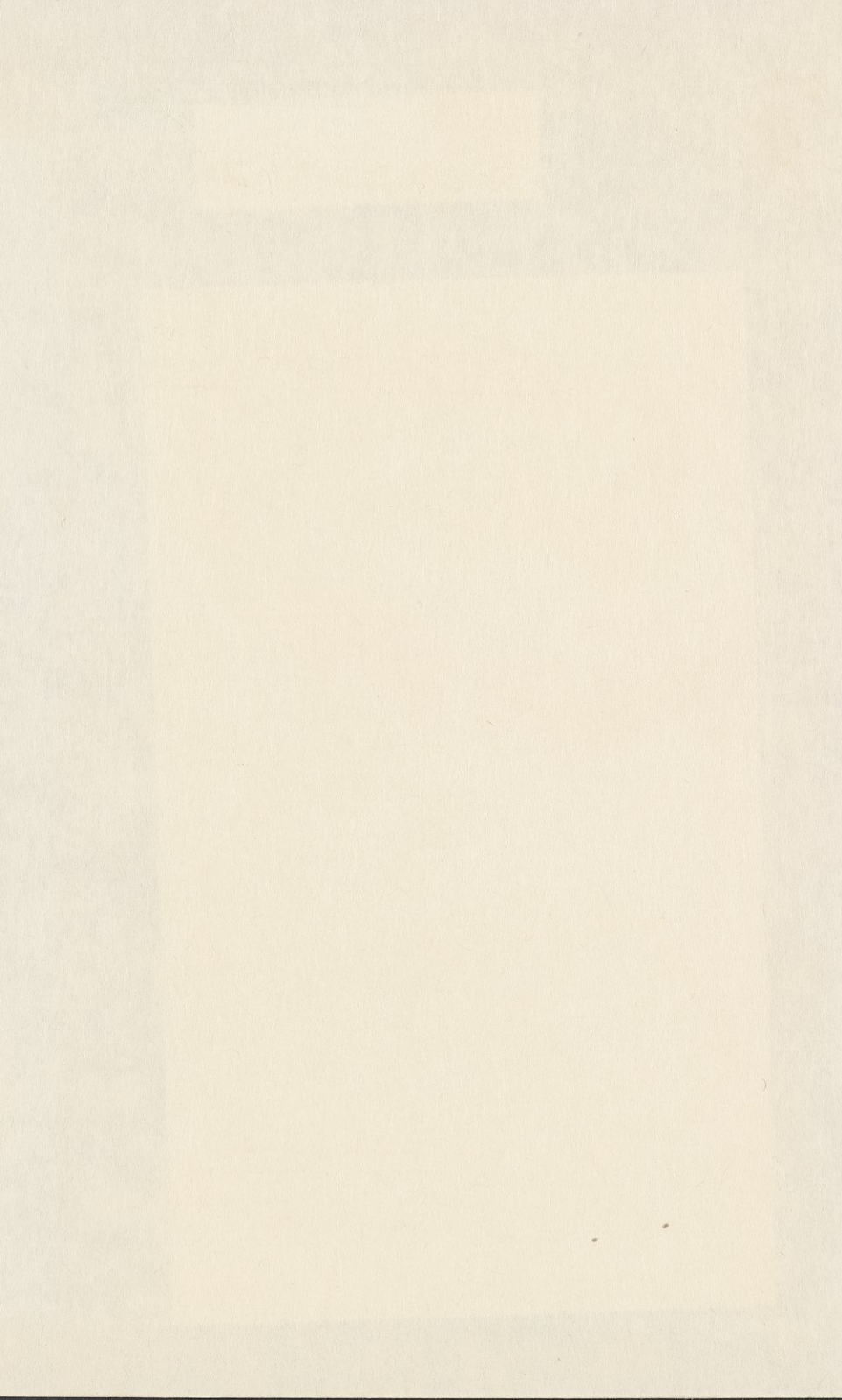




PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

DUE JUN 15 1999



كتاب
Khatib

مجلة التمدن الاسلامي

تقدم

نظرة العجلاان

في اغراض القرآن

مناسبات آياته ووحدة الموضوع في سوره

﴿ بقلم ﴾

ابن شبيب سيلون
الحاجي
الحاجي

مدير مجلة التمدن الاسلامي

يقدم هدية لمشتركي السنة ١١ من المجلة

المطبعة العصرية - دمشق

من النسخة ♦ ♦ غ.س



32101 016551762

(Arab)

BP130

.4

. \$42

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين *
 اياك نعبد و اياك نستعين * اهـ نأ الصراط المستقيم * صراط الذين
 انعمت عليهم * غير المغضوب عليهم * ولا الضالين .

ص	س	الخطأ	الصواب	ص	س	الخطأ	الصواب
١٢	١٣	يردوكم	يردونكم	١٩	٤٧	الحاكمين	الحاكمين
١٣	١٤	ما انزلنا	ما انزل الله	١٧	٤٩	وهم لا يبخسون	وهم فيها لا يبخسون
١٥	١٥	الدنيا حسنة	الدنيا	٩	٥١	نقول	نقول وانا لفرak فيها
١١	١٦	المؤساء	البأساء			ضعيفا	
٣	١٨	ذلك	ولكم	٢	٥٣	ان	انه
١٦	٢٠	والمساكين	والمساكين والجارذي	١١	٥٥	ولوا تبعث	ولئن اتبعث
		وابن السميل	القربي والجار الجنب	٧	٥٨	ليجزى	ليجزى الله
			والصاحب بالجنب	١٤	٥٩	وان الله غفور	نبيء عبادي اني انا
			وابن السميل			رحيم	الغفور الرحيم
١٢	٤٤	قد ضلوا كثيراً	قد ضلوا من قبل واضلوا	٩	٦٦	كانوا	كانوا
		واضلوا	كثيرا	٦	٦٨	بيوتا	بيوتا
١٥	٢٦	الساعة بفتة	الساعة	١١	٧٠	رغم ان اكثرهم	رغم ان اكثرهم
٩	٢٧	آمن	آمن واصلاح	٣	٧١	فان الغلول	الغافلون
١٧	٢٧	هدى الله	هدى الله يهدي به من	١٠	٧٣	فانجيئناه انه	فانجيئناه انه
			يشاء			طاره	
٢	٢٩	يقترفون	كثيرا	٨	٧٤	كثيرا	كثيرا
٣	٢٩	انه	كذلك	٥	٨٤	ليحاجوكم	هذه الآية في غير
١٧	٢٩	وما كانوا من	وما كانوا مهتدين			عند ربكم	سوره الكهف
		المهتدين		١٢	٨٦	الصالحات بان	الصالحات بان لهم الجنة
١٥	٣٥	فتفترق بكم	فتفترق بكم			لهم الجنة	
١٤	٣٢	يفصل	يفصل	١٧	٨٧	ولدا	من ولد
١٥	٣٢	نظن	بطن	١٨	٨٧	واذا قضى	واذا قضى
٨	٣٤	عفونا	عفوا	١٢	٩١	انزلناه	انزلناه
١٤	٤٠	نكثوا	نكثوا ايمانهم	١٧	٩١	اتبع	اتبع
٣	٤٢	قلوبهم	قلوبهم وفي الرقاب	١٨	٩٢	فاعلمين	فاعلمين
٦	٤٣	آمنوا معه	آمنوا	١٧	٩٤	يحيى الموتى وان يحيى الموتى	« وان »
٥	٤٧	الا من بعدما	حق			الله يبعث من في على	كل شئ ع قدير
١٨	٤٧	بوحى	بوحى			القبور	

ص	س	الخطأ	الصواب	ص	س	الخطأ	الصواب
٩٥	١٤	طه	الانبياء	١٤٦	٧	الارض انت	الارض طالم الغيب
٩٧	١	يحكم آياته	يحكم الله آياته	١٤٧	١٣	قابل	وقابل
٩٧	١٧	اعتصموا	واعتصموا	١٥٠	٢	التي خلت	التي قد خلت
١٠٣	٦	بيينات	مبينات	١٥٠	٣	المبطلون	الكافرون
١٠٦	١٤	عبادي ام	عبادي هؤلاء ام	١٥١	١٧	لايسام	لايسام
١٠٦	١٨	ياويلتي	ياويلتي	١٥١	١١	ولكن لو	ولكن لو
١٠٨	١٦	اعناقهم لهم	اعناقهم	١٧٦	١٤	لهم	لهم
١٠٩	٣	ان الله	وان ربك	١٨٤	١٥	وبسطوا	وبسطوا
١١١	٨	تك	تكن	١٢٠٦	١٦	تنذر	منذر
١١٣	١٨	حتى	و	١٢١٧	١٥	تجعل	تجعل
١١٥	٥	اتبعوا	اتبعوا	١٢٢٢	١٠	واقرأ	واقرأ
١٢١	١	بقرة	كفرة	١٢٢٤	١٠	أفرف	ذرة
١٢٢	١١	وانما	انما	١٢٤	١٦	ورسوله وما	ورسوله وصدق لله
١٢٦	١٣	يقولون ربنا	يقولون ربنا	١٢٧	١٧	أفترى	أفترى
١٢٧	٩	فيها	فيها	١٢٨	٧	الله	الله
١٣١	٨	اولئك بيور	اولئك هو بيور	١٣٧	٥	سواء	سواء
١٣٩	٦	كفروا برهم	كفروا	١٣٩	٩	اليك ليذبوا	اليك مبارك ليذبوا
١٣٩	١٤	ذكر	ذكر	١٣٩	١٧	نذير	منذر
١٣٩	١٧	اله الله	اله الا الله	١٤٢	٧	الي اجل	لاجل

المقدمة

بقلم الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا

استاذ الحقوق المدنية

في معهد الحقوق العربي بدمشق

ان القرآن العظيم - وهو حجة الاسلام ومعجزة رسوله الخالدة -

قد وصفه من انزل على قلبه صلى الله عليه وسلم وصفا خالداً

بقوله: (لا يخلقة طول الرد، ولا تنقضي عجائبه) اي انه جديد ابداً

على تكرار التلاوة لا يشعر الانسان فيه بما يشعر من سأم الشيء

المعاد، وهو ايضا مبعث لكل بحث واكتشاف، لا تنفذ معرفة ما فيه

من حقائق واسرار، لانه صادر عن بصير الخالق بمخلوقاته، وبسمن كائناته،

وواقع امر الماضي، وما يتوقع من امر المستقبل .

وهو على كثرة ما خدم علماء السلف الكرام من مباحثه

والمعلومات التي تتصل به لن تنتهي حاجة العلم الى اكتشاف آفاق

جديدة من البحث فيه هي اشبه بأفاق هذه الارض كلما سار الناظر

الى ناحية منها شوطا وجد وراءها افقا جديداً .

وكما ازداد الفكر البشري نضجا وبصيرة، وسجلت له تجارب الكون

وحوادثه نقطا جديدة في الخط البياني للعقل الانساني أدرك من حقائق

القرآن العظيم ما لم يكن يدرك، شأن الطفل في المعارف التي تحيط

به، كلما نت مداركنا اتسعت وسمت معرفته بحسب قابليته للفهم
والقرآن العظيم قد احاط بكل ما يحتاج اليه البشر من فنون الهداية
وصلاح الحياة ، والمبر والامثال ، والنظم الاجتماعية ، وحقائق الكون
وقضاياه الكلية الكبرى ، لأن معرفتها على وجه الصواب هي من وسائل
الهداية لمن يبتغيها بتجرد وتطلع اليها ، وذلك الى جانب ما فيه من
اسس التشريع العلمي الصالح ، وجانب من تفاريده .
وبذلك يكون القرآن قد استوعب كل ما يتصل بفرضه الاساسي
وهو الهداية ، وما تتوقف عليه .

وهذا في الحقيقة معنى قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من
شيء » ، لا كما يفهم بعضهم من هذه الآية ان الكتاب قد استوعب
بطريق الصراحة او الاشارة جميع العلوم الخاصة وما فيها من تفاريح
وجزئيات المباحث ، فهذا من البعد عن معرفة غرض القرآن ، وخروج
به عن هذا الغرض الى مجاهر التعسف ، فالقرآن الكريم ليس سجلا
لعلوم الخاصة وقواعدها ، وانما هو كتاب لهداية الانسان الى خالقه
والى العمل الصالح اللائق بسمو البشر ، والى طرائق هذا العمل ،
وهو سجل لجميع ما تتوقف عليه هذه الهداية من المعارف وحقائق
الكون ونظمه وسنن باريه فيه ودلائل الخير والشر ، مع الاسس العملية
للعادة الصالحة المهدية ، والتشريع العملي والاحسان في الحياة الاجتماعية .

وهو في غرضه هذا لم يفرط في شيء ولم يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها.

وهذا الكتاب الذي يضمه اليوم مؤلفه الكريم الى مجموعة المباحث المتعلقة بالقرآن هو خطوة جديدة في خدمة ناحية قرآنية لم تفرد بعد بالبحث ، فهو يحاول ان يكشف فيه عن جهة من امم جهات البحث ، وهي :وحدة موضوع السورة وتناسب اغراضها وتسلسلها ، فهو يرسم في كل سورة مخطط موضوعها وعناصر مباحثها كما يرسم الكاتب اليوم في موضوع ما عناصر بحثه ثم يفيض في معالجتها منتقلا من عنصر الى عنصر ضمن حدود الموضوع في مختلف شعبه واغراضه ، وبتعبير آخر : انه يبحث عن التناسب بين مجموعة واخرى من الآيات في كل سورة .

وهذه ناحية بكر بالنسبة الى طريقة الاستاذ المؤلف ، وإن كان المفسرون قد تناولوا بالذكر المناسبات الفردية بين الآيات عند تفسيرها ، وهو ايضا ما عني به البقاعي في تفسيره الذي استهدف فيه مناسبات الآيات ، وهو من المخطوطات التي اشار اليها الاستاذ الخطيب في مقدمته ، غير ان البحث عن وحدة موضوع السورة ، والربط بين عناصر هذا الموضوع في زمر الآيات هو ما تتجلى به هذه المعالجة في هذا الكتاب ، والاستاذ المؤلف الاخ السيد محمد

الخطيب حفظه الله معروف لدى جميع اخوانه بصفاء التأمل النفساني وحسن التحليل في الشئون العلمية والاجتماعية ، ودقة النظر التمييزي . وان له في هذا المؤلف فضيلة اخراج هذا الموضوع الجليل المفيد الى حظيرة التأليف المستقل ، مضافا اليه دقة التحليل والملاحظة ، وقد يرى القاريء احيانا في بعض مجاليه شيئا من الغموض او طيا لبعض نواحي هامة من عناصر موضوع السورة وخاصة عنصر التاريخ والقصص ، وذلك ناشيء عن ان المؤلف حفظه الله لم يقيس له ان يعيد تلاوة الآيات الكريمة بتوسع في التأمل اذ هدفه ان يرسم الان اعجل صورة في كل سورة باوجز عبارة ، ويحيط بالعناصر الاساسية دون الفرعية .

ولعل تأملاته المستقبلية في آي الذكرا الحكيم - (بما رزقه الله تعالى من هداية طيبة كانت اكبر عون له على فهم اساليب القرآن ، ومن فرط حسن وقوة ادراك وبصر عامي) - تطلع علينا بعد هذه العجالة بكتاب اوفى واكفي في هذا الموضوع ، وله الشكر بما اخذ على نفسه من خدمة هذه الناحية الجليلة ، من القرآن الذي تسكفل الله تعالى بحفظه بما يسخره له من رجال يقومون بدفع الشبه عنه ، وخدمة رسالته ، والسلام .

كتبه في دمشق : في شعبان ١٣٦٥ مصطفى احمد الزرقا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَوَائِدُ

القرآن الكريم كتاب الاسلام يؤمنون بانه من وحي الله نزل على محمد بن عبد الله خاتم رسله وانبيائه ، قرأته ناشئاً وتلوته متعبداً ، ونظرت فيه متدبراً ، فكنت اتنقل في السورة من سورة بين مشهد وآخر ، في مقطع بعد مقطع ، بل في آية بعد آية ، واحياناً في شطر منها بعد شطر ، وهو في ذلك يبدو رائعاً في انسجامه ويتنقل بسببه من تحدث بلغة الفرد الى الجمع ومن مخاطب الى غائب ومن تصريح الى تلميح ، الى ما يتصل بذلك من اساليب القول بحيث يراعي فيها المعنى بمراعاة اثره في نفس قارئه الذي انزل القرآن لهدايته ، ولكن الصلة بين المشاهد والاعراض قد تخفى على النظرة العاجلة فلا يدري قارئه صلة آية بآية ، وقدهجس في خاطري من ذلك شيء مررت به في ختم وانا اربط النظر بين ذلك ؛ فكنت مبتدئاً من البقرة اقرأ واكتب ما بدا لي من اعراض القرآن واجلت النظر في الفاتحة فقلت ادع لها الكلمة الاخيرة التي تؤيد نظري ان تحقق ، فكان الامر على ذلك ، وكان نظري في ابتدائه متواثماً يظهر الاعراض التي تبدو رئيسية في السورة دون ان ادخل في تفاصيل معانيها فضلاً عن ارتباط آية باجزائها الى ان ازدادت المناسبات بين الآيات وضوحاً لعيني ، فكنت اتبع الطريقة الاولى حيناً والثانية اخرى حسب نشاطي ووقتي وأسجل في كل سورة ما استجد لي من ملاحظة تبديت عند قراءتها من بعد ما سبقها الى ان تم ذلك ، فجاءت الملاحظات متفرقات ، وأبقيت ما كتبته على ما كتبته ليكون في كل سورة فوائد مستجدة شعت منها ، وجعلت الحديث عن السورة بعد السورة على ترتيب القرآن المشهور دون التفات الى ملاحظة

التزول بمواقفته واسبابه لما رأيت من تناسب بين سورة وسورة تناسب آية بعد آية اطمأنت معه الى قول القائلين بان ترتيب السور كان توقيفا من الله على الشكل الذي ارتضاه، ولا سيما اذ لم اجد الترتيب على ما قيل من طول السورة وقصرها ظاهرا، فيارب سورة كالأحزاب مثلا جاءت بعد سور اقصر منها، وما كان الترتيب بحسب التزول لينظم عقده، لان السور غالباً لم تنزل كاملة بل كانت منجزة في فترات متقطعة.

وقد جاء قولي في آية اشبه بتفسير وفي أخرى اقرب الى التعليل، حتى تبدو المناسبة وتتضح الوحدة في القصد الذي سيمت اليه والغرض الذي تنتهي اليه، وكنت مبتعداً عن التأويل مستعينا بتفسير الامام البيضاوي، وما انتهيت من ذلك حتى وقع لي كتاب السيوطي (الاتقان في علوم القرآن) فنظرت فيه ملأء وثبت بما رأيت، وتوثقت مما كتبت، وفيه فصل دقيق بما انا بصده، ورجعت لنفسي استبين مصدراً لتبني هذا الموضوع؛ الخطير قد كرت جملة قرأتها تعليقا للاستاذ الجليل المرحوم مصطفى صادق الرافعي في بحثه عن (الجمال وكمالاتها) في كتابه اعجاز القرآن، فاذا هي الامنية وقعت آتت في نفسي لواسط طبع ان اطلع على كتاب كهذا الكتاب، واذا هي الخطوة الاولى الى هذا الباب وبقيت اتلو واتلو الى ان هديت الى ماهديت اليه وما انعم الله به ولكل ناظر سبيل حين يسعى بهدي من الله بين يدي قلبه وعقله وربّه، وقد نشر من بعد ذلك الاستاذ الشيخ محمد احمد دهمان مقالا عن لامام برهان الدين البقاعي وتفسيره في مجلتنا التمدن الاسلامي فرجعت الى مخطوطه في المكتبة الظاهرية، ورأيت من مقدمته عناء ما بذل من سنوات تابع فيها التأليف، واذا به يكرر ويطيل ويقع فيما وقع فيه ابن خلدون في مقدمته وهو يشمر انه لم يسبق الى صنعه، يشمر بحال الموضوع ويتجه اليه اصدق الاتجاه وهو فرح مسرور فيكرر ويطيل تاكيدا لما اتاه وبرهاناً بعد البرهان عليه، وكنت في حال لا اتمكن معها من ادامة النظر، والبصر

اعياها البصر ، والح السقم ، حتى قنعت بمواقف من كلمات وتبسيان لمناسبات من آيات كنت اراها محل عقدة ونظر فاعيا في الامر ايضا وقنعت بما كتبت وقلت لعل الله يجعل فيه خيرا ، ولو نزل منه منزلته من الایجاز والایمان من الاعجاز ومن حسب الامر هينا بعد الاطلاع عليه فليُنظر في سورة او آية في مثل مطلع النساء والانفال والاسراء وليفكر وليقدر ثم لينظر ما استبان له حتى اذا عرف مواطن الدقة ادرك آئذ من تعييد الطريق قيمته باشارة او ايماءة او اضافة علة او كلمة مقدرة او تفسير او تاويل .

فان كان في هذا الغيري فائدة فتلك نعمة من الله علي وعلية والافحسي ان كنت وانا اكتب ايقظ حسا وادق تاملا حتى اتضح لعيني ما كان مبها ، والله الحمد على هداة انه الرب الرحيم

ان السورة الواحدة تلاحظ فيها غايات ثلاث : اولها موضوع تدور حوله ثانيها مؤمن يتحدث اليه بما فيه هدايته ثالثها مقتضى حال يدور بين اسباب النزول وداعية القول وما بين ذلك من السببين الاتيين ، والسورة بذلك قريبة الشبه معانيها بالخطبة التي تستهدف السامع ، والمقالة التي تنشر على القاري والمعاني بين آية وآية يتم بعضها بعضا بحسب المقاصد الاتفة ولا يتساق الحديث مع الاستطراد الا بمقداره المقبول في حدوده من مقتضى القول واساليب البيان والبلاغة ، وفي هذا ما يكشف عن وحدة الموضوع في السورة انكشافها في القرآن جملة باغراض محدودة واضحة مفصلة تسلسل بين آية وآية كما يحكم الصلة بين كلمة وكلمة وتجلي ما يغمض لاول وهلة من تناسب الايات في السورة الواحدة او يبدو في كلمات من آية تنتقل من معنى لاخر تدق بعينها المناسبة ، وهي تجري بما يلائم الاوضاع النفسية والحكمة الهادية والبلاغة العربية اذق الملائمة ، وللقرآن في ذلك سبيله المعجز وبيانه المحكم وهو لالعين هدى ورحمة « فيه آيات بينات » « لقوم يعقلون »

فأخبر الكتاب الحكيم

سبع آيات مستهله بالبسملة والبسملة آية تدور في كل سورة الا
التوبة، وقد جاءت في سورة النمل بمكانها آية، وقيل بصدد عدم ورودها
في صدر التوبة ان هذه البسملة مشتملة على الرحمة والامان والتوبة
سورة تنبذ للمشر كين عهدهم وتوعدهم وهي كلمة فصل بينهم
وبين المؤمنين، فلم تبدأ بما لا يناسب ذلك إذ تذكر (الله) باسم ذاته وتتناول
الرحمة من [صفاته] وتثني [بالحمد] لمكانه من [خلقه] بانه « رب
العالمين » مكررة وصفه انه « الرحمن الرحيم » تثييتا للمعنى وتنويعا
به زيادة تأتي مع التكرار بتأثيره في نفس القاريء، ثم أتت بما يمكن
عن عزيز سلطانه بقولها: « مالك يوم الدين » خلق الخلق وشملهم بعين
الرعاية فحفظهم ورباهم وكانت الرحمة صفته الاولى والاخيرة بينه
وبينهم، لقوته وضعفهم وسلطانه وعجزهم الى ما هنالك من تناظر بين
الخالق والمخلوق، وهو تعالى لمكانته الذاتية وصفاته كخالق رحيم
يستوجب العبادة، وهو ما من الاستعانة، لذلك اشفع التقرير الذي
أتت به الآيات الآتية متحدة عن الله بما علم به الانسان ان يقوله
ليعين بالنسبة الى الله مكانته الانسانية فقال بلغة العبد الذي عرف ربه

« اياك نعبد و اياك نستعين » فالعبادة لله لمكانه الایجاد اولا والرحمة بعد الوجود ثانياً والمقلب اليه بعد الحياة اخيراً ، هذا فضلاً عن حق المعرفة لذاته وما يستتوجهه (كماله) « ليس كمثله شيء »

وانتقل من تحديد مكانة الانسان وتعليمه وفاء حقها بالنسبة لله الى التنويه بما فيه من ضعف النظر لتكوينه الذي صور عليه في حياته ، بما علمه ان يطلبه من [الهداية] بنوره تعالى الى صراط مستقيم لا عوج فيه ليسلكه مع من ظفروا بنعمة الهداية والسعادة ممن ظلوا ثابتين لم ينكصوا على اعقابهم معاندين فيكونوا من « المغضوب عليهم » ولا من الذين اخطأهم القصد فكانوا من « الضالين »

هذه هي السبع المثاني وهي بحملتها سورة الخالق والمخلوق تنوه بما لهما من صفات تحدد الذات وما بينهما من مفارقات وصلات بالنسبة للمعنى الانساني المطلق الدائر مادارت الحياة في معانيها الخالدة من وجود وعدم وحياة وموت ودنيا وآخرة وهدى وضلال كل ذلك بلغة خالصة السبك تهاوى من دونها لمع التأمل وانشيد المناجاة بفهم صحيح للحياة فيها تحديد لموقف الانسان بين الطبيعة والله

وهي من القرآن الكريم فأنحته وفيها جملة اغراضه وعلى معانيها تدور السور في وحدة الغرض الذي تساق اليه ، وما المعاني التي تتابع فيها الايات في موضوعات متباينات (كما تبدو للناظر دون معرفة اغراض

القرآن) الا فروع لغرض واحد تأتي عليه كل سورة ، فتستقل بسملة دلالة على استقلالها بمعناها وموضوعها وان القرآن لتتشابه سورة تشابه المخلوقات وحياة الانسان ومظاهرها وما الى ذلك من هدى وضلال وخير وشر وحق وباطل، فمن عرف اغراض القرآن الاصلية في الفاتحة عرف وحدة الموضوع في كل سورة. وان في اسم السورة والآية التي اشتقت غالباً منها ومكانة هذه الآية من اغراض السورة ومعانيها نقطاً ترتكز عليها وجهة الناظر في موضوع السورة مما كان يقتضي ان اعود لتلاوة القرآن على هذا الاعتبار متأملاً كره اخرى لم اجد لها من الوقت مقسماً، والدنيا باحداها وفتنهما عن العلوم والتأملات صارفة هذا فضلا عن ارتباط النفس بموضوعات تستجد لها فتملك عليها فراغها وهي تسعى وراءها كل يوم في افق جديد من دنيا المعارف التي لاحد لها، وما المعاني في الموضوع الواحد إلا فروع ، فاعرف الجذع تلمس مكانة الفرع.

ان اسلوب الخطاب يقصد الهداية قبل كل شيء، وفيه مراعاة للجملة المعترضة استدراكا لمعنى يتم به المعنى وقيداً لتحديد قصداً أو يكون استطرادا توفي به المناسبة* وفي ذلك ما يكشف عن المناسبات بسين الايات في موضوع يتحدر من معنى يكون نظاما في السورة

الواحدة ثم يكون نظاما في القرآن على الجملة .

وان القرآن بمجملته تفسير لسورة الفاتحة بتفصيل مجملها، وكل سورة اخذت معنى منها ، وربما اشتبهه قول بقول واجتذبت مناسبة مناسبة، وهي في القرآن على نظام مطرد ترى فيه اغراضا مجملة ثم مفصلة في زمرة من السور بعد زمرة تبيينها فيما لو اتخذت مثالا غرضا من اغراضه الرئيسية مداراً لهذا الاعتبار لتعريف الانسان بخالقه ومكانته كمبدع خلاق للمافي الطبيعة مما تجده متكررا في معاني متعددة ومناسبات لوفاء القصد داعية باساليب متنوعة تدور في كل بضع سور مفصلة ، وفي ذلك ما تراه فتعرف له شيها بمقطوعات فلسفية وروائع ادبية فيها روح المعاني القرآنية الجامعة لدعوة الايمان وتاويل آيات خالق الاكوان وحياة الانسان في الدنيا بنعمها ومصائبها والرسالات الهادية وحيات من الله مثل سورة ق ، والرحمن ، والحديد والتغابن ، والملائك ، والانسان والنبأ فضلا عن مقاطع ولا سيما في المطالع من السور او خواتيمها مثل خاتمة آل عمران وما تراه في يونس والرحمن والحجر والنور والنمل وياسبين

* من الامثلة التي توضح هذا المعنى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم ان ذكر القرآن مجلسه وما كان عليه القوم وفيهم يستمع اليه من طبع الله على قلوبهم فلا يستفيدون ، فانه اتبعهم بحديثه عن قابلهم من الذين اهتدوا « وزادهم هدى وآتاهم تقواعم » ، ثم رجع بعد هذا الاستطراد للاستدراك وتوضيح المرامي والمعاني الى اتمام القول فيمن طبع الله قلوبهم فجاءت آية المؤمنين كاجلحة المعترضة

والزمر والجمالية، وقد تجتمع المعاني المتشاككة في زمرة واحدة في سور متلاحقة وهذا الأعم الأغلب كما في الحواميم حتى ليتجلى ذلك من أسماء السور نفسها، وإن سر الإعجاز في القرآن ليبدو في مطاوي ما فيه من إيجاز وتفصيله إلى جانب حفظ النسبة بين أسباب النزول للآيات وتتابع المعاني فيها لأغراض واحدة على تمام الأيام التي نزل الوحي فيها على محمد رسول الله (ص) وإن يكون ذلك دستوراً للإنسان ما اختلفت الأعصر والامصار ومهما تبدل شأنه وارتقى علمه وتهذب فنه وسما نظره، حتى إن القول الواحد في الآية الواحدة ليتخذ في كل عصر معنى يبدو منه كما تبدو وجوه من وجوه بين آباء وابناء تتجلى فيها معاني الانسانية الخالدة، ففي القرآن الكريم سر كسر الطبيعة وهما من مشكاة الله، وعلى ذلك تأتي نظرية تكشف عن حقيقة ثم تتبعها نظرية أخرى تكشف عن حقيقة ثانية فيطمئن إليها الإنسان ويظل سائراً في طريق رقيه دون أن يفسد عليه تناقض نظريتيه ما فهم من قرآنه، ليظل القرآن هو هو ترجماناً من «الرحمن» الذي علم «الإنسان» ولا تبدل لكلمات الله «مصدقا لقوله فيه» أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان عفورا رحيماً، (الفرقان ٦).

ولقد نظر في القرآن الذين فسروا قوله تهـ إلى: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» تفسيراً شاملاً لأدق الأمور من العلوم والفنون

والمعاش والمعاد ، وما يمكن ان يصل اليه فهم الانسان فاذا بهم
يستنبطون ما يمكن أن يعتبر دائرة معارف لا تقلت صغيرة ولا تهمل
كبيرة، ولكنهم ركبوا من ذلك شططاً، لان الانسان لم يبلغ من ذلك
كماله وحد النهاية ، فاضطروا في مواقف الى تأويل كانوا عنه في
غنية ، واصبحنا نفهم المعنى فهما لاجابة معه الى تفسير فضلا عن
تأويل ، ولكل زمان عقله ومستوى فهمه ، ولعل من يلحق بنا يرى
منا ماراً يناله ممن سبق .

ان اغراض القرآن تبدأ بالتعريف بالخالق بمسكاته من
الخلق ، وإن المخلوقات في هذا النظر، طبيعة ونظامها ودنيا واخرتها
وانسان بين وجود وعدم وحياة وموت، فتفاصيل المعاني التي اوجزتها
« الفاتحة » وفصلاتها السور التالية تجمل للقرآن ما بين الله والطبيعة
والانسان صلة بكل علم وفن ولكن من حيث هداية الانسان لاعلى
ان العلم والفن مقصودان لذاتهما، فاذا ألم الناظر في علم وجد ان ما في
القرآن من علم يشبه ويؤيده ، وقد يجد في القرآن ما يكشف له عن
نظرة تكون محلا لرقى في علمه، ومع ذلك يظل القرآن كتاب هداية
يرى العلم غرضاً من جملة بينما لانسان هو الغاية .

ان موضوعات القرآن تحيط بالحياة احاطة ما رآه من السماء بالارض
وهي آيات هدى منير تجتمع في سور واجزاء على نحو من مجموعات

الاجرام العلوية في مواقع مقدرة محكمة ، وفي تأمل الناظر ماتصفو
 به نفسه حتى ينتهي الى التسبيح باسم ربه ، وفي ما المعنا اليه بهذا الصدد
 وجه التشبيه ، وحكمة القسم ومناسبة الآيات في قوله تعالى « نحن
 جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين » فسبح باسم ربك العظيم ، وقوله « فلا
 اقسم بمواقع النجوم وإنه قسم لو تعلمون عظيم » وقوله « انه لقرآن
 كريم » في كتاب مكنون * لا يمسه الا المطهرون * تنزيل من رب
 العالمين ، وقوله : « ان هذا لمو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم ،
 فليتنا عرفنا كلمة الهداية وصلة الانسان بخالقه ووفاء العبودية
 له ، ولكن الانسان طلعة وهو على حاء . قوله تعالى « وكان الانسان
 اكثر شيئا جدلا » فالله من بعد تطواف هداية تصل البدء بالخاتمة ،
 كما تصل الدنيا بالآخرة وهما منك في قبضة وداحمد الله رب العالمين ،
 ﴿ البقرة ﴾ (السورة الثانية تبث عن « الايمان » بذكر صفات اهله
 ومن يقابلهم من الفاسقين المفسدين بصفاتهم (حتى الاية ٢٠) ثم فيها
 خطاب للناس بان العبادة لمن خلق الخلق ودعوة للايمان بالقرآن الذي يتحداهم
 بسورة ، وينذرهم بالنار ، ومقابلة ذلك بالموثمين وما يبالغون ، وان الله لا
 يستحي من ضرب الامثال فيسمد بالعبرة فيها مؤمن ويضل بها فاسق
 ينقض عهد الله ك مخلوق له هذا الى ابداء التعجب من كفرهم عن خلقهم من
 بعد موت كما خلق السموات والارض وكان من ذلك ان قالت

الملائكة فيهم بأنهم يفسدون في الارض ، فقال تعالى لهم «إني أعلم
 ما لا تعلمون» وقد علم آدم الاسماء كلها ، فعرفها وعجزوا حتى امرهم
 سبحانه بالسجود له تعالى بالتوجه الى هذا المخلوق (آدم) الذي نهاهم عن اكل
 الشجرة (فطناه ابليس) واخرجه مما كان فيه مع زوجته (حواء) ، ثم
 استغفر قتال الله عليه «قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يا ثينكم مني هدى
 فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» ثم اتى على ذكر
 نعم الهداية ضاربا المثل ببني اسرائيل كأنه زوج لبني البشر وهدايتهم
 وما يعرض لهم بين الكفر والايان (حتى الاية ٤٠) وانتقل من عرض
 مادعوا اليه وما كان منهم الى دعوتهم للاسلام والايان بما نزل على
 محمد (ص) ومن ثم خاطب المسلمين مبينا نعمة وحسد الكافرين ولاسيما من
 الكتابيين الذين ساءتهم دعوة إلهية جديدة حتى «ود كثير من اهل
 الكتاب لو يردوكم من بعد ايمانكم بكفارا حسداً من عند انفسهم
 من بعد ما تبين لهم الحق» مع ان الشرائع تتابع بل قد ينسخ بعضها
 بمضالها تبين سبحانه «بخير منها او مثله» ثم تعرض لذكر الانصارى واليهود
 وخصومتهم معا وموقفهم من الاسلام في دعوته ثم اتى على ذكر
 ابراهيم (ص) وايمانه وتوارث ذلك في ابناؤه وابتنائاه البيت العتيق
 [الكعبة] وانتقل الى اختياره قبلة للاسلام قائلاً بالنتيجة «الحق من
 ربك فلا تكونن من الممترين* ولسكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات

اين ما تكونوا يأت بسمك الله جميعا ان الله على كل شيء قدير
 (١٤٥ - ١٤٨) ثم خاطب المسلمين بوجوب الاستمسك بما هداهم اليه
 وحثهم على الصبر وعدم التملل مما يصيبهم من القتل في سبيل الله لان الجهاد
 قوام الحياة، واتي على ذكر بعض شعائره كاللحج ونبه الى ان الهدى الالهي
 محرم كتمان الكتاب، ثم ايضا باهل الكتاب من اليهود الذين يكتُمون
 الكتاب مع معرفتهم بصدق دعوة الرسول (ص) واتي على ركن
 الاسلام الاساسي بوحداية الله الذي خلق السموات والارض
 وانتقل الى ذكر من « يعبدون من دون الله اندادا » والذين
 يتبعون في الايمان ما كان عليه آباؤهم وكان المعنى بين ذلك دائراً على
 لباب الايمان بما يدعو الاسلام اليه مما يتضح بقوله تعالى « يا ايها الناس
 كلوا مما في الارض حلالا طيبا ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه
 لكم عدو مبين (١٦٨) ثم نهى عن اتخاذ الهداية مطية رزق لما في
 ذلك من فساد « ان الذين يكتُمون ما انزلنا من الكتاب ويشترؤن به
 ثمناً قليلاً ، اولئك ماياكلون في بطونهم الا النار ، ولا يكلمهم الله يوم
 القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب اليم » (١٧٤) ثم ذكر البر الذي
 دعا اليه راسماً خطوطه الاساسية بقوله « ليس البر ان تولوا وجوهكم
 قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة
 والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين

وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون
 بهم اذ عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك
 الذين صدقوا واولئك هم المتقون ، وخاطب المؤمنين بعد ذلك بما
 كتب عليهم فذكر القصاص والوصية والصيام وخص بالذكر رمضان
 قائلا: «شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن» [١٨٥] باقضاء الوحي
 فيه او ينزوله الى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ منجما باوقات متفرقة
 على الرسول الاعظم [ص] او ان القرآن نزل في رمضان منوها بفضله
 وصيامه فقد «انزل فيه القرآن هدى للناس وليينات من الهدى
 والفرقان» بعد ان نوه بصلة الصيام بالتقوى وانه مما امر الله به الامم
 الاخلاية لهذه المزية بقوله: «يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما
 كتب على الذين من قبكم لعلكم تتقون * اياما معدودات» ذاكرا
 انه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولا سيما في الصيام واتم بعد ذلك
 ما هو بسبيله كبعض احكام الصيام مستطردا من صلته بالطعام الى تحريم
 اكل مال الايتام ثم ذكر الحج والقتال في الاشهر الحرم وعند المسجد الحرام
 وختم ذلك بقوله «فمن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وما
 له في الآخرة من خلاق» ومنهم من يقول «ربنا آتانا في الدنيا حسنة
 وفي الآخرة حسنة وقننا عذاب النار» * اولئك لهم نصيب مما كسبوا
 والله سريع الحساب» [٢٠١-٢٠٧] وذكر ايضا صنفين من الناس

قائلا : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا [وشؤونها]
وبشهد الله على ما في قلبه وهو الله الخصام * وإذا تولى سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له
اتق الله اخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم ولبئس المهاد * ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » (٢٠٤-٢٠٧)
وخاطب بعد ذلك المؤمنين بأن يدخلوا في السلم كافة بطاعة الله فان
الكمارير تقبون رقبة الامهال يوم الحساب بعد ان آتاهم الله آيات بينات
توجب الايمان به ، فاحبوا الحياة الدنيا وهم « يسخرون من الذين آمنوا »
وما كانت البعثة والوحي الا لخير الناس والحكم بالحق بينهم فآمن من
آمن ، ولذلك وجب الصبر في سبيل العقيدة « مثل الذين خلوا من
قبلكم ، مستهم البؤساء والضراء » وذكر بعد ذلك الانفاق والقتال
وما سألوا الرسول عنه كالحمر والميسر ، وذكر نكاح المشركات وافاض
في الحديث عن الحياة الزوجية وما اليها خاتما ذلك بقوله « كذلك
يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » (٢٤٢) واعاد الكرة على الجهاد ذاكر
بني اسرائيل اذ دعوا اليه وما كان منهم وختم ذلك بقوله : « تلك آيات
الله نتلوها عليك بالحق ، وانك لمن المرسلين » (٢٥٢) ثم ذكر الرسل
وما فضل به بعضهم على بعض واعاد الكرة على الاتفاق في سبيل الله
واتى على ذكر نفسه تعالى وانه لا اكره في الدين ، قد تبين الرشيد

من النبي، وانتقل الى ذكر ابراهيم والذي حاجه في ايمانه بالله (نمرود) قائلًا ان الله يحيي ويميت ثم كر على الاتفاق في سبيل الله وافاض في ذلك ونهى عن الربا وذكّر بعض الاحكام بالمداينات وختم ذلك بقوله : «الله ما في السموات وما في الارض وإن تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير » (٢٨٣-٢٨٤) وانتهت السورة بما آمن به الرسول واخوانه واتباعه وبين ان تكاليف الله بحسب سعة الانفس «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» ومزجه بالتعويض من المناجاة الالهية بالدعاء والاستغفار وطلب النصر وختم بذلك السورة .

فسورة البقرة بدؤوا منتهي سر تبطئة بما يتسلسل بينهما مع تداعي المعاني المتفقة في وحدة السبب او الغاية او المناسبة، ولعل فيها اكثر ما في القرآن من معتقدات واحكام وقصص وعبر، وبقية السور تبحث في ناحية ناحية على الطريقة ذاتها هذا بعد ان كان في سورة الفاتحة لباب القرآن بغاية الايمان وصلة العبد بالرحمن في دنياه واخراه وما يرجوه من هداية.

﴿٦﴾ آل عمران بعد البقرة : تبدأ بذكر الله وكتبه والكفر بها والايمان ثم تنتقل بين هذه المعاني وما يتصل بها وتحمل المعنى الاصلي دأثرًا بين ذلك خاصة بين اهل الكتاب والاسلام ، ويأتي على قصة آل عمران ومريم وذكريا وعيسى والحواريين وابراهيم وصلة الرسل

بخاتمهم وما أخذ به العهد عليهم «اذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من
 كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم [كناية عن سيدنا
 محمد (ص)] لتؤمنن به ولتنصرنه قال: أأقرتمواخذتم على ذلك إصري؟
 قالوا: أقرنا قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين، ثم نوه بدينه
 الالهي الذي انزله على رسله انه الدين الفطري وقد اسلم اليه «من في
 السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون» (٨٣) وانه
 «من يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»
 وان من عناصره الاصلية الايمان بما انزل الله على رسله جميعاً منذ آدم،
 وذكر بعد ذلك الكافرين بما ينتظرون في آخرتهم وانتقل الى ان البر للباب
 الايمان مفوضاً بما يناسبه من انتقال الى احلال الحلال وتحريم الحرام ثم
 ذكر بني اسرائيل وما احل لهم في التوراة من الطيبات وانهم
 افتروا فيها على الله الكذب بتحريفهم ما نزل اليهم مبيناً ما يدعو الاسلام
 اليه بنقاء الفطرة في صفاء العقيدة انما هو على طريقة ابراهيم (ص) الذي بنى
 الكعبة، وعاد الى معالجة اهل الكتاب بالحسنى وذكر تفرقهم
 وافاض في ذلك وما يتوقع ممن يريد منهم بالاسلام سوءاً من الذين «ان
 تمسكتم حسنة تسوؤهم وان تصيبكم سيئة يفرحوا بها» (١١٩) بعد تمييز المؤمنين
 الذين قال فيهم: «ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات
 الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من
 الصالحين » (١١٣-١١٤) ثم ذكر بعض المواقع في الدفاع عن الاسلام
 كيوم بدر وأن على الناس ان يعتبروا بالتاريخ وما وقع فيه مما يدل
 على قوانين المجتمعات في الحياة «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا
 في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» وثبت قلوب المسلمين
 في دفاعهم وذكر وقعة أحد وافاض في ذكر الجهاد وذكر المنافقين
 وما كان منهم يوم أحد وثم نوه بالشهداء «الذين قال لهم الناس :
 ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا ، وقالوا : حسبن الله
 ونعم الوكيل» (١٧٧ية) وخص بالذكر البخلاء عن الاتفاق من
 فضل الله واليهود الذين قالوا : « ان الله فقير ونحن أغنياء» وبين عنادهم
 ونبه المسلمين قائلا : «لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين
 اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشر كوا اذى كثيرا ، وان تصبروا
 وتتقوا فان ذلك من عزم الامور» وان الله اخذ الميثاق بنشر دعوة
 كتابه المنزل وانه «الله ملك السموات والارض» وفي خلقهما واختلاف
 الليل والنهار لايات لأولي الالباب* الذين يذكرون الله» ويدعونه
 ويؤمنون به ويرجون الآخرة ممن وعدهم الحسنی وختم السورة
 قائلا : «لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم
 جهنم وبئس المهاد» (١٩٧) وان للمتقين الجنة دون من اهل الكتاب

لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم ، وما أنزل اليهم ، خاشعين لله لا يشترون
 بآيات الله ثمنا قليلا ، أولئك لهم اجرهم عند ربهم ، ان الله سريع
 الحساب » وختم ذلك بما يستلزم دعوة الايمان من صبر وتقوى يرتجى
 معها الفلاح قائلا : « يا ايها الذين آمنوا الصبروا وصابروا وابطوا واتقوا
 الله لعلكم تفلحون »

فكانت خلاصة سورة آل عمران في بدئها وخاتمها واضحة
 المعنى تدل على وحدة الموضوع فيما ترمي اليه من افاضة في معنى
 من المعاني التي وردت في سورة البقرة بموقف اهل الكتاب من
 دعوة الاسلام وما يجب على المسلمين في ذلك وتأتى من بعدها سورة
 النساء

❦ النساء : سورة تجري على هذه الوتيرة مبتدأة بدعوة الناس الى
 التقوى وهي تذكرهم بخلقهم من نفس واحدة « خلق منها زوجاء وبن
 منهم ارجالا كثير او نساء » ومن ذلك اتصلت بذكر الارحام والايام
 والزواج والوصاية على السفهاء واحكام الميراث وما الى ذلك من الاحوال
 الشخصية المتصلة بالاسرة حتى الآية (٣٥) وانتقل بعد ذلك الى العبادة
 لله والاحسان للوالدين « وبذي القربى واليتامى والمساكين وابن
 السبيل وما ملكت ايمانكم » واتسع فيما يتصل بذلك من الاخلاق
 بالانفاق والنهي عن الخمر في مرحلته الاولى باجتنابه عند الصلاة وما

الى ذلك مما يتصل بالهدى ، و تنقل منه الى قوله : « ألم تر الى الذين اتوا
نصييا من الكتاب يشترون الضلالة ، ويريدون ان تضلوا السبيل ،
واقاض بذكر اليهود الذين « يحرفون الكلم عن مواضعه ،
وتنقل بين الايمان والكفر والدعوة الى اطاعة الله ورسوله
ومن ذلك الى التعريض بالمنافقين والثبات على الايمان والقتال زيادا
عنه واقاض في ذلك واعاد الكرة على المنافقين وتوسع في القتال وحكم
قتال المؤمنين ، والهجرة حفظ الدين وبين صلاة المجاهدين وانتهى من ايفاء
هذا المعنى الى قوله : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت
مصيرا * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن
يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » (١١٤ - ١١٥) واقاض في هذا
المعنى خاتما قوله « ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله وهو محسن
واتبع ملة ابراهيم حنيفا » (١٢٤) ورجع بعد ذلك الى مسائل عنه
الرسول ص في النساء ويتاماهن فاجاب عن ذلك بما يناسب الاجاز وعم
القول باتقاء الله وطلب ثبوته ودعوة الكتابيين الى الايمان بدينه
وكر على المنافقين ، وتعنت الكتابيين الذين سألوا الرسول ان ينزل
« عليهم كتابا من السماء » قائلا ان من قبلهم من سأل موسى اكبر
من ذلك ان يرى الله ، وذكر من شأنهم ما ذكر من موقعهم من دعوة

المسيح واخذهم الربا وما الى ذلك من العقيدة والدين الالهي الذي اوحى به الى الرسل جميعا ودعا الى الحق وختم ذلك بقوله : « فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهما اجرهم ويزيدهم من فضله، واما الذين استكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا بالما ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً » ورجع الى الاجابة عن استفتاء في ميراث الكلاله فكان بذلك خاتمة السوره مرتبطا بمطلعها او ثقب ارتباط في وحدة موضوعها ومن بعد ذلك المائدة

المائدة : سورة استهات بخطاب المؤمنين ان يفوا بالعقود وهي العقود الموثقة، فتم عقود المعاملات بين العباد كما تعم المواثيق بين المؤمنين وربهما فيما اوحى به اليهم فاسروا به من ايمان وحلال وحرام، وخص من بينها بالذكور تحريم الصيد مع الاحرام في الحج وامتد القول الى الحلال من الطعام، ثم خاطب المؤمنين بما فيه قوام دينهم (كما كان في الطعام قوام بدينهم) من صلاة ووضوء واغتسال وتطهر باقامة العدل، ونوه بنعمة التقوى وميثاقه لبني اسرائيل فيما امرهم به وانه تعالى لعنهم لنقضهم له وذكور ميثاقه للنصارى وانهم « نسوا حظاً مما ذكروا به » ثم دعا اهل الكتاب للايمان بالكتاب المنزل على سيدنا محمد، (ص) ميهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم، (١٦) ثم اتى على ما كان من اهل الكتاب وبعض

معتقداتهم وما كان منهم ومن قولهم « نحن ابناء الله واحباؤه » وما كان
 من تمرد قوم موسى حتى ابتلوا بالتيه اربعين سنة ، ثم تلى نبأ بني آدم
 إذ قتل احدهما اخاه ، وان هذه السنة كانت سبباً لما كتب على بني
 اسرائيل من الحدود والقصاص بالمائة ، ونص على جزاء المفسدين في
 الارض من قتل وقطع وتعريب وختم ذلك بقوله « يا ايها الذين آمنوا
 اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة واجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » .
 (٣٥) وبين ما ينال الكافرين يوم القيامة ، وذكر عقوبة السارق ثم عطف
 على الرسول ودعوته الكافرين وما هم عليه « سماعون لكاذب اكالون
 للسحت » واتى على ذكر بعض احكام الحدود في التوراة و « انا انزلنا
 اليك الكتاب بالحق ؛ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه »
 فيما نسخ من احكامه « ولو شاء الله لجمعكم امة واحدة ولكن ليبلوكم
 فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات » وان الحكم لله ليس حكماً جاهلياً
 « ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون » (٥٠)
 ثم ذكر علائق الكتائبين بالمسلمين وان الولاية لله ورسوله
 والمؤمنين وانهم حزب الله لهم الغلبة ثم وجه لالكتائبين خطابه الكريم
 قائلاً : « هل تنقمون منا الا ان آمنّا بالله وما انزل الينا وما انزل من
 قبل » (٥٩) ودعاهم لاقامة كتابهم المنزل عليهم وافاض في هذه المعاني
 وما اليها بمناسقتهم بما ادخلوه من فاسد المعتقدات قائلاً : « لا تغلوا

في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا كثيراً و أضلوا
 عن سواء السبيل (٧٦) و اعاد الكرة من ذلك الى خطاب المؤمنين
 ان « لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ، ولا تعقدوا ، وان « اتقوا الله »
 و بين لهم بعض احكام ألزمهم بها ؛ و خص من ذلك الصيد مع
 الاحرام و ان الله « جعل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ... (٩٦)
 و انه « لا يستوي الخبيث والطيب » و أن لا يسألوا عن اشياء يستلزم
 سؤالهم عنها جواباً يكون في السكوت عنه يسر لهم دفعاً للترتب
 و التغالي لما يلازمها من حرج لا يسر فيه .

و ذكر الوصية و عاد الى ذكر ابن مريم [ص] و ما انعم به
 عليه و ما كان من حواريه و طلبهم مائدة من السماء تكون لهم آية
 تثبت ايمانهم ، و انهم تغالوا من بعده و ان ليس له جواب عنهم يحجب
 به ربههم الا قوله « ان تعذبهم فانهم عبادك و ان تغفر لهم فانك انت
 العزيز الحكيم » [١١٧] و أن لا تنفع يوم القيامة إلا للصادقين في ايمانهم
 ممن رضي الله عنهم اذ « الله ملك السموات و الارض و ما فيهن و هو
 على كل شيء قدير »

فهذه السورة تدور حول موضوع [المقدر] مع الله فيما اوجب
 من عقيدة و ما أحله و حرمة بمواثيقه و كتبه المنزل مع تبيان بعض
 أحكام تدور حولها تسلسل معانيها في دائرة لها وحدة موضوع من

حيث معنى [المقد] الذي استهل به السورة وهكذا فان مواضع القرآن في وحدتها تتصل بكليات أعم من بحوث تقسمها في اعتقاد وعبادة ومعاملة ونحو ذلك ، فهي أعم وأشمل ، كالمقد والهداية والايان الى ما يتصل بذلك مع مراعاة اسلوب الخطاب بصفته الشخصية ، فتارة يوجه الخطاب للناس مثلاً دعوة الى الايمان وتارة يوجهه الى من أخذ بدعوة الايمان ثم ضل عن سبيله كما في سورة المائدة التي جعلت القول مع الكتابيين في دعوة القرآن ونقاشه واحكامه فكان في ذلك وحدة موضوع هذه السورة وهذه الطريقة هي التي تجعل للقصة الواحدة مناسبات مختلفة تدور حول معان تشبهه حتى تأتي بالآيات وال عبارات الواحدة وتختلف بما تساق اليه من مناسبة فتوجز في ناحية وتسهب في أخرى او تأتي لمقصد دون آخر ، ومن بعد ذلك سورة الانعام

﴿١٠١﴾ الانعام: سورة تستهل بحمد الله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ، منتهية الى صفة الخلق واحكامه والهدى واحكامه « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » رغم ذلك فلا يؤمنون الايمان الصحيح ولا يتبعون ما انزل اليهم وهذا موضوع السورة وما وراء هذه الآية إيضاح لما انطوت عليه أو تفصيل تدعو اليه المناسبة لايفاء المقصد حق ، فقد ورد بعد ذلك انه الخالق من طين لهذا الانسان الذي كان من ابناؤه فئة الكافرين ، وأنه كما أحيى يميت

فما قدر من آجال للناس بأفراحهم والحياة بمجموعها « ثم انتم تموتون »
 رغم واسع سلطانه تعالى وتفرده بوحدايته وأنه « يعلم سركم وجهركم
 ويعلم ما تكسبون » ولكنه لا اعراض عن الله وهو من اسباب اهلاك من
 سارقيلهم على هذه السنن من الامم الخالية، ثم صور عنادهم وما كانوا
 يطلبون من الايات ليؤمنوا، وعاد تعالى للافاضة بما ذكره من صفته
 كخالق، رازق، رحيم، وخاطب رسوله بما يثبت قواده ويعلم
 غيره سبيل الهداية، وكر على المعاندين من الذين قال فيهم « وإن يروا
 كل آية لا يؤمنوا بها » وأنهم سيرجعون الى ربهم فيسألهم عما هم
 فيه من حاجة فاتهم فيها هذا المصير « وما الحياة الدنيا الا لعب وهو
 وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » ؟ (٣٢)
 ثم لطف الرسول الذي كان يحزنه عنادهم قائلاً فيما قاله
 « انما يستجيب [لدعوتك يا محمد] الذين يسمعون، والموتى يبعثهم الله ثم
 اليه يرجعون » (٣٦) ثم كر عليهم ايضاً بقدر كبيرهم بان الامر بيد الله فاذا
 نزل بهم نازلة فلا ملجأ الا اليه بالدعاء تسليماً واستعانة به « قل أرايتكم ان
 آتاكم عذاب الله او اتاكم الساعة بفتة، أغير الله تدعون » ؟ وان سنة الله
 توجب العذاب ليدكر الناس ربهم رحمة بهم « ولقد ارسلنا الى امم من
 قبلك فاخذناهم بالآثام والضرأ لعلمهم يتضرعون » (٤٢) ولكن قساوة
 القلوب تحول دون ذلك لما يزينه الشيطان، فان بلغ الامر هذا الحد

فلم يعودوا الى ربهم تائبين أخذوا (بعد ان أمهلوا) بغتة يقطع الله بهاد ابرهم،
 تلك سنة الله في الامم الخالية «فاما نسوا ما ذكروا فتحنا عليهم ابواب
 كل شيء، حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون» فقطع
 دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين «(٤٣-٤٤)» ورجع بعد هذا
 الى ما أوجده وهو قادر على أخذه بما يوجب ذكر الله وعدم الغفلة عنه باهمال
 شرعه الذي أريد لخير الحياة وأهلها، «قل أرايتم ان أخذ الله سمكم
 وابصاركم وختم على قلوبكم؛ من غير الله يا أيكم به، انظر كيف نصرف
 الايات ثم هم يصدفون» (٥٤) «لكنه لا يهلك الا الظالمون» وما نزل
 المرسلين الا مبشرين ومنذرين، فمن آمن فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون،
 وعاد الى خطاب الرسول (ص) بوجوب الانذار وتألف الانصار وعبادة
 الله وان يقول للذين يستمجلون عذاب الله الذي ينذرهم به ما يقطع به
 عليهم الحجة وان «لكل نبأ مستقر» فلا يخض معهم في مجالسهم الفاسقة
 وان يستمسك وصحبه بما هدوا اليه ويقيموا الصلاة ويتقوا الله «وهو
 الذي اليه تحشرون» فيقيم العدل بينهم بما يشيب به المحسن ويجزي به المسيء،
 وانتقل بعد ذلك الى نقاء الفطرة في العقيدة بذكر ابراهيم (ص) وما
 اتضح له من براهين انتهى بهامطمتنا الى الايمان، بالخالق وما اثابه الله بها
 فجعل من ذريته من اكرمه بالنبوة «ذلك هدى الله؛ ولو اشر كوا
 لجبط عنهم ما كانوا يعملون»، «٨٩»، وان على الرسول (ص)

ان يقتدي بهداهم بالسير على هذا النهج اللاحب؛ وعاد الى جدال الذين
 ماروا بما انزل على الرسول من اليهود، وان مرد الجميع الى ربهم «فالق
 الحب والنوى» «فالق الاصباح» ونوه بيمض آياته فيما خلقه وانعم به
 على العباد فكان دليلا على وحدانيته ووجوب الخضوع له كخضوع
 الكائنات جميعا مما صر به قبلا ثم كر على معتقدات المشركين وعرض ما
 كانوا عليه مفندا معتقداتهم قائلا لرسوله (ص) «وان تطع أكثر من في
 الارض يضلوك عن سبيل الله، ان يتبعون الا الظن وإن هم إلا يخرصون،
 «وأن الله أعلم بالْمُهْتَدِينَ» فيقيم العدل يوم الدين «فكلوا مما ذكر اسم
 الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين» (١١٧) فانتقل من المعتقدات
 والجدال عنها الى الحياة وقوامها واحكامها فكان بذلك وفاء المعنى
 حقه بحسب النظرة الالهية التي تريد الهداية والخير للناس في حياتهم
 الدنيا والاخرة ، دون تفريق بينهما كما يقوم العامة واشباه العامة،
 فهما حلقة تتمم حلقة ، والبحث بهما شطر يتمم شطرا ، وبهذا الاعتبار
 يتجلى دقيق الصلة بين موضوع وموضوع ومعنى ومعنى وآية وآية
 بل ولقطة ولقطة حتى في الصيغة والجرس والنبذة اذا لوحظ أثرها
 في النفس التي تدبر القرآن وتسير مع معانيه وتفهم صراميها وتدرك
 اغراضه ، وهذا ما يتضح من تعاقب المعاني في الايات فقد رجع مما
 احل من الطعام الى ما حرم من الاثام وبين القصد بقوله « وذرُوا

ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا
 يفترون » (١١٩) ثم رجع الى الطعام قائلا : « ولا تأكلوا مما لم يذكر
 اسم الله عليه » وهلم جرا و « انه زين للكافرين ما كانوا يعملون »
 فيحسبون انهم على سواء السبيل وهم في ضلال مبين يودي بهم ، وختم
 ذلك بقانونه الاجتماعي في هلاك الامم بتبيين اسبابه بقوله :
 « وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما
 يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون » وان الدعوة للهداية عامة
 مبذولة لمن شاء الخير لنفسه « وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا
 الآيات لقوم يذكرون » (١٢٥) وافاض فيما يناسب ذلك بما سيصيب
 الممّنين ولا سيما يوم القيامة قائلا « ان ماتوا عدون لآت وما انتم
 بمعجزين » وكر عليهم ببعض ما افتروا به على الله من فاسد المعتقدات
 بتحليل وتحريم في قسمة الاموال بالباطل فقد « جعلوا لله مما ذرأ من
 الحرث والانعام نصيبا ، فقالوا : هذا لله بزعمهم] فهم ينفقونه بالبر كما كرام
 الضيف [وهذا لشر كائن ما افتروا به على الله من الاوثان التي الهوها ،
 وانتقل الى عادة المشركين قتل اولادهم ، وتنقل بين ذلك وجمع المقصدين
 بقوله : « قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهاً بغير علم ، وحرّموا ما رزقهم
 الله ، افتراء على الله ، قد ضلوا وما كانوا من المهتدين » (١٣٩) وذكر بعد
 ذلك ما يناسب المقام مما خلق من رزق وثمر ونباتات وحيوانات وعاد

على ما حلوه وحرموه افتراء على الله وذكر ما حل الله من الطيبات
وما حرم من قبل اليهود تبياناً لنسق احكامه وفساد ما افتراه المشركون
في ذلك وناقشهم مبيناً امهات فضائله : « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم الا تشر كوا به شيئاً وبالوالدين احساناً ، ولا تقتلوا اولادكم من
من املق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ،
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون *
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشدّه ، واوفوا
الكيل والميزان بالقسط ، لا تكلف نفساً الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا
ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون * وان
هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (١٤٨ - ١٥٠) فجمع في ذلك لباب دعوته
فيما كان ينبه اليه مفرقاً في هذه السورة بمناسبةاته ببيان الحق في شريعته
ذا كرا امهات مفسدات المشركين ناهياً عنها ، قائلاً بعد ذلك ان هذا القرآن
هدي من الله ورحمة للمؤمنين اذ انزل التوراة ثم اتم به الشريعة بما
اوحى به من بعد موسى فجعل القرآن خاتمه لئلا يقول الناس ولا سيما
العرب عند ربهم غداً ! انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ، فنحن
خافلون عن ذلك لم نعلم به وانه لو اوحى اليها لكننا اهدى منهم ، ففي ما
جاء به محمد (ص) « بينة من ربكم وهدى ورحمة ، فمن اطعم ممن كذب

بآيات الله وصدق عنها» (١٥٤) واتم هذا المعنى وختمه بان في هداية الله صراطا مستقيما، «ودينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين» (١٥٨) وانه كان عابدا لله وحده غير مشرك به واليه المرجع في الآخرة وهو الذي جعلكم خلأف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم [ابتلاء مختبر يشب ويماقب] ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم» (٢١٢). ومن بعد ذلك تأتي سورة الاعراف

الاعراف : مبتدأة بذكر القرآن ووجوب تبليغه انذارا وذكرى برحابة صدر لما في مجافة ذلك من هلاك «وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون» (٦) وهذا معنى من المعاني الواردة في السورة السابقة اريد وفاء حقه بايضا حبه هذه السورة كما هي الحكمة في السور المتتالية حتى يتم بعضها بعضا بمقاصدها جميعا من صفاء العقيدة والاخذ بالهداية لما فيه نظام الحياة ومثوبة الآخرة؛ وقد ابتداء القول توصلا لهذه العناية بالخلق منذ بدءهم، فذكر آدم والجنة واستكبار ابليس عن السجود له ثم وسوسته لآدم وزوجه حتى اخرجهما مما كانا فيه فاستغفرا فغفر لهما وقال لهما تعالى «اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين» وان فيها حياتهم وموهم وبعثهم، وان الله انزل عليكم ما يصلح شأنكم فيها «لباسا يوارى سواآتكم وريشا» ولباس التقوى ذلك خير، ذلك من آيات الله لعلمهم يذكرون»

(٢٦) فانتقل من اللباس المادي بنعمته الى اللباس النفسي بكماله وما فيه من خير باقائه ما بهى الله عنه مما يعود بالضرر والشر على العباد في الدنيا والآخرة، وهكذا سبيلة بفهم المعاني والاحاطة بها وتبيان الصلة بين المادة والروح فيها، وكلاهما عند الله سواء بما يعودان على المرء من خير وشر تجب بينهما هدايته ودعا تعالى بعد هذا بني آدم الى البعد عن فتنة استغواء الشيطان الذي اخرج ابويهم ومن الجنة مبينا انه «يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم» محذراً من تعلل أهل الكفر والفحشاء بانهم يتبعون ما كان عليه اباؤهم حتى ليزعمون أن الله أمرهم بذلك «قل ان الله لا يامر بالفحشاء» أتقولون على الله المالا تعلمون» (٢٨) فجعل المعيار في ذلك ما يأمر به الله، وفي كل وحي وكل دين وذكر جملة ما أمر به ونهى عنه من شؤون الدنيا والآخرة تبيانا لما يأمر به الله بقوله، «قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك بفصل الايات لقوم يعلمون» قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله المالا تعلمون» (٣٢) وذكر هلاك الائم ومصير آخرها بين الجنة والنار بوصف حال اهل كل منهما وان الله لم يظلم منهم احداً في ذلك بعد ان نهيهم، «ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على

علم «هدى ورحمة لقوم يؤمنون» (٥٢) وانهم سيندمون فيتمنون ان
يردوا الى الحياة ثانية ليعملوا صالحاً إن لم يكن ثمة أمل بشفاعة ،
ولكنهم لا يجابون « قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون»
(٥٣) وذكر بعد ذلك الخلق للسموات والارض قائلاً: « ولا تفسدوا
في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعا ان رحمة الله قريب من
المحسنين » (٥٦) مبيّناً نعمته في خلقه بعدما أسلف القول في خلق
الانسان الاول وما دعاهم اليه رحمة بهم وهداية، مذكراً بان الدين
يقوم فيما يقوم به على وفاء العبادة له كخالق له حق العبادة
يجب ان يكون بتمامه من هاتين الظاهرتين النفسيتين: الخوف من
عقابه ، والطمع ولا سيما بحسن الخاتمة في الآخرة ، وبذلك جذب
الانسان من عنان لذاته وآلامه بما يُسرّبه وبما يخشاه مما يبين المدين
وثيق صلته بالنفس وغرائزها، ثم اتى على اتمام ما كان بدأ به من الخلق
بإيجاد الدنيا وسكانها والآخرة والهداية اليها وإهلاك الغافلين عنها
بذكر الامم الغابرة قوم نوح وعاد وثمود ولوط وشعيب اذ ذكر
كل قوم منهم بما دعووا اليه من صلاح واصلاح وما اهلكوا به من
من استكبار وعتو وبعد عن الحق والخير والهدى ، وفيه تكرار
للدعوة بنصوص الفاظها تبين غاية القرآن من تكراره وطريقته في
ذلك بسيره مع المعنى الذي يسوق القول بصده ، فقصة آدم وخلق

وردت في البقرة بسياقها ثم جاءت هنا في معرض آخر، واذ لم يتبدل الموقف ولم يقتض المعنى تغييراً في اللفظ كان اللفظ بنصبه، وكذلك في دعوة الرسل الذين ذكرهم في هذه السورة، وفي ذلك تبيان لصله الأديان الإلهية بروحها ووحدة غايتها، وختم ذلك بما يتم المعاني الآتية من إهلاك الأمم بفسادها وإخذاها بالرغبة والرغبة بما يسرها ويلذ لها ويسوؤها ويؤلمها جرياً مع الغريزة التي تبلغ من النفس مبلغها فقال تعالى: «وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون، ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفونا وقالوا: مس آباءنا الضراء والسراء» [وكأنه حديث خرافة غابر لم يعتبروا به فلجوا في الغواية] «فأخذناهم بفتنة وهم لا يشعرون» «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» (٩٤-٩٦) «وإني على ما يناسب هلاكهم ليجذر الناس فذكر قصه موسى (ص) بأسلوب مسهب مستفيض من قبل أن يأتى بهم ومن بعد ما جاءهم ليكون للعبارة تاريخ أمته واضحاً بطوارها ومصايرها مع تبيان الأسباب الداعية، مبيناً خلال ذلك الآداب والأحكام الإلهية كقوله تعالى: «سأصرف عن آياتي الذين يتكبرن في الأرض بغير الحق، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، وإن يروا سبيلاً الرشداً لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا سبيلاً الغي يتخذوه

سبيلاً، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا غافلين * والذين كذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون،

(١٤٥-١٤٧)

وهكذا تخلص إيراد سيرتهم ما يناسب معنى كل مرحلة في القرآن
عليها ، وما انتهى من ذلك بعد أن أوجز سيرة من مضوا من قبل
مبيناً بذلك المراحل الإنسانية باخطأها حتى عاد على بني الإنسان جميعاً
يذكّرهم بأن الدعوة الإلهية قائمة بالفطرة مغروسة في النفس، وأن تقليد
الآباء والاستكبار والغرور مدعاة اجتناب الهدى وسبيل الهلاك ،
وذكر دعوة الإسلام ورسولها بعد أن نوه بها في مناسبة سابقة خلال
ما أورده ، فرد على المشركين الذين جافوه وما افتروا به عليه فرجع
بذلك من التعميم بشأن الإنسانية إلى التخصيص بتذكير العرب فائلاً:
« أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة » ؟ « أولم ينظروا في ملكوت
السموات والأرض وما خلق الله من شيء » ليروا في هذه الحياة مكان
الدعوة ، ومن هذا الخلق بنظامه ما يجب أن يعرفوه عن الله الذي
أوحى بذلك ، ورجع إلى تبيان سبب الإشراك بعد تقليد الأبناء
آباءهم إلى باعث الشرك في نفوس آبائهم من افتتان ، وذكر الأوثان
وما يعبدون من دون الله ، مبيناً أنها ليست أهلاً للعبادة ، وانتهى من
ذلك إلى تنبيه الرسول مذكراً له في بشرية وما يجري عليها من حكم

الانسانية من حيث معاني الهداية والنفوذية كبشر أوحى اليه ليكون
 الاسوة الحسنة فيما يدعو اليه ، فقال له تعالى : « خذ العفو وأمر
 بالعرف وأعرض عن الجاهلین * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ
 فاستعذ بالله انه سميع عليم » (١٩٩-٢٠٠) مبینا قانون ذلك بقوله : « ان
 الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون *
 وإخوانهم [إخوان الشياطين بضلالهم] يعدونهم في الغي ثم لا يقصرون ،
 (٢٠١-٢٠٢)

وذكر عناد المشركين ، ونبه الى وجوب الانصات تدبراً لما
 يتلى من القرآن الكريم الموحى به أملاً برحمة الله بالاخذ بدعوته ،
 ورجع الى الرسول يخاطبه بما فيه خطاب امته بما ختم به السورة بقوله :
 « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو
 والآصال ، ولا تكن من الغافلين * ان الذين عند ربك لا يستكبرون
 عن عبادته ، ويسبحونه وله يسجدون ، فالملائكة يوفون العباد حقه فما
 دعوة الله للبشر أن يعبدوه الا لخيرهم الذي يمودهم عليهم بنتيجة ذلك
 بالصلاح لدينهم ثم لا آخرتهم .

فسورة الاعراف تقوم على معنى الانذار وتبليغ الدعوة وما في
 ذلك من حياة طيبة ، وهذا هو موضوعها بدء وخاتمة وما بين ذلك .
 الانفال : تأتي به الاعراف مستهلة بالسؤال عن حكم غنائم الحروب

فكان شطر الآية سؤالاً وجواباً وشطرها الآخر بما استوجبه الحالة النفسية من هذا السؤال ، فكان القتال ثورة غضب واعتزاز بقوة لا بد من كبح جماحها فيما يجمع شمل الأمة الواحدة ، وسبيل هذا تقوى الله واصلاح ذات البين واطاعة الله ورسوله، وهز وتر الايمان في هذا الخضوع وانه من مقتضياته، وهذا ما نصت عليه الآية الاولى وأتمت الغاية منها الآيات الثلاث المتلاحقة ، فوحدة الموضوع بين الايمان وعباداته واخلاقه وبين السؤال لا يظهر الا بمكان الامر به من حيث النتائج في نفس الانسان وصلتهما بالهداية التي يرمي اليها القرآن، هذا بحسب الناظر سطحياً لمعنى كل آية بل للشطر منها موضوعاً يستقل عن الآخر فتفوتته هذه الوحدة ، كما تفوتته في السررة الواحدة، ولما أتم مارمى اليه من معاني الايمان وهداه رجوع الى ما يتصل بموضوع القتال وما يرجوه المسلمون من نصرة الله وأتى على مواطن الحكمة الالهية في الشكل الذي وقعت عليه معركة بدر وافاض في هذا حتى الآية ١٩ ثم رجع مذكراً بالاطاعة والثبات وحسن الايمان وجمع الكلمة ونعمة الله بالنصرة والتحذير من الركون الى ذخارف الحياة قائلاً : « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ، (٢١-٢٢) فنبه بذلك عقولهم بهزة بيانية حيوية تري الانسان مكانته في الحياة بفضل عقله

واعتباره وسمعه وتدبره ، وبين قيمة الايمان بحفظ المجتمع بقوله :
 « استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحيمكم .. » « واقفوا فتنة لاتصين
 الذين ظلموا منكم خاصة » ذا كراً ان ما يفرهم في الحياة ويستغفروهم منها
 انما اراده الله فتنة يختبر بها اعمالهم ومن وراء الاعمال اخلاق وايمان ،
 وتخلل ذلك ما يرافق الايمان من حياة تسودها رعاية الله وعنايته
 بصيانة الحياة مع الانعام بالطيبات من الرزق ، واظهر في ذلك قانوناً
 عاماً من قوانين الايمان التي تبقى بقاء الحياة بقوله : « يا ايها الذين
 آمنوا ان تقفوا لله يجعل لكم فرقانا ، ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر
 لكم ، والله ذو الفضل العظيم » وذكر مؤيداً ذلك بما تأمر به القرشيون
 على الرسول [ص] يوم الهجرة وهي المرحلة التي سبقت يوم بدر ، وما
 كان من صدمهم للدعوة في عناد لاجحة معه ، ذا كراً ما كان منهم
 من عبادة باطلة ، وانقياد في سبيل غي سيكون عليهم حسرة ، معلناً
 عليهم القتال زياداً عن المقيدة ، ودفعاً للفتنة ، وإعلاء لكلمة الله ، مبيناً
 احكام الفتن في وجوب اتفاقها بما فيه تبيان بواعث الجهاد والاهداف
 التي ينظر الاسلام اليها من خلالها ، وسيره من بعد المعركة ، وذكر يوم
 بدر ونصرة الله للمسلمين وما يجب عليهم من ثبات ووحدة كلمة وبعد
 عن سيرة المستكبرين من اهل البغي والقتال رياء وسمعة كالمنافقين
 وما ينالون من عقاب كآل فرعون وذلك بان الله لم يك مغيراً نعمه انعمها على

قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإن الله سميع عليم ، (٥٣) وأتى على بعض
 أحكام القتال لنا كشي المهد ومن لا يؤمنون لخياتهم ، داعياً الى اعداد
 العدة للمدو واليقظة والجنوح الى السلم ان جنحوا لها بغير خديعة ،
 مثبتاً قلب الرسول ومن معه بوحدة كلمتهم ، مبيناً لهم الحد الذي
 يجب معه الغبات في القتال تلاء عدوهم عند تفاضل القوى بينهم ،
 ذاكراً الحكم في الاسرى ولا سيما بعد بدر اذ اطلق الرسول سراحمهم
 ملطفاً من وقع الفتك والاسر بتبيان مقصده وقوله : « يا ايها النبي قل
 لمن في ايديكم من الاسرى : إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً
 مما اخذ منكم ، ويفر لكم ، والله غفور رحيم * وإن يريدوا خيانتك
 فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله غفور رحيم ، (٦٩-٧٠)
 وذكر صلة المؤمنين على اختلاف طبقاتهم بعضهم ببعض ووجوب
 الولاية والنصرة « إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » رعاية للعهد
 وحفظاً للميثاق ، وأن اهل الكفر انصار « بعضهم اولياء بعض » وأن
 في الاخذ بهذا الاعتبار ومقتضياته واجباً « إلا تفعلوه تكن فتنة
 في الارض وفساد كبير ، (٧٣) وختم السورة باهل الايمان والجهاد
 والهجرة والنصرة ومن سيلحق بهم وانهم امة واحدة كأثرة غير
 ان ذلك في حق الدين ، اماما وراعه بمثل التوارث فالحكم للنسب
 وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء

عليهم (٧٥) وبذلك ختمت السورة ومن بعدها سورة التوبة .
 ﴿التوبة﴾ وتسمى البراءة ويرى بعض العلماء أن ربما كانت هي والافعال
 سورة واحدة وهما كذلك من حيث الموضوع وارتباطهما به، سورة لها
 استقلالها واسمها تستعمل بغير بسمة لما في البسمة من ذكر لصفات الرحمة التي
 لا تناسب مقام نبد العهد وإعلان العقاب والعذاب الاليم للذين نكثوا
 ونكثوا هو اذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله
 يرى من المشركين ورسوله، «الا الذين عاهدتم من المشركين
 ثم لم ينقصوكم شيئاً، ولم يظاهروا عليكم أحداً، فأتوا اليهم عهدهم الى
 مدتهم، ان الله يحب المتقين» (٣-٤) ذا كرأطويتهم التي أوجبت ذلك
 بقوله «لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون» (١٠) فالتنكيل
 بهم دفعا لما ظهر منهم وما هم بسبيله من اعتداء لا يراد منه اكثر من
 إيقافهم عند حد فان تابوا أو أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة فإخوانكم في
 الدين، كأن لم يكن منهم شيء من الايداء لأن الاسلام يجب ما قبله
 وينقض الطرف عنه «وان نكثوا من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم
 فقاتلوا أئمة الكفر» وهكذا يتدفق المعنى حماسياً ثاراً يتخلله ما يليق
 بالاسلام ودعوته الى السلم والتقوى والأخذ بما فيه بما يثير حماسة المسلمين
 المؤمنين هذا الى نقاش المشركين بما قالوا من نهم بعمرون البيت الحرام الى
 ما يتصل بذلك من المبادئ كقوله «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم

واخوانكم أولياء ان استجبوا الكفر على الايمان، ومن يقولهم منكم
فاولئك هم الظالمون، (٢٣) وذكرنا في اجتماع الكلمة من قوة على ان
لا يفتقر المسلم بالاتكال عليها فقط كيوم حنين (وهو من الايام التي اعقبت
بدرًا الذي ذكرته السورة السابقة) إذا عجزتكم كثرتم فلم تغن
عنكم شيئاً، وضاعت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين* ثم
انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم تروها،
وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين، (٢٥-٢٦) وحرم على
المشركين الاقتراب من الكعبة المشرفة، وعمم مبدأ القتال وذكر
ما أفسد به بعض الكفار حتى أصبحوا يضاهئون قول الذين
كفروا من قبل، وذكر من رؤسائهم من غرهم المال فصدوا عن سبيله
وأكلوا أموال الناس بالباطل مما سيعاقبون عليه يوم يحمى عليها في نار
جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، (٣٥) وذكر به ذلك
القتال والاشهر الحرم التي كان القتال فيها محرماً عند العرب قبل الاسلام
وأعاد الكرة مهيجاً مجلجلاً قائلاً لا تنصروه فقد نصره الله إذا أخرجه
الذين كفروا ثاني اثنين إذا هما في الغار اذ يقول لصاحبه: لا تحزن ان
الله معنا، مما كان يوم الهجرة النبوية من مكة الى المدينة المنورة وذكر
ضغائن العزيمة والمنافقين وموقفهم من القتال وسيرتهم تجاه الرسول
(ص) ودعوته ومطعمهم بالصدقات حتى ليتهمونه بهتاناً بها فان اعطوا

منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يستخطون ، وقد بين وجوه الاتفاق بقوله : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (٦١) فأتى المعنى الذي عرض له وأتم من بعده ما هو بسبيله من تعداد المنافقين وطبقاتهم وما كان منهم ومخافتهم من الفضيحة ، يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبؤهم بما في قلوبهم ، قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ، وحذرهم عاقبة اعتزازهم بقوتهم وامرأهم واولادهم وأن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله ، وذكرهم بالدليل بايراد بعض الامم الخالية ممن اهلكهم بظلمهم ، مزاجا بين المعنى والمعنى في آية تقابل آية بما يتم به القول وفي الموضوع حقه ، فبعد ان ذكر المنافقين « بعضهم من بعض يأسرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم » (٦٨) ذكر المؤمنين قائلا : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ، يأسرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم » (٧٢) وهذا من طريقة القرآن يجري عليها باشلو به البالغ في النفوس الى المسكنة التي تفي بالغاية من دعوته لمن كان مائلا باللغة العربية وبيانها ، وأفاض بالتمريض المنافقين وما سيصيرون اليه وخاصة ما يتصل بقعودهم

عن القتال مبيناً أن ليس كل قاعد ملوماً أن كان من فقر أو مرض
وأن هذا النفاق أجلى في أهل البدو لخشوتهم وقساوتهم على أن
منهم المؤمنين حقاً مبيناً طبقاتهم ، وذكر بعد ذلك من خطة المنافقين
إقواءهم مسجداً اتخذوه ضراباً وكفراً وتفريقا بين المؤمنين وإرصاداً
لمن حارب الله ورسوله ، (١٠٨) ناهياً عنه وذكر ثواب المجاهد
وصفات أهله وأنه « ما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا
للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب
الجبم » (١١٤) مستدركاً أن إبراهيم (ص) استغفر لآبيه آزر وفاء
لمهد سابق قبل معرفته ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، أن
إبراهيم لأواه حلیم ، (١١٥) ذا كراً ما هو بصدد من الإيمان والجهاد
والهداية مختتماً السورة بما يلقاه الرسول من عنت قومه وما عليه أن
يأخذ نفسه به من العبرة والاتكال على الله بقوله « لقد جاءكم رسول
من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف
رحيم » فإن تولوا فقل : حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش
المعظم ، فموضوع هذه السورة بجملة الدعوة الإسلامية ونصرتها
والكفر والنفاق ، والجهاد والإيمان ، وما الى ذلك مما يناسب المقام
﴿ * ﴾ يونس : سورة مستهلة بما يناسب ختام التوبة من أن الكتاب كتاب
الله والداعي إليه موحى إليه من عنده أفجبوا أن يكون ذلك على

رجلي منهم «أكان للناس عجباً أن اوحينا الى رجل منهم...» حتى قال الكافرون: «إن هذا الساحر كذاب» (٢) وانتقل من ذلك الى ما يوحى الايمان في نفس الانسان ويوجبه عليه من ذكر الخلق بنظام السماء والارض والوفاء في الدنيا والنشوء في الآخرة ونظام الحياة بافلاكها وآيات الله الدالة على عنايته بخلقه وحكمة تقديره فيها فيه نعمهم وما يؤيد الايمان بالرجوع الى الله عند حلول ما يظهر فيه عجز الانسان وضعفه، وما في دعوة الاسلام من حق وما في اجتناب ذلك من باطل، الى ما يناسب المقام خاصة بذكر المشركين وصدودهم وما كانوا يطلبون عناداً كقولهم للرسول عند سماع آيات القرآن اللينات «أنت بقرآن غير هذا أو بدله قل: ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي» اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم، (٥١) وان ما يعبدن ليس مما يستحق العبادة فهو لا يضر ولا ينفع بحذاته وان البعد عن العقيدة النقية الصحيحة التي تنفق مع فطرة النفوس ونظام الحياة التي يدرك فيها المرء معنى الايمان بقدرته الایجاد ونظام الوجود وما يمود عليه من ذلك من نفع او ضرر، انما يستدعي كلمة فاصلة وحكما مبرما، وحق ذلك بعد ان كان الناس امة واحدة على الفطرة النقية فاختلفوا، «ولو لا كلمة سبقت من ربك، لقضي بينهم فيما هم فيه مختلفون، (٩١) وهذه الكلمة هي قانون الحياة كما هي بحالتها الحاضرة ومكائنها

من الحياة الآخرة حيث المشوبة والعقوبة، ذلك يوم الفصل، وضرب المثل
للحياة الدنيا التي يستمتع المرء بما يستمتع به منها فتكون نعمها من دواعي
غفلته عن ربه باستغنائها عن الرجوع اليه ودعائه وما يتعاقب فيها من النعماء
رحمة والضراء تذكيراً، بضياء في الارض بغير الحق قائلان نعم مثل الحياة
الدنيا كما انزلناه من السماء فاختلطت نبات الارض مما ياكل الناس والانعام
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها
اتاهامرنا ليلاً او نهارة، فجعلناها حصيداً كأن لم تكن بالامس، كذلك
نفصل الآيات لقوم يتفكرون، (٢٠) فليس في خيرات الدنيا وزخارفها
ما يخلد ويبقى مما تطمح اليه النفس البشرية وانما هي متعة ذاهبة كأن
لم تكن، فجدير بالمرء ان يتفكر بما وراءها مستمتعاً بها بما يصلح شأنه
في مثل طعامه وشرابه ومبتيته دون ان يغتر بها عما وراء ذلك مما يدعو
اليه والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
وذكر من شأن الآخرة والثواب فيها والعقاب ما أتم المعنى،
وكرر على ما كان بصدد دعائهم الى تقواه « قل من يرزقكم من
السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الامر فسيقولون الله، اذ
نسبة ذلك النظام المحكم الى المصادفة لا يقره العقل ابداً فقل: « اقلا
تتقون، فيأخذكم بما امركم به لصلاحكم، كما اصلاح الحياة بنظمها

ووهبكم قواكم وحواسكم المدركة من السمع والبصر فيها واداكم
 من قدرته وتديره الامر ما يجعلكم تطمئنون الى خير تنالونه بنتيجة
 مادعاكم اليه والاخذ به ، ولكن في الناس من لا يأخذ بالحق لنفسوقهم
 تمرداً وفساداً ، وعاد يناقش المشر كين فيما يبدون ميئاً اي إله حق
 يبعد ، فهو يبدأ الخلق ويميده ويهدي الى الحق ، وان هذا هو ما يدعو اليه
 القرآن وهو مصدق لما بين يديه من الكتب السماوية السابقة ، فمن
 حسبه اقتراء على الله فليأت بسورة مثله وادعوا من استطعتم من
 دون الله ، ثم اتبعه بخطاب للرسول بان عليه الدعوة وعلى الله الحساب
 وان المشر كين يستمجلون به مما يحذرهم منه « قل أرايتم ان اتاكم
 عذابه بياتاً او نهراً ماذا يستعجل منه المجرمون » ائتؤمنوا بعد وقوعه
 ثم استلان قلوبهم بتبيان دعوته قائلاً : « يا ايها الناس قد جاءكم
 موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين ،
 (٧) » وبين لهم ان ما يحلون ويحرمونه من الارزاق وما يفترونه على
 الله في ذلك باطل سيحاسبون عليه ، وثبت المؤمنين بان لهم الامن
 ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشري
 في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ، فهذا حكمه ، وذكر
 للرسول ما ثبت ، في هذه الغمرة فؤاده فيما يدعو اليه بان العزة لله .
 فهو ينصره وهو الذي وضع نظام الحياة بليلها ونهارها . . ثم اتى على

اشراك الذين قالوا اتخذ الله ولداً، وانتقل الى ان لهم العذاب بافترائهم
 هذا، وذكركم بما كان من نوح وقومه «إذ اهلكهم الله» وألمع الى من جاء
 بعده، وذكر فرعون وقومه ونعمة الله على بني اسرائيل في إنقاذهم منه
 وهدايتهم لهم ثم كان منهم دولقد بوا أنابني اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم
 من الطيبات فما اختلفوا إلا من بعدما جاءهم العلم، (٣٤) مبينا طغيان النعمة
 والهلاك بعد التنبيه مما تدور هذه السورة حول معانيه، ورجع الى الرسول
 بخطابه في صدد المعاندين بأن ما أنزل عليه الحق وان اهل الكتاب يعرفونه
 وأن الخسران على من كذب بذلك وأتي على ذكر قوم يونس اذ
 رأوا بشائر العذاب فانابوا فرحمه الله عنهم «ولو شاء ربك» [مشيئة يكره
 الناس عليها] لا آمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس [يا محمد]
 حتى يكونوا مؤمنين، (١٠٠) فيما عليك الا الدعوة وفي ذلك مشيئة الله
 بما ترك لهم من الحرية ليكونوا بذلك اهل التبعة احسنوا او اساؤا
 «ويحمل الرجس على الذين لا يعقلون»، (١٠١) ونههم على داعيه الايمان
 من هذا العالم بقوله: «قل انظروا ماذا في السموات والارض» واتم في
 الآيات اللاحقة معاني ما كان بصدره وختم السورة بدعوته الى الايمان
 بالحق ودعوة الرسول الى الصبر والتبليغ وما يراد بالناس من ذلك «قل
 يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه
 ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل» واتبع ما يوحى اليك
 واصبر حتمي بحكم الله والله خير الخاكين، (١٠٩-١١٠)

فهي سورة تذكر الايمان والصدود عنه وما يتصل بذلك من
ترغيب وترهيب بحجج ومنطق يبين نظر الاسلام الى الحياة وفهمها
ومبادئه الاساسية فيها ومن بعدها سورة هود

﴿سورة هود﴾ تستهل القول بذكر الكتاب وما فصل فيه
والعبادة والتمتع لتطيب الحياة مع حسن الثواب في الآخرة ومبينة مافي
الصدود عن ذلك من عذاب يعذبهم الله به وهو الذي «يعلم مايسرون
وما يعلنون» وافاض بذكر احاطته بخلقه وانه اوجد نظام الدنيا بعد
خلقها على ما هي عليه «ليبلوكم ايكم احسن عملا» (٨) فالعبادة في هذه
السورة مرحلة من بعد الايمان الذي اتى عليه في السورة الانفة وهكذا
تتابع السور متممة بعضها بعضا مما فيه وحدة في الموضوع والمقصد
وقد انساق مع دواعي العبادة التي جبلت مع نظرة الانسان فجعلت الذين
غريزة لها دواعيها من نفس الانسان حتى كان كما قيل حيوانا متدينا
ذاهبا في ذلك مذهب عرض ما يكون من الكافرين وما يتعللون به ولا
بذكر الموت والبعث وانكارهم له بقوله «ان هذا الاسحر مبين» واستعجالهم
العذاب بسبب كفرانهم ثانيا بذكر جملة الانسان بما يصيبه من ياس
اذا نزع عنه رحمة الله وانه اذا ذاقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن: ذهب
السيئات عني انه لفرح فخور» (١٠) فالبعث بعد الموت ونعم الله في الحياة
(والنعم تشمل عنايته تعالى بخلقه التي انزلت كل شيء منزلته فجعلت

الانسان يستمتع بما فيها بفضل دقة النظام وحكمة القدر) الى ما يتصل بذلك من سلطانه تعالى في ازالة ما يعسر الانسان من ضرر يحدق به حتى يبلغ حالة اليأس من عجزه المطلق المطبق انا هي الاسس التي تنطبق عليها دواعي الايمان في نفس الانسان، فهو من ذلك بين يأس من عجزه ، وفرح وبطور من كبرياء وغروره الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير، ممن آمنوا وعملوا بمقتضى ايمانهم فاعتدات اخلاقهم ، فلام في بطر ولا هم في يأس معتدين اهل سكينه وطمانينة بفضل ايمانهم واخلاقه وما يفعلون من عمل صالح وحسبك من ذلك صبرهم على ما اصابهم رضاء بالقضاء وثقة بالله .

وانقل من ذلك الى خطاب الرسول بوجوب الصبر على تبليغ دعوة الايمان قائلا بان يبدك البرهان (بلغة تسير مع الطريقة التي سار عليها في مخاطبة المعاندين) بان تجداهم ان يأتوا بمثل ما يوحى به اليه مما يزعمون اقتراءه من سور القرآن ، وحكم عليهم بالعجز مستدلا من ذلك على انه « انزل بعلم الله وان لا اله الا هو ، فهل انتم مسلمون » ؟ وذكر بعد هذا بين داعية الدنيا في مطعم النفس الانسانية وداعية الآخرة قائلا بان العمل في سبيلها ثمرته من عند الله الذي خلقهما « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها ، وهم لا

يبخسون» (٥١) فمن سعى في مال او جاه او مطمع من مطامعها سالكا
 الى ما ينشده سبيله ، لا يبخس ثمرة مسعاه ولو كفر ، ولكنه باقتضاره
 على ذلك يخسر آخرته ، « أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار
 وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » (١٦) وذكر ان القرآن
 عما أتى به له شهادته من الكتب السماوية من قبله ، اقامة للحجة فيه
 على اهل الكتاب ثم عرض عن يكفر به وعقابه في الآخرة « والذين
 يصدون عن سبيل الله ويمنونها عوجا » (١٦) « أولئك لم يسكنوا
 معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء ، وافاض
 في المقاتلة بين المؤمنين والكافرين وما يلقون ، ثم اتى بالشاهد التاريخي
 ذا كراً دعوة نوح وما قابلها به قومه من حدود اهلكهم الله بسببه
 بعد ما اقام عليه البرهان بحسن جدله بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى
 قالوا اخيراً متمردين « يانوح قد جادلنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا
 ان كنت من الصادقين » فاستلان لهم ولكنهم كذبوه ثم سخروا
 منه بعد انذاره لهم واتى على ذكر الطوفان عذاباً من عند الله وان
 كان فيه ابنه ، فلم ييأس من رحمة الله بانجائه ، فقال منادياً ربه « رب
 ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين » [هـ] فقال
 له ربه « يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح » فاستغفر ربه
 ونوه بعد ذلك بان مثل هذا الخبر التاريخي كان مغيباً عن محمد [ص]

الذي اتى به في القرآن وعن قومه مقيماً بذلك الدليل على انه وحي يجب
 الايمان به، وان عليه من ذلك ان يعتبر بما كان من نوح (ص) فيصر على
 دعوته « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا
 قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين » (٤٩) ثم ذكر عاداً
 قوم هود (ص) وما كان من دعوتهم وصدودهم ايضاً ثم ذكر ثمود وقولهم
 لنبيهم « يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا، انتهانا ان نعبد ما يعبد
 آباؤنا » (٦٢) ثم ذكر ابراهيم في المؤمنين وقوم لوط في الهالكين، ومدين
 ونبيه اشعيا (ص) وحذرهم بمن مضى قبلهم فقالوا « يا شعيب ما نفقه كثير اما
 تقول، ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعز » (٩١) ثم ذكر فرعون
 بالهلاك بعد ان جاءه موسى « يا آتانا و سلطان مبین » (٩٦) وانتهى من
 هذا العرض الى خطاب الرسول بقوله « ذلك من انباء القرى نقصه عليك
 منها قائم و حصيد » (١٠٠) فالبرهان واضح والعبرة بينة ان في ذلك
 لآية لمن خاف عذاب الآخرة، (١٠٣) قياساً على ما فعل الله بهم بانزاله
 هذا العذاب بالدنيا حتى اهلكهم، وافاض في ذكر تلك الحياة بشوايها
 وعقابها، ودعا الى الاستقامة وما يناسب المقام قائلاً فيما قاله « ان الحسنات
 يذهبن السيئات » ذلك ذكرى للذاكرين، (١١٤) مبيناً الحكمة من ذكر
 الامم التي اهلكت بخطاب الرسول الاعظم (ص) « كلاً نقص عليك
 من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة، وذكري

للمؤمنين، (١٢٠) فمن لم يؤمن فلينظر ما توعد الله به والله غيب السموات
 والارض واليه يرجع الامر كله فاعبدوه وتوكل عليه وماربكم بنافل
 عما يعملون، (١٢٣) فهي سورة العبادة والدعوة اليها وما يكون من
 اقبال عليها او صدود عنها من كفر وايمان ومن بعدها سورة يوسف
 يوسف قصة ابتلاء فيها تصوير لاختلاق
 المؤمن بصبره وعرض حياته بما تخللها من مكائد وظلم وإغواء وما
 كانت فيه العاقبة، وهي السورة الوحيدة من بين السور الطوال التي
 لا يماري في وحدة موضوعها أحد لانها تجري على طريقة القصص الذي
 تنظم فيها وحدة المعاني على تنوعها بسياق الحوادث، فلها من الحياة موضوعها،
 وكذلك تظهر بقية السور لمن تدبر، وقليل مام، ويكاد القاري السورة
 يوسف يمجدها فيها جميع المعاني التي تتصل بالايمان وحياته وما كان يخفى
 عليه من وحدة الموضوع في غيرها من السور حتى لينكر ذلك، فهي
 مستهلة بالتقوية بآيات الكتاب المبين، وانه انزل القرآن عربيا ولعلمكم
 تعقلون، وان فيه احسن القصص وحيألم يقع لك يا محمد في روع، ثم سرد
 من بعده قصة يوسف ومارآه في منامه بصفاء نفسه الذي انتهى به اخيراً
 الى الانباء بالمغيبات مما يدخره الناس في بيوتهم ثم الى وحي السماء ودعوة
 الايمان وإعمار الارض بما يصاحبها بعلم وأمانة بقيامه على خزائن الارض،
 وما كان بين ذلك من مكيادة إخوة يوسف وهمهم به حتى اوشكوا ان

يقتلوه، ثم إلقائهم له في بئر اتخذ منه اسيراً يباع بدرهمات قليلة ثم ما كان
بعد ذلك من وقوع امرأة العزيز بحبه شغفا به وتأليه وفاء لنعم الله أن
ربي أحسن مثواي، مع ما في ذلك من خشية الله إذ رأى برهان ربه، يذكره
النهي عن الزنى ذكراً كان من قوته أن شبه له بما يراه الناظر، ثم دعاء ربه
أن يصرف عنه كيد النساء بقوله: «وإلا تصرف عني كيدهن
أصب اليهن وأكن من الجاهلين» (٣٣) وما كان بعد ذلك من سجنه
إلى أن تمت العقدة وبكى والده ففقه حتى كاد يذهب بصره، فإذا
بالحوادث تهبيء له أسباب الرفعة والمكاة العزيزة والسلطان المكين
مع براءة الساحة مما افتري به عليه بهتاناً ثم يلقي الأهل بعد ذلك بمدان قال
يعقوب لبيه «يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من
روح الله أنه لا يأس من روح الله ألا القوم الكافرون» (٨٧) فكان
في ذلك تصويراً لا يبلغ أثر الإيمان في نفس الإنسان، وهكذا تأتي مع كل
مناسبة كلمة فيها من بيت القصيدة ما فيها تظهيره الغاية من سردها في هذا
الكتاب الكريم، وختمت القصة بمجموعها بقول يوسف شاكراً ربه
شكراً فيه الأخلاق الإيمان: «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل
الاحاديث» فاطر السموات والارض انت ولي في الدنيا والاخرة،
ثوفي مسلماو الحقني بالصالحين» (١٠١) ثم نوه القرآن بأن هذه القصة بتفاصيلها
كانت من انباء الغيب الذي يؤيد صدق الوحي والدعوة الالهية في هذا القرآن

ذا كراً ما يناسبها مما ترتبط به هذه السورة بما سبقها بتوجيه الخطاب الى
سيدنا محمد «وما تسألهم عليه من أجر إن هو الا ذكرى للعالمين» وكأين
من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون «وأنهم
من ذلك على خوف نزول العقاب بهم» فعليه الدعوة وعلى الناس العبرة
بمن مضى وان الخاتمة للرسول بنصرتهم، وختمت السورة بقوله «لقد
كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب» ما كان حديثاً يفترى ولكن
تصديق الذي بين يديه [من الكتب السماوية السابقة] يايراد ما يناسب
المقام منها للعبرة برهاناً على ان القرآن من مشكاة السماء التي تنزل
تلك الكتب منها [وتفصيل كل شيء] وهدى ورحمة لقوم يؤمنون،
وهنا بيت القصيد ان نكونوا مؤمنين على هداية ربكم، فهي سورة ايمان
وهدى بمظاهرها من حياة مفصلة ومن بعدها سورة الرعد

الرعد مستهلة بذكر الكتاب وانه الحق «ولكن
أكثر الناس لا يؤمنون» فهي سورة تبحث في الايمان ببرهانه من هذا
ما يدل عليه بما فيه من قدرة وحكمة مع نقاش لمن لا يؤمن
ونشأته الثانية وما يستعجلونه من عقاب يذرون به ويحذرون
آيات تنساق مع هذه المعاني متعاقبة حسبما يقتضيه البيان
«يمان» وانها دعوة الحق «لله» والله يسجد من في السموات
وعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال، (١٥) ومقارن

عبادته تعالى بما يعبد من دونه وما يتصل بذلك من حديث اهل الكفر
واهل الايمان « أقمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو
اعمى ؟ انما يتذكر اولو الالباب » (١٩) ممن تستقيم حياتهم وتحسن عاقبتهم
والذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب (٢٩) و ذكر
الرسول من بعد ذلك وان ما يلقاه من الصدود سنة قديمة جرى عليها
الكافرون تهيئة للرسول في دعوته مخاطبه « قل هو ربي لا اله الا هو عليه
توكلت واليه مآب * ولو ان قرآناً سيرت به الجبال او قطعت به
الارض او كلم به الموتى [لكان هذا القران ولكنها سمن في خلقه
ونظام الحياة واهلها في الهداية والضلال والايمان والكفران فلا تأس
على ما تراهم فان الدنيا والاخرة بسلطان الله] بل لله الامر جميعا » (٣٥) والزمه
بالصبر على ما يلقاه من المشركين « ولو اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك
من العلم ، مالك من الله من ولي ولا واق » (٣٧) وأنتك دارج على
سنة من أرسلنا قبلك « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » (٤٠) مختما
السورة ببرهان رسالته بقوله « قل : كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده
علم الكتاب » (٤٣) فجعل مرد الامر الى الله والى اولى العلم بالكتب
الساوية المنزلة لمعرفة نور بنور يشعان من مشكاة الهيئة واحدة . ومن
بعدها سورة ابراهيم (ص)

✽ ابراهيم سورة مستهلة بذكر الكتاب والغاية من انزاله « لتخرج

الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد، فهي
 سورة تبين غاية الرسالة وما تنطوي عليه ومن يقف في وجهها وما يصيبهم
 بهذا السبب، وفيها من نسق السورة السالفة ما يجعلها حلقة من حلقة،
 وسرعان ما انتقلت من ذلك الى الاستشهاد بالتاريخ والرسالات
 السابقة فذكرت موسى وما أمر به «أن أخرج قومك من الظلمات
 الى النور»، وذكرهم بايام الله، (٥) فيمن أهلكتهم حتي استخلف بني
 اسرائيل من بعدهم بوعده القائل: «ولنسكنكم الارض من بعدهم ذلك
 لمن خاف مقامي وخاف وعيد»، (١٥) وأتى على ذكر ما يناسب ذلك من عقاب
 الآخرة وما يستبين لهم يومئذ من ضلالهم مع ذكر المؤمنين بما
 سينعمون به في جنات «تحتهم فيها سلام» فهي كلمة ولكنها يميزانها
 الثقل وما وراءها من خير كثير أوضح المرام منه بقوله: «ألم تر كيف
 ضرب الله مثلاً: كلمة طيبة، كشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في
 السماء * تؤتي أكلها كل حين باذن ربها، ويضرب الله الامثال للناس
 لعلهم يتذكرون» وفي هذا تبيان لاسلوب القرآن في تخصيصه الذي
 ينتهي منه الى تعميم، فماتى على ذكر كلمة طيبة «سلام» حتى أعقبها بآية
 تحسب المعنى فيها مستقلاً عنها في بدء يوم هذا الاقتضاب، ولكن التدبر
 له يراه من اطراد الموضوع جاريأ على نسقه من إحكام القاعدة وبيان
 الحكم العام ايضاحاً للمعنى الكلمة، وقد أتى من بعدها بما فيه تمام الايضاح

بذكر ما يقابل الحكمة فقال «ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق
 الارض ما لها من قرار» ورجع الى إتمام ما ابتدأه بقوله: «يثبت الله الذين
 آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين
 ويفعل الله ما يشاء» (٢٦) ورجع الى ما يتصل بهذا المعنى وما كان فيه ،
 فذكر ما أنزل بالذين يبدلون نعمة الله كفراً واحلوا [بسبب ذلك]
 قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار» (٢٨) وذكر ما كانوا
 عليه من فساد العقيدة وعبادة الاوثان ولما تم ذلك شرح حالهم في دنياهم
 وأخراهم الى ما يستوجبه الايمان من اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة «من قبل
 ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال، مبينا ان الحكمة من ذلك صلاحهم
 وان الله قد وفر لهم النعم، فما يدعوم اليه انما هو من نعمة والخير لهم
 وليست دعوته ايام من حاجة » الله الذي خلق السموات والارض
 وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم
 الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار وسخر لکم
 الشمس والقمر دائبين ؛ وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل
 ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، وبهذا الأسلوب الاخاذ
 بين المقصد في عباداته وما دعا اليه والايمان وغايته من هذه العبادة
 بأنها منزهة عن تكليف فيه حاجة لمن امر بها وهو الله الغني عن
 العالمين المتفضل عليهم بكل شيء ولكن في الناس من لا يرى ذلك

فيكفر بنعمة الهداية « ان الانسان لظالم كفاً » (٣٣) وانتقل بعد ذلك الى مقارنة بين الايمان بما فيه تمام نظام الحياة جرياً مع فطرتها وبين الاديان الباطلة الوثنية فذكر ابراهيم (ص) وما انتهى اليه في قربه من الله وما كان يدعو اليه ، وهو يمثل العبادة الفطرية الصافية النقية وأنه هو الذي اقام الكعبة المشرفة بيتاً لعبادة الله حتى اذا انتهى من ذلك كر على الظالمين منذراً بما سيعاقبون به انتقاماً فيه العدالة «ليجزى كل نفس ما كسبت» تحتها السورة بقوله : «هذا بلاغ للناس ولينذروا به» وليعلموا انما هو الواحد ، وليذكر أولو الالباب ، ومن بعدها الحجر

الحجر : سورة مستهلة بذكر الكتاب وندامة الكافرين

إذ يرون [وهم فيما انذروا به] ما بشر به المؤمنون «ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين» ولكنهم اليوم عن هذا في غفلة معرضون «ذرهم ياكلوا ، ويمتعوا ويلبسهم الامل فسوف يعلمون» نتائج ما هم عليه من هلاك له في الحياة سابقة تنزل منه منزلة برهان على وقوعه حين يحقق المكر باهله ويستحقون الهلاك جرياً مع سنة الله فيمن اهلك من الامم الخالية «وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم * ما تسبق من أمة اجلها وما يستأخرون» وفي مثل هذه الآيات تبيان واضح لوحدة المعاني وتسلسلها في السور المتتابعات فانها آياتان او جزتان ما كانت السورة الآتية اتت عليه مفصلاً ، وانتقل بعد هذا الى عرض

ما يلقاه الرسول الاعظم «ص» من الكفار بصنودهم وما يتطلبون جدلاً
 وما يقولون إفاً مصوراً عنادهم بقوله : «ولو فتحنا عليهم باباً من
 السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا : إنما سكرت ابصارنا بل نحن قوم
 مسحورون» [١٤-١٥] واتي بعد هذا على ذكر ما غفلوا عنه وهو برهان
 واضح على وجوب الايمان والاخذ بالرسالة والقيام بما اوجبه من عبادة
 اذكر من المخلوقات سماء ونجومها وارضاً ورواسبها وما فيها «من كل شيء
 موزون» وما يش بها ينعمون وهي منزلة بقدر معلوم ورياح لواقح وماء
 وري وإحياء وإماتة «ونحن الوارثون» مما لم يمتدحوا بالنظر فيه رغم
 جلاء برهانه «ولقد علمنا المتقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين» ٢٣
 فسيحشرهم ربهم ويجزئهم بصنعهم وهو الذي خلق الانسان والجان
 والملائكة فلا تخفى عليه خافية ولا تعجزه بهم ارادة وقد انعم عليهم
 فكرم آدم بالسجود واتي على قصته مع ابليس وطرد الله له من رحمته
 واتم المعنى بما يناله المستقون من جنات النعيم وأمر الرسول
 ببيان معنى ذلك قائلاً «وان الله غفور رحيم» وأن عذابه هو العذاب
 الاليم ونبأهم باستطراد القول بما كان من ابراهيم اذ انعم عليه بالذرية
 رغم كبره وما اهلك الله به قوم لوط بما افسدوا به وختم هذه القصة
 بقوله : «ان في ذلك لآية للمؤمنين» وانتقل الى ذكر قوم شعيب
 [اصحاب الايكة] وثمود اصحاب الحجر» واهلاكها بالماع موجز مبيناً

بعد ذلك ما يتصل بمعنى اهلاك الامم بعد ايجادها بان السنة في
 البقاء والبقاء قيام الحق، وأن الآخرة من وراء ذلك باقامة
 العدل ايضا، وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
 إلا بالحق وإن الساعة لا تية، (٨٤) وختم هذه الآية بالالتفات الى
 الرسول مهذبا معلما فاصفح الصفح الجميل، (٨٤) ملزما له بذلك لانه
 واجب كمالاته بدليل أن الله هو الخلاق العليم، اوجد الناس وعلم ما هم
 عليه فتجاوز عنهم طويلا ولم ييدهم صجلا فان الحق لا يد من اقامة
 حجة به بعد طويل الصبر على دعوته ذا كرا ما امتن الله به على
 رسوله من الوحي والهداية ولقد و آيتك سبعا من المثاني والقرآن
 العظيم، فانت على نور من ربك وخير كبير من هدايتك فافض من هذا
 الخير على الناس بالدعوة والصبر عليهما، مرشدا له بما فيه تثبيتة وكمال
 دعوته بقوله « لا تمدن عينيك الى مامتنا به ازواجاً منهم، فستعظم
 مام فيه مما يستمتعون به طمعا بمثله او حكا عليهم بانه (وهم على الكفر) ليسواله
 اهلا فاننا سناخذهم بجرائرهم ولا تحزن عليهم، ان اهلكناهم فان بالانعام
 واهلاكهم اخيرا اقامة للحق الذي سبقت الايات بذكره بعد تعداد نعم الله
 من قبلها واخفض جناحك للمؤمنين* وقل اني انا النذير المبين، (٨٨) فان
 في ذلك اقامة للحنة لله على من سبيلكم، واتي على مافية تمام هذا المعنى
 بخطة حازمة فيها ثمرة ما سبق تبياناه بقوله فاصدع بما تؤمر واعرض عن

المشركين ، وختم السورة بما في ذلك من مشقة يضيق بها الصدر
 أوضح دواءها بقوله «ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون»
 فسمح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ،
 فان في ذكر الله سبحانه ذكر لنعمه وحكمته وقدره ، وفي معرفتك ما أنت فيه
 من نعم الله وهدايته ، في خضوعك لما أمرك به وعبادتك له يقيناً تهدي به
 نفسك وتخفف عنك ما تلاقيه فيه ، يقين تنتهي اليه بما تراه من صدق
 وعد ربك في خواتيم الامور وفي مصير الكفر وأهله وحكمة الله فيه وموقف
 الرسول بين ذلك في دعوة وصبر ومن بعدها سورة النحل

﴿ النحل ﴾ سورة مستهلة بذكر إهلاك المشركين وهو معني من معاني
 السورة الآتفة يبين ارتباط هذه ب تلك وكيف تقوم كل سورة
 بایضاح موجز ماسبق ذكره ، وإن الشرك والكفر والایمان والهداية
 من الموضوعات العامة التي لها فروع متنوعة بحسب بواعثها ومعتقدات
 أهلها وحالاتهم وما يتصل بذلك ، فلا تيان على ذكرها يتقارب ويتداخل
 حتى يوجب التكرار ، هذا فضلاً عما تأتى عليه كل سورة بإيجاز ماسبق
 في غيرها مما يتصل بموضوعها ، فالتكرار لهذا بمنزلة التأكيد أو الشرح
 والایضاح ، وإن الأسلوب فيه لیتختلف باختلاف مساقه وإن اختلف
 بتكوينه يوجب الايمان بالله لدقته ونظامه وحكمة القدر فيه مما يقوم به ران

الألوهية وأن احاديث الامم الخالية وما لقيه الرسل كل ذلك من المعاني
 الدائرة في كثير من السور، فهي في كل مناسبة تأتي بقول وتبرز
 معنى واذا لم تكن على ذلك لداعية فقد تجد الآية مرودة بلفظها
 ولكنها فيما جاءت به كنقطة تسميها مكررة في مكانها من
 التكرار الذي يلبسها ثوب الجدة بملاءمتها لما جاءت به تمام
 الملاءمة، وفي هذا التكرار والتوكيد بهذا الأسلوب برهان القرآن
 بعجازه وجريه على نسق مطرد لا يشوبه مما يشوب اقوال البلغاء من
 جهد او تكلف، ولا سيما اذا زجوا بهذا المأزق... وهذه التوطئة
 لسورة النحل توضح ما فيها بما يستيقن به وحدة موضوعها وانسجام معانيها
 فقد ابتدأت بتوعد اهل الشرك وسارت مع هذا السبيل مبينة ان
 الله اوحى بامرهم ما ينذر به الرسول في دعوته وهو تعالى صاحب الخلق
 ودعوة الحق ولكن الانسان مبين في خصامه وعناده رغم ما يري
 من النعم التي خلقت له مستوجبة منه ان يعرف ربه بنعمه، ونفسه
 بضعفه، وذكر الانعام وما اليها بمنافعها وما فيها من زينة وما يدل
 على جليل القدرة في تنويع الخلق مما رأيناه في زمنا مناسباً لذكر
 الدواب وما ينتفع به ركوباً وزينة، من السيارات والقطر والطيارات
 مما اوما اليه بكلمة «ويخلق ما لا تعلمون»، تماماً لقوله فيما خلقه «والخيل
 والبغال والحمير لتركبوها وزينة» وانتقل الى ما يناسب المعنى

ويجري معه من الحياة المعنوية فقال: «وعلى الله قصد السبيل» (٧)
بما يدعو اليه ، فالذي اعد للسبيل ما خلقه مسخراً للانسان ما يقطع به
المسافات هو الذي اوحى بشريعته لتكون سبيلا في حياتهم يخطون به
ويسيرون عليه في اعمالهم ، ومع هذا السبيل سبيل «ومنها جار»
يندفع فيها الناس «ولو شاء لهذاكم اجمعين» بالالزام والاكرام ولكنة
اوضح لكم الرشد من النقي و ترك الامر لكم ليحزيكم فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر كما يختار لنفسه خيرة تكون مدار التبعة ، ومشوبة
وعقوبة واتى بعد هذا على نعم معدودة فيها آيات «لقوم يفكرون»
يعقلون ، يذكرّون (٩-١١) و «لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون»
و «يهتدون» (١٢-١٣) ولقت النظر مع هذا التعداد الى ان فيه
ايجازاً على النسق الذي اطرده فيه بهذه السورة قائلا : «وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها» ونههم الى ما يناسب النعمة من غفرانه ورحمته
مع علمه «بما تسرون وما تعلنون» و كر بعد هذا على ما يعبدون من
دونه مشركين به مبيناً ما يفسد عليهم رأيهم مما يضاد صفات الالهية
(١٠) فكان بعد روعة الانذار ثم تعداد النعم قولاً برهانياً هادئاً أخذ
النفوس بمثل ما هي عليه اولا ولا سيما نفوس مشركي العرب الذين
توجه هذا الخطاب اليهم في هذه السورة خاصة ، حتى اذا جبههم
بالوعيد تلطّف لهم بما يلائم نفوسهم مما يعرفون من النعم التي اقام

بذكرها البرهان على وجوب الاخذ بدينه وعبادته، ثم بعد ان اطمانت
 النفوس الى ذكر النعم وما تدل عليه من صفات الالهية، ذكر
 المعتقد الباطل الذي هم عليه بقول هادي هدهو المنطق، زيادة في
 متانة برهانه من غير ان ينطوي على رغب او رهيب او
 مجاهرة، وفي هذا النموذج من اسلوب القرآن وطريقته فيما
 يدعو اليه، وما انتهى من تبين الفساد في الشرك حتى
 أتى على دواعيه من نفوس المشركين وطباعهم قائلا: « فالذين
 لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة » [لاتلين للبرهان اتباعا لما كان عليه
 آباؤهم من اباطيل المعتقدات المألوفة] وهم مستكبرون، فالصدود عن
 البرهان عاطفيا والكبرياء غرورا هما مبعث الاشراك والكفر لا جرم
 ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين، [٢١] فكرر
 هاهنا بالسر والملاينة مما ذكره قبل ثلاثة آيات بقوله « والله يعلم
 ما تسرون وما تعلنون » بلفظ يختلف قليلا اختلافا مع مجراه وسياقه
 وسيره مع الحالات النفسية فيما تقتضيه، وهكذا فان الالتفات في
 القرآن على ماهي عليه تبع للمعاني والمعاني تبع للاغراض التي تساق
 اليها في كتاب إلهي أريد هدى ورحمة واثقل من ذكر استكبارهم
 الى دحض ما اراهم اليه مناقشا اقاويلهم متوعدا من بعد تبينه ذا كرا
 ما ينالهم من خزي يوم القيامة قائلا لهم بما سيقال لهم

يومئذ « فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبس مشوي
 المتكبرين، واتم ايضاحه لهذا المصير السيء بما يقابله من مصير المتقين
 الذين قيل لهم: « ماذا انزل ربكم؟ قالوا خيرا، للذين احسنوا في هذه
 الدنيا حسنة، ولدار الآخرة خير، ولنعم دار المتقين (٢٨) ولما تم له ما
 اراده من هذا السياق اوضح ان المشتركين يرتقبون كمن سبقهم
 النتائج الاخيرة وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون (٣١) واتي على
 ما يتوهمون فيه حجبتهم بقولهم ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
 نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء، مبينا انها دعواهم الوحيدة
 « كذلك فعل الذين من قبلهم، ولكن مثل هذا القول الفاسد لا ينبغيهم
 بعد ان ارسل الله اليهم رسالة مبينا مشيئته، وقد جعل لهم في استجابة
 الدعوة او الصدود عنها خيرة تكون مدار التبعة، فان كان هذا قولهم
 بان يعزوا لنا غير مشيئتنا فيما نجعله من الاحكام دينا يدين الناس «،
 فهل على الرسل الا البلاغ المبين، بما يدل على ما نشاء ويقيم البرهان داحضا
 ادعاءهم الباطل ببيان ارادة الله فيما احلوه وما حرمه، ثم ذكر البرهان
 الاستقرئي القاريحي على بطلان قولهم وصحة ما يدعوم اليه قائلا:
 « ولقد بمثنا في كل أمه رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم
 من هدى الله [بايمانه وحسن عبادته] ومنهم من حقت
 عليه الضلالة [بصدوده وكفره] فسيروا في الارض، فانظروا كيف

كان عاقبة المكذبين ، (٣٤) لوسلنا وما دعوهم اليه ، لتعتبرنا بمن مضى
 زيادة في الحجة :، وأتي بعد هذا على تفنيدها م عليه مما المع إليه قبلان
 بواعث الاشتراك في الآية العشرين وهو عدم الايمان بالآخرة وما
 يقولون بهذا الصدود واقسمو بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ،
 دون ان يذكر واجة على ذلك فقابلهم تعالى قولاً بقول متين فيه جهد الايمان
 بما يدفعه «بلى وعدا عليه حقا» ثم عطف مضيفا برهان قوله بجمالة
 المشركين وتبيان الحكمة من البعث ولكن اكثر الناس لا يعلمون
 [فهو يبعثهم بعد الموت] ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا
 انهم كانوا كاذبين ، (٢٧) واتبع ذلك بما يدفع مافي نفوسهم من قولهم
 بصعوبة البعث واستحالته فذكر ما في قانون ارادته وتبيان قدرته
 بمداها الاوسع في اليجاد احياء واماتة وبعثا وما وراء ذلك «انما قولنا
 شيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون» ، وانتقل الى ما يناسب
 هذا المقام من ارادته في صدد الشرك واهله بذكر من يقابلهم من
 الذين آمنوا وهاجروا وظلموا وما اعد الله لهم بقوله «لنبوئهم في الدنيا
 حسنة ولاجر الآخرة اكبر» (٣٩) ، ثم اتبع ذلك بما ينبه به المشركين
 (بعد ان دحض اقوالهم وما يتوهمون فيه برهانهم) بان المقال لغيرهم ممن
 لهم سابقة ومعرفة بالايمان والكفر من اهل الكتب السماوية السابقة أما
 مثلهم ممن ليس لهم سابقة علم فان رايهم بغير علم بني على جهالة وختم ذلك بخطاب

الرسول «وانزلنا إليك الذكرك لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون»
 (٤٢) فيعرفوا شيئاً من شريعتنا فيما نريده حالاً وحرماً ولما انتهى بذلك
 القول ناصع البرهان وكان الاشراك من بعده عصياناً فانه ذكر ما فيه
 مزدجر من عذابه بغتة او على تخوف، ثم نبه ان عبادته حق له على جميع
 الكائنات التي اشتملت عليها السموات والارض «وله الدين واصباً»،
 فهل يعبد غيره إلهاً كما به «افغير الله تتقون» ثم عايد ذكرهم بعد الانذار
 والبرهان بما يوجب ذلك من نعمه قائلًا «وما بكم من نعمة فمن الله» ثم
 اذامسكم الضر فاليه تجأرون» ولكن منهم من بعد ذلك من يشرك بربه كفرا
 وأتى على بعض معتقدات المشركين وما كانوا عليه في الجاهلية «ويجعلون
 لله ما يكرهون» [نقولهم بان له البنات] وتصف السنتهم الكذب ان
 لهم الحسنى لاجرم ان لهم النار وانهم مفراطون» (٦٠) وان ذلك من
 غواية الشيطان لهم كمن سبقهم من الامم «وما نزلنا عليك الكتاب الا لتبين
 لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» (٦٢) ورجع الى
 ما كان يذكره من نعم الله في خلقه بما يناسب المقال فذكر ما يحيي به
 الارض من ماء انزله من السماء فضررب مثلاً بذلك للاحياء بعد الموت
 مما فيه قرينة دالة على البعث يوم الحساب، وان ما ينزله من سمائه فيه حياة، فالماء
 يحيي الارض والوحي بهدايته يحيي الانسان، وذكر ما ينعم به العرب
 المشركون بهذا الاحياء من الحيوان والانعام والنبات والنخيل والاعناب

مبيناً ما في ذلك من «آيات لقوم يعقلون» (٥) واتى بتعداد النعم والآيات
 وما فيه برهان وحدانية بما يناسب ما ذكر من نبات وحيوان واحياء
 ووحى جامعاً بين ذلك مع تدرج بين طبقات الكائنات الانسان والحيوان
 والنبات بما جرى فيه سياق قوله في الايات السالفة بتناظر وحسن
 تقسيم، ثم خص بالذكور النحل وما اوحى اليها ربها بما هداها اليه بغريزتها
 «ان اتخذي من الجبال بيونا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي
 من كل الثمرات، فاسلكي سبيل ربك ذللاً» فانه هياً لك الاسباب فلا
 عقبة تصدك وكذلك سبيل هداية الناس فيه استقامة وسلامة ونجاة
 في الدنيا والاخرة وختم الاية بما ينعم به الانسان من سعي هذا الحيوان
 -النحل- فقال «يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس
 ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون» (٦٧) ثم ذكر ان الله خلق الانسان
 وانعم عليه بما يعلمه «ومنكم من يرد الى اذل العمر لكيلاً يعلم من بعد
 علم شيئاً» قبل ان يعيته، فالهداية هدايته مادام هو مصدر ما تعلم وكل
 ذلك نعمة من نعمه، وتواتر الآيات بما مهد لها فيما سبق بذكر نعم
 عددها «والله فضل بعضكم على بعض في الوزق»، والله جعل لكم من
 انفسكم ازواجا (٧٠) ومع ذلك فهم «يعبدون من دون الله مالا يملك
 لهم رزقاً» وقد كان المشركون يقيسون الاقيسة الفارقة لاثبات
 معتقداتهم الوثنية، فضرب لهم الامثال ببيان الفارق الذي يفوتهم

«فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون» (٧٢) منها فيها
 ذكره على قدرته وورقه عبادة، وهداية خلقه وانها دائرة بينهم بالعدل وان
 في ذلك الصراط المستقيم، وان علم الله لا تخفى معه عليه خافيه «ولله غيب
 السموات والارض»، وذكر ان قيام الساعة التي يندبرهم بها «كلمح
 البصر او هو اقرب» (٧٥) وانه هو عالمهم ما يعلمون فليس لهم ان يردوا
 عليه قوله وهو الذي جعل لهم «السمع والابصار والافتدة» (٧٦)
 التي صار إليهم بها ما يعلمون، وان نظام الكائنات كله بيد الله فذكر
 تنبيهاً على ذلك هذه الطيور وهي «مسخرات في جو السماء ما يحسكن
 الا الله» وذكر ما يناسبها مما انعم عليهم به من مسكن وظلال ووقاء،
 حتى اذا انتهى بذلك من استلانة القلوب واقامة البرهان انذر بعذابه
 يوم القيامة وانه سيبعث الرسول الاعظم شهيداً على ما أمر وابه وقد نزلنا
 عليك الكتاب تبياناً لكل شيء [مما سيسألون عنه من معتقد وعبادة
 وعمل وخلق] وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» (٨٧) واعقب ذلك بامهات
 مادرة إليه بقوله خطاباً للمسلمين الذي جعل البشرى في الدنيا لهم قبل
 الآخرة: وان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن
 الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون «ثم خص بالذكر
 مما دعا اليه الوفاء بالعهد والثبات على الايمان وحذر من مزلات الاقدام

فقال «ولا تتخذوا ايمانكم دخلاً بينكم» «ولا تشتروا بمهد الله ثمناً قليلاً» مبيناً مشورتهم بقوله «من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة» ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون» (٩٥) فذكر بذلك ما أمرهم به وما نهاهم عنه وما يثابون عليه ونبه على ان البعد عن ذلك والاشراك من زلات الشيطان وان له مداخل خافية حتى اوجب الاستعاذة منه عند قراءة القرآن زيادة في التحذير ، لئلا يتخذ من وساوسه عند عجزه عن اطاعته ما يضل به فيفسد الفهم او العمل فيضل مؤمن وهو لا يعلم مبيناً بان لاسلطان له «على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون» انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون» (٩٨) ورجع الى ما كان من المشركين من صدودهم عن الاستجابة لدعوة الرسول الاعظم بقولهم له «انما انت مفتر» رغم ان اكثرهم لا يعلمون الحكمة اذ ابدل الله آية مكان آية جرياً مع حكمة النسخ باعقاب شريعة لشريعته والتمهيد لشريعة خاتمة حسب ما تقتضيه الحكمة الالهية ومصلحة المباد ورحمة بهم وهداية واندفاعهم بهذا الزعم وقولهم بان ما يدعيه الرسول من الوحي «انما يعلمه بشر» فدفع ظهم هذا بقوله : «لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين» (١٠١) وذكر ما يناسب ذلك ثم رجع الى ما اوجبه من الثبات على العقيدة بان سينالهم غضب الله ان كفروا بعد ايمانهم اللهم «الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان»

(١٠٤) «ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وإن الله لا يهدي القوم
 الكافرين» أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك
 هم فتن الغالو» (١٠٦) وذكر من كان على عكس ذلك صابراً مجاهداً
 ممن أودوا في صدر الإسلام واضطروا إلى الهجرة وإن لهم الآخرة،
 وبين أن نعم الله تستتبع نعمه «وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة
 مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله
 لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» وإنه «جاءهم رسول منهم
 فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون» (١١١) وذكر لهم ما يناسب
 ذلك مما أنعم به عليهم من الطيبات وما حرم عليهم، وحذرهم من افتراء
 الكذب على الله قائلاً «إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون» متاع
 قليل ولهم عذاب أليم» (١١٥) ثم ذكر أنه حرم من قبل على اليهود
 ما قصصنا عليك (في سورة الأنعام) «كل ذي ظفر» ٠٠ وإنهم ظلموا
 أنفسهم تحذير الله رب من أن يلحقوا بهم بظلمهم بالآصرة إذا قال «ثم
 إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحو» إن
 ربك من بعدها لغفور رحيم» (١١٧) ثم ختم السورة ذكراً إبراهيم
 بعقيدته النقية وإنه «لم يك من المشركين» شاكراً لأنعم الله خلافاً
 لما يزعمه المشركون من أنهم أتباعه في معتقده وعمله وإنما أنت يارسل
 الله على ستمه إذ أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً، وإن القول الفصل

فيما اختلف فيه الناس من اباطيل المعتقدات والمحرمات يوم القيامة اذ
 يحكم به الله وان عليك ايها الرسول ان تبلغ وحيك متخذاً شعارك ما امرت
 به بقول الله، «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم
 [للمشركين والكافرين] بالتلي هي احسن كما رأيت في هذه السورة
 ان اتوك بقول ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين»
 فيشيب كلا عما يستحقه من خير او شر وانكم ان لقيتم من صدود
 وكفران وايداء وأردتم العقوبة فيماثل «ولئن صبرتم لهو خير للصابرين»
 واصبر يا محمد وبذلك خصصه بالقول بعد ان عممه بتوجيه الخطاب له والى
 امته [وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم] اي على هؤلاء المشركين
 ولأنك في ضيق مما يعكرون* ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون،
 (١٢٦) وبذلك ختم السورة فهي بموضوعها تذكر المشركين من
 العرب الوثنيين وتقيم عليهم البراهين في اباطيل معتقداتهم وفساد
 اعمالهم على تعدد ما اتت عليه من الاغراض والمعاني والآيات، ولعل
 في سياق الايات فضلاً عن معرفة اسباب النزول ما يوضح مكانة معنى
 من معنى وارتباط آية بآية ولوعرفت اسباب النزول ومواقفها لكان في
 ذلك زيادة ايضاح وقوة ومن بعدها سورة الاسراء

﴿١٢٦﴾ الاسراء: مستهيلة بتزييه الله وتمجيده في قدرته وما
 ينعم به توطئة لذكر نعمة الله على رسوله بالاسراء به «ايلاً من المسجد

الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو
السميع البصير» يريد ان يفيض على محمد ما يرى معه ببصره ويسمع
بأذنه ما فيه من آيات الله في بقعة أفاض عليها من بر كاته ورحمته ما أفاض
وفاء لثباته في دعوته وتثبيتاً له ليرى ما أعد الله له جزاء اتكاله عليه، مما
يتضح من سياق ما وراء آية الاسراء من آية ذكر فيها سبحانه موسى
وقومه وفي المقدس بيت عبادتهم، وفي تلك البقاع تجلى الله لموسى
وكلمه وانزل الوحي عليه، وذكر انه جعل التوراة لقومه هداية قضت «ألا
تتخذوا من دوني وكيلاً» وقد انعمت عليكم بذلك بعد ان أهلكت
من قبلكم من كفر بالنعمة، وانتم ذرية من حملنا مع نوح، هذا الذي
لم يكفر بالنعمة وفانجيتهم انه كان عبداً شكوراً، فشكر ان النعمة والثبات
على الايمان والاتكال على الله هو موطن العمدة في آية الاسراء وآياته
وصلته في استهلال السورة بعد ان قد كان في السورة الاتفة يقارع
المشركين من العرب ويأمر الرسول بما أخذ به نفسه من صبر ودعوة،
وانهم انكروا عليه هذا الاسراء من نعم الله حتى ارتد بعض من
آمن به قبلاً قائلاً له: (كان امرك قبل ذلك أمماً) فأغربت في مدعائك يا محمد
وعلى اثر ذلك ذكر هذا الاسراء والحقة بما فيه تأكيد له من انعام الله
وانه لا يخرج عن سنته في معاملته خلقه وهذه السورة تستهل بخطاب الرسول
الاعظم وتسوق الايات مساقها ثم تعود لتخطبه كإنسان عليه واجب الايمان

وكرسول عليه واجب الدعوة، فكان الخطاب في سورة النحل السالفة
 الى العرب وفي هذه السورة موجهاً الى رسولهم محمد صلى الله عليه وسلم
 فابتدأ بآية الاسراء، وذكر بعدها بني اسرائيل بما كان منهم وما
 سينزل بهم من النكال وفي خلال ذلك ما يذكركم بالله ويستلين قلوبهم
 لدينه وما يدفع عنهم النازلة «عسى ربكم ان يرحمكم، وان عدتم عدنا
 وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً» (٨) واظهر لهم طريق الرحمة بما بعدها
 من آية «ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون
 الصالحات ان لهم اجراً كريماً» (٩) وانتقل من الانعام على الفرد وهو
 الرسول الى ما واجب هلاك امة واوضح بعد ذلك ما فيه الهداية والنجاة
 والرحمة الالهية، وارتفع عن افق الفرد والجماعة الى تلك الصفة الاساسية
 التي تتصل بالانسان كائنسان فذكر ما يناسب من خلاله مقام الدعوة
 الالهية فقال تعالى «ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان
 عجولاً» وذكر من بعد ذلك ما ينبيه الانسان من هذه الزلة من آيات الله
 في خلقه ودقة نظام الموجودات وما فيها مبيناً «كل انسان الزمناه طائره
 في عنقه» ١٣- فيحاسب على عمله وان الهداية له والضلال عليه بعد ان
 يذكره الله برسالة يدعو اليها «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» وعمم
 القول من بعد تذكره الانسان كفرد الى الجماعة فبين فيهم حكمة بقوله
 «واذا اردنا ان نهلك قريةً أمرنا مترفيها [برسالة] إلهية سماوية تحذرهم ما هم فيه

من عوایة [ففسقوا فيها] وأبوا الاستجابة لها [فحق عليها القول].
 فدمرناها تدميراً» (١٦) وايد ذلك بالمساحة الى من أهلكوا قائلادوكم
 أهلكنا من القرون من بعد نوح، وذكر الانسان بعد ذلك في حياته الدنيا
 والاخرة، يربه وان الحكم فيها لله وحده، فمن سعى للدنيا طالباً عجلاً له
 فيها ما نشاء لمن يريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً، لأن في
 الانهالك وراء الدنيا وحدها روحاً لا يمكن ان ينبت عنها خير، فالذات
 والشهوات وروح الأثرة والكبرياء والغرور امور تلازمه حتماً ومن
 أراد الاخرة وسعى لها سعيها، وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً
 كلاً تمده هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً، لا يمنع
 منه برب ولا فاجر رحمة بخلقهم ووفاة لسعيهم فيما يسعون اليه،
 سيرا مع الحكمة الالهية في نظام الحياة بأمانة من يسعى فيها
 بشمات سعيه والاخرة بما ينعمون به في جنة ورضوان من الله،
 وبه بعد ذلك الرسول الى تمايز الناس واختلافهم في درجاتهم في
 مناشئهم وأن اختلافهم في الاخرة كبر بحسب سعيهم «انظر كيف فضانا
 بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلاً».. -٢١-
 وذكر بعد هذا ما يرتفع بالانسان في هذه الدرجات فابتدأ بالايان
 في ركنه الاصلي قائلاد، «لا تجعل مع الله إلهاً آخر، فتقعد مذموماً
 مخذولاً» -٢٢- وذكر بعد ذلك الاخلاص في العبادة له شكرنا وآتى

على ما فيه تمام الشكر على الخلق والابحار بشكر الابوين بحسن معاملتهما
ولاسيما في عهد الشيخوخة، واخضع لهما جناح الذل من الرحمة وقل
رب ارحمهما كما ربياني صغيرا - ٢٤ - فدل ذلك على ان توجيه الخطاب
لِلرَّسُولِ بأن لا يجعل مع الله إلهاً آخر انما كان تنبيهاً على عظم أهمية
هذا الركن وأنه كان خطاباً لامته من ورائه وهم اتباعه، ودليل ذلك
ما بعد هذا من آية تذكر بوجوب الاحسان للوالدين مع ان الرسول
- ص - يتيم لطيم، وذكر في آيات تباعاً من الاخلاق والاعمال ما أوجبه
ومن المبادئ ما فيه نظام الحياة متنقلاً من الخطاب الفردي مثل «ولا تجعل
يدك مغلولاً الى عنقك ولا تبسطها كل البسط» - ٢٩ - الى خطاب الجماعة
«ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق» - ٣١ - «ولا تقربوا الزنى . . . تلتظفوا
الى النفوس واستلانة لها بتوجيه الخطاب الى الرسول مجزم في الامور
التي تعتبر بحد ذاتها شخصية، ثم الاتيان على الامور العامة بتوجيه الخطاب
الى الجماعة كقتل البنين والزنى ووفاء الميزان وهي كلها اعمال لا تكون
من الفرد وحده، وقد رجع بعد ذلك الى خطابه الفردي بما يخص الانسان
كإنسان له قواه المدركة «ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً * ولا تمش في الارض مرحاً
(٣٦-٣٧) وان . . . ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة» (٣٩)
واتبع هذا بما كان ابتداءه في هذه الوصايا وهي خمس وعشرون قيل

بأنها مما ورد في التوراة قائلًا: «ولا تجعل مع الله إلهاً آخر» (٣٩) حتى
 إذا انتهى من دعوته إلى مافيه كمال الفرد في معتقده وخلقه ومعاملته
 دعاه إلى مافيه صلاح المجتمع ولا سيما العربي الذي كان يتجه الخطاب
 في هذه السورة إليه، اخذ بمناقشتهم فيما يناسب ذلك فابتدأ بالمعتقدات
 التي يعتقدونها مؤمنين بها تبياناً لما دعا إليه من وحدانية، واخذ يسوق
 الآيات بطريقة جدلية مفهومة ببرهانها، قوية بتأثيرها وروعتها، واتي
 على انكارهم البعث بمثل قوله: «وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون
 خلقاً جديداً» - ٤٩ - فأجابهم بقوله «قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً
 مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يبعدها؟ قل الذي فطركم أول
 مرة» فسينخفضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون
 قريباً * يوم يدعوكم [دعوة البعث] فتستجيبون بحمده، وتظنون ان
 ليثم الا قليلاً» (٥٠-٥٢) والتفت بعد هذا كأننا انكر ما هم عليه من الاشراك
 وانكار البعث مخاطباً من آمن بما يجب عليه، لأن المشرك بعد
 هذا إما مصر رغم ما اوضح له فلا تنفعه دعوة وخطاب، وإما مستجيب
 للدعوة فمثله بعد ايمانه يجب ان يوجه خطوة في طريقه الجديدة فاتجه
 الخطاب إليه بقوله «وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان
 ينزغ بينهم ان الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً» (٥٣) واني الرحمة
 والعذاب بيد الله فما على محمد رسوله الا ان يبلغ الدعوة وما ارسلناك

عليهم وكيلا، (٥٤) فتكرههم على الايمان برسالتك، وارتفع بخطاب
الرسول درجة ملمعا في ذلك الى حكمه وقد احاط بكل شيء علماً
«وربك اعلم بمن في السموات والارض، ونوه بمكانه في رسالته
وأنها فضل من الله وأنها المعيار عنده وليس المعيار ما يملكه في الحياة من
مال ونحوه مما تضمنه قوله، «ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناه
داود زبوراً» (٥٥) ولعل في هذا تبيان وجه ذكر داود وزبوره في
هذا المقام دون ما آتاه الله من نعم الدنيا وخيراتها، واعاد الكرة على
المشركين بتبيان ضلالهم في معتقدهم قائلاً: «قل: ادعوا الذين زعمتم
من دونه [أي من دون الله فاتخذتموهم شركاء له] فلا يملكون كشف
الضر عنكم ولا تحويلا» (٥٦) وألمع الى أن الفساد في العقيدة يمتد حتى يصبح
سجية في النفوس فذكر ما يلزم ذلك من عقاب قائلاً: «وان من قرية
إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذاباً شديداً، كان
ذلك في الكتاب مسطوراً» وانه ما حال دون ما طلبه القرشيون من
الرسول من «الآيات إلا ان كذب بها الاولون»، من امثالهم ممن
استوجب بعد ظهور هذه الآيات هلاكهم باصرارهم، وما رسل بالآيات
إلا «تخويفاً لان مغبتها القول الفصل باهلاك المصرين؛ وتبشر الرسول
(ص) بعد ذلك باستعلاء كلمته عليهم وانقيادهم له بقوله، «واذ قلنا
لك ان ربك احاط بالناس فاذا كر هذا يوم تراه في الدنيا بالظفر عليهم

او في الآخرة بما سينزل بهم من نكال الله، وانك ستري ذلك حقاً،
 ثم نوه بما يراه يقيناً بمثل شجرة الزقوم في الجحيم التي استغربوا امرها
 كشجرة تنبت في مكان وقوده الناس والحجارة فلا يؤمنون ونخوفهم
 محذرين عاقبة ما هم فيه « فما يزيدهم الا طغياناً كبيراً » (٦٠) واتى على
 مبدأ هذا الطغيان في الخليقة بذكر آدم واستكبار ابليس عن
 السجود وأخذه على عاتقه ان يضل ذريته وان يسلبهم ويعدهم « وما
 يعدهم الشيطان الا غروراً » (٦٤) فحذر تعالى ودعا الى سواء سبيله
 وحذر من عقابه وذكر الانسان بمكائمه ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في
 البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً
 (٧٠) « وانهم بعد ذلك سيحاسبون فيجزون بعملهم » ومن كان في هذه
 [الدنيا] اعمى [عن دعوة الله] فهو في الآخرة اعمى وأضل سبيلاً (٧١) وانتقل
 الى درجة اشد في الكفر بما حاوله مع الرسول (ص). يدل ان يؤمنه ابيه،
 « وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره ، واذا
 لاتخذوك خليلاً (٧٢) فحذره وثبته للعبادة ووفاء حق الله وتبليغ
 الدعوة « وقل جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقاً » (٨٠) وهذا
 الحق في دعوة القرآن واضح الاثر « وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
 للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً » (٨١) واوضح ما يدعو الانسان الى هذا
 الخدار بانه مستكبر مغرور « واذا انعمنا على الانسان اعرض وناى بجانبه وعلى

العكس من ذلك في حالة ضعفه «واذا مسه الشر كان يؤوسا» (٨٢)
 قل: كل يعمل على شاكلته، وربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا» (٨٣)
 ثم اتي على جواب بعض ما كان يشكل على العرب بما سألوا الرسول
 عنه فقال: «ورسالتك عن الروح، قل: الروح من امر ربي، وما اوْتِيتُمْ
 من العلم الا قليلا» (٨٣) فاجاب موجزاً بما يفهم منه اهل العلم وجوها
 دون ان يفيض في القول مبينا ان ذلك لنقص علمهم وعجزهم عن ادراك
 ما يسألون عنه، ونوه بما في كتابه من علم افاضه على رسوله وانه من رحمة
 الله ونعمه عليه، وان فيه برهان صدقه ومعجزة رسالته فلا يستطيع الناس
 ان يأتوا بمثله «ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» (٧٧) وانهم وجدوا فيه
 ما يدعوهم للايمان ولكنهم ابوا ضلالا وقالوا اقوالا سخيفة لا تدل على
 تدبروا اعتبار وفهم: «وقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
 ينبوعا * او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها
 تفجيرا * او تسقط السماء كما زعمت علينا» [الماء] لقوله تعالى او نسقط
 عليهم كسفا من السماء ..] او تأتي بالله والملائكة قبيلا * او يكون لك
 بيت من زخرف، او ترقى في السماء، ولن نؤمن لرؤيتك حتى تنزل علينا
 كتابا نقرؤه، وهكذا اغربوا في مطالب دلت على حدود نطاقهم
 وبعدهم فيها عما يدعون اليه «قل: سبحان ربي هل كنت الا بشراً
 رسولا، آتيكم بما يوحي الي واطهر لكم من المعجزات ما يفيضه الله

علي، وهل جئت لاعتث بنظام الكون فاستجيب لكم بكل ما تطلبون؟
واوضح سبب امتناع الناس عن الايمان بعجزهم عن فهم الوحي او
استكبارهم على منزلة الرسالة كراهية ان يرتفع بها عليهم بشعر منهم «فرد عليهم
بان في ذلك نظام الوحي والارشاد، ولو كان ثمة سهل الى غير ذلك «لترانا
عليهم من السماء ملكا رسولا»، فلا بد لدعوة الناس من بشر مثاهم
يخافونهم ويكون قدوة لهم في عمله فلا يكون غريبا عن فهمهم وغرباء
من فهمه، كل يشعر بغير شعور الآخر ويدرك غير مدراكه، وذاكر
بعد ذلك ما يناسب هذا التغالي والاصرار ليكون موقفا للرسول «قل
كفي بالله شهيدا بيني وبينكم» فله القول الفصل «ومن يهد الله فهو
المهتد، ومن يضل فلن تجد لهم اولياء من دونه» (٩٦) فسيما قبهم على
كفرهم بآياته بعد بعثهم الذي يفكرون بعثا اورده برهانه بتدبيرهم
بقدره الله الواضحة فيما خلق وانه جعل لهم اجلا لا ريب فيه، ولكنهم
ابوا «الا كفورا» (٩٨) وفي هذا الصدود ججود لرحمة الله فيما هداهم
اليه رحمة منه، واوضح بعد ذلك ان من طبائهم ما يدل عليه «قل لو اتم
تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكم خشية الاتفاق، وكان الانسان
قتورا» (٩٩) ففي ججوده وبعده عن هداية الله ورحمته فساد في طبيعته
واجب التهذيب والتربية بالاستجابة للايمان وما يدعى اليه ولكنه
محبوب عن ذلك بغروره فهذا موسى بآياته التسع قال لفرعون «ما انزل

هؤلاء الارب السموات والارض بصائر، فلم يستبصر مستكبراً
فأغرقه الله ومن معه «وقلنا لبني إسرائيل: اسكنوا الارض المقدسة»
التي ارادوا ان يستفزوا منها، وسنحکم يوم القيمة بحكمنا الذي
شرعناه لكم، وهذا القرآن يبين الحق كذلك لكم ايها الناس «وبالحق
انزلناه وبالحق نزل، وما ارسلناك الا مبشراً ونذيراً» وقد انزلناه مفزقاً
«لتقرأه على الناس على مكث» فيتدبروا ويفهموا ما فيه ويحفظوه وأنه
ينزل بحسب الحوادث الداعية ليكون فيها للناس وهداية «ونزلناه تنزيلاً
(١٥٥) قل: آمنوا به ولا تؤمنوا» فان الذين يتدبرونه ولا سيما الذين
اتوا العلم من قبله- (من اهل الكتب السماوية السابقة خاصة)- يفهمون
دعوتهم ويخشعون لها ساجدين لله «وله الاسماء الحسنى» وانقل من هذا
الى ما يناسبه مما يستوجب المقام فقال «فادعوه بها» واجعل صلاتك بسكينة
(ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سميلاً * وقل الحمد
لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك ولمن يكن له ولي
من الدن، وكبره تكبيراً» وبهذا ختمت السورة، فهي بموضوعها ذكر
الايمان والرسالة وما تدعو تبين اليه والنعم الالهية في ذلك، تخاطب الرسول
وقومه، وان ما انت على ذكره من الامم الخالية تايدوا وبرهاناً لما هي بسميله
عبرة للناس وقد استهلت بما رآه الرسول من آيات الله وانطوت على
ما طلبه قومه المشركون من الآيات بعد جسدال معهم وختمت بآية

القرآن وانه معجزة الرسالة بما فيه تأييد لوحداية الله ووجوب عبادته
 وحده، ففي هذه السورة اتمام لموضوع سورة النحل السالفة بالاتيان
 على معتقدات المشر كين ودرخصها بقول مسهب، مفصل بعد ان كان
 الموضوع في تلك خطوة تمهيد لهذا المقصد. ومن بعد الاسراء سورة الكهف
 الكهف سورة مستهله بحمد الله الذي انزل القرآن على عبده
 «لينذربا ساء شديداً من لدنه وينبش المؤمنين الذين يعملون الصالحات»
 (٢٠)... «وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً» مما لا علم لهم به فيكون
 لزعمهم هذا قيمة كبرت كانه تخرج من افواههم، (٥) ولعل هذا مما يحز في
 نفسك يا محمد «فلعلك باخع نفسك على آثامهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
 اسفاً» (٦) فهون عليك فان ما على الارض مما ينعمون بخيراتهم ويعتزون
 به انما اريد لحكمة ولنبلوهم ايهم احسن عملاً «فنجزي الناس بما يعملون»
 واتي على قصة اهل الكهف وهم فئة من المؤمنين في امة مشركة مستهلا
 القول بشأنهم بان ليس في امرهم عجب، وآياتنا فيها حكمة وقدره، فأسهب
 في ذكرهم وكيف احياهم الله حياة طويلة ناموا خلالها فترة كبيرة
 تبدلت فيها الارض، من عليها، ذهب فيها قوم وخلف من بعدهم آخرون
 ليكونوا مثلاً للبعث ودليلاً، عليه وفي خلال ذلك اتى على ما يناسب
 المقام والعبرة مثل قوله: «ذلك من آيات الله، من يهد الله فهو المهتد
 ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً» (٧١) وهي قصة طالوت قريش - (بتجريض

اليهود) ان يسألوا الرسول عنها كما سألوه عن الروح وذي القرنين، ليرى ما يبلغ علمه عليه السلام بما هو مغيب عنه من الاخبار الماضية التي لا يعرفها العرب وكانت في كتبهم مروية في ذلك دلالة على انه لم يكن يدور بخلد هم ان للرسول اطلاً عا على ما عندهم، وقد كانوا يخفونه حتى اتفقوا على ذلك قائلين: لا تطلعوهم على شيء «ليحاجوكم به عند ربكم» فدعوهم لا يعرفون ما اتم عليه لمن معتقداتكم وعلمكم، وكان في هذا الاخبار مرحلة ثالثة بعد دعوته العرب الايمان في سورة النحل اولاً ثم مجادتهم في سورة الاسراء ثم الاتيان على ما طلبوه من الاخبار في هذه السورة، وختم حديث اهل الكهف بما قضوه بانه «ثلاثمائة سنين وازداد واتسعا» وان الله اعلم بذلك اذ «له غيب السموات والارض» والتفت الى خطاب الرسول بان يتلوا ما أوحى اليه من القرآن وان يصبر «مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه» وان يقول الحق مبلغاً «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» فللظالمين جهنم وللمؤمنين الذين يعملون الصالحات جنات «وحسنت مرفقا» وضرب بعد هذا مثلاً للمؤمن والكافر برجلين لكل منهما جنة في دنياه ذات ثمر، احدهما يتكل على الله ويعلم انها من نعمه، وآخر يعتر بنفسه وماله وولده، حتى اذا اهلكه الله تنبه الى حقيقة فاذا هو «يقول: يا ليتني لم اشرك بربي احداً» وضرب المثل للحياة بزينتها وخضرتها ثم فناها قائلاً: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» والباقيات

الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا، (٤٩) وذكر بعد هذا موت
 الناس جميعاً ثم حشرهم وحسابهم وفتری الجرمين مشفقين، مما في كتاب
 احصى كل صغيرة من عملهم وكبيرة ولا يظلم ربك احداً، (٤٩) وحذر
 من هذا المصير استجابة لدعوة شيطان كان عدواً لهم منذ خلق الله آدم اباهم،
 وان الله سيقول يومئذ للمشر كين: ادعوا من زعمتموهم شر كاء، فيروا
 آئذ بطلان زعمهم ومصير شر كههم، وفي هذا تحذير قبل ان يروا ذلك كأننا
 ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ليقتسوا عليه ما هم
 فيه وما سيصيرون اليه، ولكن الذي يصرف الانسان عن العبرة
 والتدبر انه جديده وكان الانسان اكثر شيء جدلاً، [٤٥] وان الذي
 يصد الناس عن الايمان رغبتهم بما كان عليه آباؤهم، وليكننا نرسل
 المرسلين مبشرين ومنذرين، ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا
 به الحق، واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا، وحذرهم عاقبة ذلك ثم
 اتى على قصة موسى واجتماعه بعد من عباد الله صالح لعلمه الخضر وآتيناه رحمة
 من عندنا وعلمناه من لدنا علماً، (٦٥) فهو يسير بمقتضى الحكمة التي
 تخفى على الناس بما فيه صلاحهم وهم يحسبون فيه شراً، فذكر قصته
 مثلاً للايمان وحكمة الله وعلمه وما يخفى على الناس، تبياناً لما لم الله
 ورحمته وان الحق ما يأسر به لاما يعرفون ولا سيما ما القوه اذ اعن باهمهم
 وانتهى من ذلك الى قصة ذي القرنين وهو رجل مجد يسمى مستفيدا

مما هيأنا له أسبابه في الحياة إذ «مكننا له في الأرض وأتيناه من
 كل شيء سبيفاً فأتبع سبيها» فسعى فاتحاً مشرقاً ومغرباً يدفع فساداً
 عرفه الناس به، فمر بقوم شكوا إليه فساد جيرانهم فاستعانوا به . عليهم
 فأقام لهم سداً من دونهم فلما أتمه قال : «هذا رحمة من ربّي ، فإذا جاء
 وعد ربّي جعله دكاً ، وكان وعد ربّي حقاً ، وأنهم سيخرجون
 فينتشرون في الأرض ثم تكون القيامة فيجمع الله الأئمة ، ويومئذ يرى
 جهنم «الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون
 سمّاً ، وأنهم سيلقون فيها جزاء اتخاذه من عباده أولياء يعبدونهم
 من دونه ، وحذر من خسران أعمال الذين يحسبون في الدنيا أنهم
 يحسنون صنعا» ممن ضل سعيهم لفساد ما ياتون مغرورين وما يعقدون
 كافرين ، بأن جزاءهم جهنم ، وأتى على ذكر ما يقابلهم من المؤمنين
 «الذين عملوا الصالحات بأن لهم الجنة» ، وختم السورة بأن الله كلمات
 لا تنفد ، فيها علم وقدرة وحكمة وإن الرسول بشري وحى إليه بالوحدانية
 «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً»
 وبذلك ختم السورة بمثل ابتدأها به من عبادة خالصة لا شرك معها
 وفي خلال ذلك ذكر قصة نمر مؤمنين كانوا مستضعفين في قومهم هم أهل
 الكهف ، وأورد قصة مؤمن يرى نعمة الله فيما ملك يده من جنات ،
 ضرب الله به مثلاً للعبرة ، ومؤمن آتاه الله علماً فهو يسير مع الحكمة
 الخافية اجتمع به موسى (ص) فرأى منه ما رآه ، ومؤمن كان في سلطانه ، وهو

ذو القرنين ، فهي سورة الايمان واهله والعمل الصالح بثمرته
والتحبيب به ومن بمدھا سورة مريم

﴿ مريم ﴾ : سورة تقوى وبنوة وكمالات في ولادة وقرباة
وحياة فيها آيات لينات عوالى صراط مستقيم ، تمثل من الايمان اهلا ،
فهي مستهله بذكر رحمة الله على عبد انعم عليه بالنسوة وانعم
عليه في اهله واسرته فوهب له يحيى على وهن عظم شيخوخته
فكان «برا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا» (١٤) ثم اعقبته بذكر
مريم وكانت في كماله فتاة طاهرة متعبدة متبيلة «فارسلنا اليها
روحنا ، فتمثل لها بشرا سويا» (١٧) فذعرت منه فقال «انما انا رسول
ربك لاهب لك غلاما زكيا» فاستغربت ذلك كما استغربت زكريا
من قبل ذلك لشيخوخته فقال لها «كذلك قال ربك هو علي هين»
وان الله جعله آية فتكلم في المهد بما آتاه الله وما امره به ، فكان في
الحديث عنها حديث عن مؤمن ومؤمنة في موضوع يدل على قدرة الله
مما ختم السورة الآتفة بالتنويه به وبالرسول الاعظم [ص] وآيات ربه موجزا
ببليغ القول في كلماته ، فكان بذلك الارتباط وثيقا والتسلسل ظاهرا
وختم قصة عيسى [ص] منتهيها الى التحذير من الاشراك بالقول بانه
ابن الله «ما كان لله ان يتخذ ولدا ، سبحانه» وانما خلقه آية للناس ورحمة
بقدرته وامره واذا قضى امرا فاعما يقول له : «كن فيكون» حسب

مشيئة، واتبع ذلك بالدعوة لعبادة الله وحده ولكن الناس اختلفوا
 «فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم» ثم اتى على ذكر مثل
 آخر من امثلة الايمان بذكر ابراهيم وابيه ازر الذي كان يتخذ
 الاصنام كقومه طاب الله وما اخذه به ابراهيم من حلم ودعوة وما انعم الله
 به عليه بعد ذلك في اسرته فوهب الله له اسحق ويعقوب بنين وذرية
 طيبة ثم ذكر موسى وكيف انعم الله عليه بشهوة اخيه هرون معه
 ثم ذكر اسماعيل وادريس وغيرهما ممن يعبدون الله خاشعين وما كان
 من بعدهم اذ جاء ابناء اقوام «اضاعوا الصلاة» وهي عنوان العبادة
 الخاشعة «واتبعوا الشهوات» (٥٨) وذكر ما سيلقون من عقاب «الا
 من تاب وآمن وعمل صالحا» (٥٩) فانهم سيدخلون جنة وصفها ممدة
 لساتقيا، ثم اتى على لسان جبريل بان ما يفعله والملائكة انما
 هو بامر الله، وان الله لا ينسى رسوله محمدا [ص] ملما بذلك الى
 تخلف الوحي عنه فيما كان يسأله المشركون عنه مما جاءت على ذكره
 السورة الا نفة من اخبار اهل الكهف وذي القرنين، وما نوه به من
 امر الروح في سورة النمل من قبلها وما كان ربك نسيما، (٨٣)
 فالعباد الصالحون الذين ضرب بهم الامثال يجري بهم على سننهم في
 الاحسان اليهم والى اهلهم في الدنيا قبل الآخرة، فما عليك يا محمد الا
 ان تعبد الله وتضطرب لعبادته فتنال على تلك السنة ثوابك من ربك

دهل تعلم له سبب (٦٤) وذكر من ثم انكار الحشر وما وراء ذلك من
 عقاب في جهنم ، وقل من كان في الضلالة فليمد له الرحمن مداً ، حتى
 اذا رأوا ما يوعدون : إما العذاب وإما الساعة ، فسيعلمون من هو شر
 مكاناً وأضعف جنداً * ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات
 الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مهراً « (٧٤ - ٧٥) واتى بعد
 هذا معرضاً بزعيم في المشركين هو «العاص بن وائل» الذي كان مغروراً
 بما هو عليه حتى قال «لاوتين مالا وولداً» فانما سنحشره يوم القيمة
 فرداً ، وذكر أن مشركي العرب قد اتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
 لهم عزاً ، (٨٠) ولكنهم سيكونون عليهم ضداً يوم نسوق المجرمين
 الى جهنم ورداء ، ثم اتى على الذين اشر كوا بقولهم «اتخذ الرحمن ولداً»
 (٧٨) : فقال لهم : لقد جئتم شيئاً إداً * تكاد السموات يتفطرن منه ،
 وتنشق الارض ، وتخر الجبال هدأً ، وان كل من في السموات
 والارض عبد الله سبحانه فالذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل
 لهم الرحمن وداً ، (٩٥) وهذا القرآن داعية له جاء مبشر الصالحين ومنذراً
 «قوماً لداً * وكم اهلكنا قبلهم من قرن ، هل تحس منهم من احد
 او تسمع لهم ركزاً» وبهذه الروعة في دفع الاشرار ختم هذه
 السورة ، فهي تتم ما قبلها بما فيها وفيها من قصص من انعم عليه
 «الرحمن» بايمانهم في اهليهم ومن سيهلكهم في كفرانهم ما يعتبر

به مستبصر يقع من نفسه رائح البيان في مواقفه الساحرة تعرف
 لرحمن رحمته في نعمة الاهل والهداية الى طريق مستقيم وما يقابل
 ذلك من عناد كعناد آزر يا ثي دعوة ابنه ابراهيم (ص) فيساخذه ببر
 الابوة قائلا «سأستغفر لك ربي» او كمصيان المغرور (العاص بن وائل)
 اذ طلب من الدنيا مالا وولدا عما انعم الله به على المتقين ممن ذكروهم
 من الانبياء والمخلصين فلم ينعم بخير زائل يكون عليه وبالا في الآخرة
 اذ ياتينا «يوم القيمة فرداً» فهي سورة نبوة بنعمها وهدايا وكلمات إلهية
 بآياتها والآلهة، وهدى بأمثلته في أسري قابل في ضلال بأمثله ~~وما تم~~ من
 حكم الله فيهم جميعا اذ اعد للمتقين جنة كما اعد للمجرمين نيرانا. ومن
 بعدها سورة طه.

طه : سورة مستهلة بما يناسب سياق هذه السورة بمجادل
 فيها عن الايمان بالله ويدعو اليه ويلزم بالصبر عليه بان الله قد اراد من
 ذلك التذكرة لمن يخشى دون ان يشقى الرسول في دعوته وقد انزل القرآن
 عليه الذي لا اله الا هو له الاسماء الحسنى، وذكر للرسول حديث موسى
 وإرساله الى فرعون وقومه وما كان من ايمان السحرة بعد ان اجتمعوا
 باصر من فرعون يرجون القربى عنده ان كانوا غالبين، وما انذرهم به
 لايمانهم قبل ان ياذن لهم، وما امتن الله به عليهم من بعد ذلك وما كان من
 اشراك قوم موسى بعد ذلك واقامة تمثال «عجلا جسدا له خوارف» قالوا هذا

إلهكم وإله موسى «اذ كان في مناجاة ربه. منقطعا للتعبيد والاعتكاف
 في فترة بعدما امتن الله عليه باهلاك فرعون دون ان يروا وبمدها التمثال
 عن صفات الألوهية «افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا
 ولا نفعا» وان هرون [ص] كان بينهم فغضب موسى [ص] عليه فاعتذر
 بان قد خشي ان يهرق كلمتهم بنبت من فعل ذلك فيحرق موسى لهم
 التمثال ودعاهم الى وحدانية الله قائلا «انما إلهكم الله الذي لا اله الا هو
 وسع كل شيء عاملا ١٧ فأورد بذلك قصة فرعون بغيره ومصرعه والايان
 بيرهاته وتأثيره وما يعرض من بعده من وثنية. تقوم على الاوهام
 وخاطب الرسول (ص) بعد ذلك قائلا: «كذلك نقص عليك من انباء
 ما قد سبق، وقد آتيناك من لدنا ذكرا» ٩٨- فحذر من الاعراض عنه
 وصور الحشر وعقاب المجرمين وما الى ذلك داعيا الى الايمان والعمل
 الصالح مبينا أن وحي القرآن دعوة الى الهداية بتحذيره «وكذلك انزلنا
 قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا»
 وذكر الغواية وما اصاب آدم -ص- ابا البشر، وبين ان الحياة دائرية بين
 الشيطان واغوائه ودعوته الى الشر وبين الانسان وما امر به من فضيلة
 وسمي الى غاية مثلي وكمال منشود «قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض
 عدو فاما يا أيها الذين آمنوا فليست لهم اله الا الله الذي لا يشق» اما من
 كان على عكس ذلك فله الخسران وأليم العقاب والمع الى من اهلك

من الأمم الذين خلقوا من بعدهم واحتلوا ديارهم قائلين ان في ذلك لايات
 لا في الذبي [١٢٧] وان كلمة الله اوجبت امهال قومك يا محمد [ص] فاصبر
 على ما يقولون وسبح بحمد ربك، وامره بما فيه القدوة لاتباعه باسلوب
 ربه نعم الله عليه ويشبهه في دعوته فيكون صابرا كما امر، فيهندي
 الناس به ذاكرين ربهم دون ان يكون في شقوة من هذه المهمة،
 وبذلك يتقابل المعنى في بدء السورة وختمها ويكون ما بين ذلك
 ايضا حاويا كان في هذه السورة [عن طريق عرض احوال امة بهدايتها
 وضلالها] تسقط المواقع التأسي والمعبرة فيها، تثبيتا للرسول في دعوته،
 وختمت بآيتين فيهما تبيان معنى الرسالة وهدايتها انذارا من الله ورحمة
 لعباده قبل ان ينالهم عذابه ذلة وخزيا، متوعدا بما سيتضح في العاقبة دقل
 كل متربص فتربصوا فستمعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن
 اهتدى، ومن بعد طه (وهو الرسول الاعظم) (ص) سورة الانبياء
 [صلوات الله عليهم]

ط مستهله باقتراب الحساب وغفلة الناس عنه بالتلمي عن استماع
 الوحي ما فيه ذكر لهم من ربهم واسارة لقولهم ان الرسالة لا تكون لبشر
 فهو سحر ساحر وشعر شاعر، اخذ بعرض اقوالهم واباطيل معتقداتهم
 ودفعها بمثل قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا حين *
 لو اردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعليهن * بل نقذف

بالحق على الباطل فيدمنه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون
 [١٦-١٨] مبينا للرسول انه يجري على سنة من قبله في دعوته وما امر
 بتبليغه من وحدانية الله والوحيته، واتى على ذكر خلقه وما بدل عليه من
 السماء والارض، وانتهى الى الانسان وحياته قائلا كل نفس ذائقة
 الموت، ونبأكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون، وذكر من بعد ذلك ما فطر
 عليه الانسان مما هو سبيل لصلاله قائلا دخل الانسان من اجل ساركم
 آياتي فلا تستمعجلون، (٣٦) ذا كرا ما ينكرون من البعث وما كان من
 ستماء بالرسل السابقين وما أصابهم بسبب ذلك وناقشهم في أباطيل
 اعتقادهم بالالوهية وختم ذلك بما أمر الرسول بقوله قل إنما أنذركم
 بالوحي، - ٤٤ - وأنتم الآية تبيان إصرارهم قائلا ولا يسمع الصم الدماء
 إذا ما يندرون، وحذر من حساب يوم القيمة واتقل الى ذكر موسى
 وهارون وما أوحى إليهما به وضياع ذكرى للمتقين، وأن القرآن ذكر
 مبارك أنزلناه أفاتمم له منكرون، أيها الناس وقد دعيتم إليه نورالكم وتبصرة
 وهداية ورحمة، ثم عرض لذكر ابراهيم واثنية قومه وكيف وقف منهم
 بعد تكسير أصنامهم ثابتاً بإيمانه حتى أرادوا إحراقه فانجاه الله، وذكر
 بعد ذلك عدة أنبياء وما كان من قومهم وما انتهى اليه مصير كل منهم وما
 أنعم الله به على المتقين ودعا الى التأسي بذلك والاعتبار به قائلا في الختام
 إن هذه أممكم أمة واحدة «أمة هداية تجري منذ الخلق على طريق

مستقيمين في اطراد الدعوة الى الله، أمرة بالخير ناهية عن المناسد في العمائد
والاخلاق والاعمال مما ذكره في عرضه الموجز لمن ذكرهم
من الانبياء قبل آيات، وودعا الى عبادته وحده مبنياً أخلاقهم وانهم
«تقطعوا أئسرهم بينهم» (٩٣) منبهاً أن مصيرهم اليه وماسيكون من حسابهم
بجزاء المتقين وعقاب الظالمين منبهاً أن في دعوة الخير والصلاح عمارة
الارض قائلة ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون، (١٠٥) ذاكرامو جزاً عن رسالة محمد (ص) رحمة للعالمين
وما يقوله للذين يصدون عن دعوته «رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان
على ما تصفون» وبذلك ختم السورة فهي بموضوعها تقيم ما قبلها بغرض
رسالات امم وما نذروا به وما هي عاقبتهم يوم القيامة منذرة محذرة
داعية الى الايمان بالله من غير إشراك به مبينة للمشر كين من العرب ضلال
العقيدة وسوء مصيرها. ومن بعد الانبياء سورة الحج

الحج سورة مستهلة بوجوب اتقاء الله لما في الآخرة من هول
يوم المحشر وكان القول موجهاً الى الناس عامة أعقبه بآيات الحشر لهم بدليله
من الحياة في الاطوار التي مر الانسان بخلقها وفي إحياء الارض بالمطر
بعد موتها حتي ينبت فيها «من كل زوج بهيج» نباتا متناسلاً فامياً فيه
ذكوره واناثه وذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأن الله يبعث
من في القبور، (٧) واعقب ذلك عن لا يرى هذه البراهين من جهالة وضلال

فقال: «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير *
 ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله ، له في الدنيا خزي ، ونديقه يوم القيامة
 عذاب الحريق » (٩-١٠) وهي فئة من الناس هذا شأنها لا تعلم علماً ولا
 تهتدي برأي غيرها ، كتبوا ولا تستقيم أقول به من كتاب سماوي غرورا
 منها وكبرياء وضلالا حتى تستوجب عقوبة في الدنيا والآخرة وقد كان سبب
 نزولها ما كان يجادل به الرسول في هذا الصدد من مثل (النصير بن الحارث)
 وانتقل بعد ذلك من سوء التعميد قائلا: «ومن الناس من يعبد الله على
 حرف ، فإن أصابه خير [بعد إسلامه] اطمأن به [إلى دينه وعبادته] وإن
 أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة » برجوعه إلى وثنية
 ضررها أقرب من نفعها ، بيد أن الجنة للذين آمنوا وعملوا الصالحات ،
 (١٤) ثم من حسب أن ما يفوته في الدنيا بخيراتها من ورائه أيضاً
 فوات الآخرة بخيراتها ، فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع ، فلينظر هل
 يذهبن كيده ما يغيظ ، فإن عدل الله قد جعل من وراء الدنيا آخرة
 والمثوبة فيها بيده تجري على إرادته وفي اعتبار ذلك هداية ، والذين
 اختلفوا بذلك من أهل الأديان فسي فصل الله بينهم يوم القيمة
 فيتضح لهم ما كان حقاً ؛ «إن الله على كل شيء شهيد» (١٧) يعرف
 أمة تعد كل فئة وتعبدوها وما هي عليه من خطأ أو صواب وهدى
 أو اضلال ، وأنى على ذكر مخلوقاته التي تفهيه حق عبادته ثم نوه بالإنسان

وما سيصيبه من عقاب الجحيم لكفرانه وخروجه على نظام هذه الفطرة
والكائنات المخلوقة وهو منها يجري على نظامها ، واعقب ذلك ثانياً بما
ينعم به «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» (٢٣) ثم خصص من العبادات
التي يعبد عنها الكافرون والمسجد الحرام ، بالحج والصلاة صدوداً عن
سهيل الله ثم ذكر مكانة البيت وانما رفعت قوائمه للعبادة والحج وابتى على
ذكر مناسكة الاسلامية وحالة المؤمنين النفسية في قيامهم بها «الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم» من خشيته «والصابرين على ما أصابهم
والمقيمي الصلاة» ومما رزقناهم ينفقون ، (٣٥) وبين ان المقصد من تلك
الشعائر والاضاحي (التقوى) «لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ،
ولكن يناله التقوى منكم» (٣٧) قسمة الغاية من العبادة وهي السكامة
التي تدور في كل مقصد تنطوي على خلق قويم وعمل صالح واعتقاد
منير راسخ ووضح بعد ذلك مامر به من وفاء المؤمنين حقهم
في دنياهم وانتقل الى ذكر القتال باسبابه الداعية اليه من دفع الظالمين وصدودهم
عن اقامة شعائر الدين وكرر وعد الله بالنصر والتفت بالخطاب الى
الرسول بانه ان كذبه قومه فله العبرة عن سبق من الائم الخالية فلم
يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها واذان يسمعون بها
فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ، (٤٦)
ونبه على ان الرسول نذير وذكره بالمصمة رغم انه بشرفي طبيعته «اذا

تمنى القى الشيطان في امنيته، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم آياته «
 ذاكراً ان الكافرين في مرية «حتى تأتيهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب
 يوم عقيم» (٥٠) واتم في الآيات التالية ما كان بصدد من المعاني من
 ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين واخذهم كلاً بما عمل في الدنيا والآخرة
 وجعله ذلك سنة ذلك ومن عاقب بمنل ما عوقب به ثم يفي عليه لينصرته الله ان
 الله لعفو غفور» (٦٠) واتى على ذكر قدرة رب العالمين ودعوته الى الحق والى
 احكامه نظام الحياة والارض وجعله مناسك العبادات بمنزلة لها ثم اتى
 على العبادة لغيره قائلاً ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما
 ليس لهم به علم ٧١-٧٢. فيبين انها عبادة كفرو جهالة وهي لمن لا يخلق شيئاً
 ولو صغيراً كالذبابة من عجز لا تليق معه عبادة صاحبه عبادة تدل على انهم
 «ما قدروا الله حق قدره» واتبع ذلك بالتقوية عن اصطفاها للدعوة والعبادة
 من الملائكة والرسول ودعا المؤمنين الى اداء عباداتهم وان يتكلموا
 على ربهم فختم السورة بقوله «يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا
 واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وجاهدوا في سبيل الله
 حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم
 هو سلك المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم
 وتكونوا شهداء على الناس، فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة اعتصموا بالله
 هو مولاكم فنعهم المولى ونعم النصير ٧٦-٧٨ في سورة العبادات والتقوى على

هدى وبصيرة من الله، ثوابها من الدنيا والآخرة وان من صدعنها وأذى
 أهلها فله العقوبة وان لمن أذى أما الصبر والصفح وأما المقابلة بالمثل فدعا للشر
 وان النصر الالهية له وخص البيت الحرام ومناكب الحج لانها كانت في صدر
 الدعوة الاسلامية مدار ما يلقاه المسلمون من اذى ونكال شديد
 لا يأتهم بدينهم وعبادتهم له. ومن بعد سورة الحج المؤمنون
 ﴿١٠١﴾ المؤمنون سورة مستقلة يذكر فيها فلاحهم وما هم عليه من عبادة
 وزعة وتزاهة وحسن مخالطة فهم بذلك اكمل الناس خلقاً في الدنيا
 واكمالهم عليه في الآخرة فهم صفوة الانسانية، وما انتهى من ذكرهم
 بما هم عليه من ايمان وعبادة واخلاق وما سيصيرون اليه في فردوس الخلود
 حتي فصل في ذلك فذكر الانسان بخلقها واطوارها وما انعم به عليه
 مما ياكله من الفواكه والانعام، وما ارسل اليه من الرسل وذكروا منهم نوحاً
 وقومه منذ دعاهم الى ان اهلكهم الله بذنوبهم وبعدهم عن الايمان الذي
 دعا اليه ثم ذكر موسى واخاه عيسى وامه وما دعوا اليه مما فيه خير الدنيا
 والآخرة بقوله تعالى «يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما
 تعملون عليم» (٤٩) وان ذلك موجز دعوتهم التي تجعل المؤمنين على اختلاف
 أجناسهم وعصورهم أمة واحدة وان هذه أمتكم أمة واحدة وانار بكم
 فاتقون». - ولكنهم بدّل ذلك اتبعوا ما فيه تفرقتهم ففطعوا امرهم بينهم
 كل حزب بما لديهم فرحون» (٥١) وهم من ذلك في غمرة «حتى حين» وأنهم

سيصيرون من بعد ما ينعمون به من الخير الى ما لا يحمدون لان ما هم
 عليه ليس من الايمان باخلاقه وان الذينهم من خشية ربهم مشفقون،
 (٥٤) ممن لا يشر كون ويخشون يوم بعثهم وحسابهم وأولئك يسارعون
 في الخيرات وهم لها سابقون، (٨٧) وأتبع ذلك بما بين الحد الذي يؤخذ
 المرء بالحساب عليه، لما في الناس من افراط وتفرط تنبيهاً وتحذيراً قائلاً:
 «ولا تكلف نفسك الا وسعها»، واتبع ذلك باقامة العدل ذا كراماً لديه من
 كتاب «ينطق بالحق»، فيما كان عليه المرء في دنياه وما سيناله الظالمون ممن يقال
 لهم «قد كانت آياتي تتلى عليكم، فكنتم على أعقابكم تنكصون» مستكبرين
 به سامراً تهجرون، (٨٤) بديل تدبره، وقد جاءكم على سنة البعث رسول
 يحذركم كما جاء آباءكم برسولهم، واتي على بعض تقولاتهم من ازورار عن
 الدعوة قائلين بأن ما يزعمه الرسول من جنة مع ان جاءهم بالحق ولكن
 «أكثرهم للحق كارهون» ولوا تبع الحق أهواءهم، لفسدت السموات
 والارض ومن فيهن، وحسبك من ضلالهم أنا انزلنا القرآن عربياً فيه
 سمو مكاتبتهم وتخليد ذكركم عاطراً بين الناس لو استجابوا له ومع ذلك
 وفهم من ذكركم معرضون، (٨٨) ولست يا محمد تسألهم مغرماً او تكلفهم
 شططاً وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم، وذكر السبب في ذلك منبهاً
 الى ما بين الايمان بالآخرة واستقامة السيرة من صلة قائلاً: «وان الذين
 لا يؤمنون، بالآخرة عن الصراط لنا كبون»، (٩١) لان النظر الى الدنيا

وحدها دون اعتبار آخرة من بعدها لا يكون معه إلا ما فيه مفسدة من
 طمع بلذات، واخذ بضروب الاثرة مع غفلة عن أعقاب الامور ومصائر
 الحياة، وإن الرحمة لا تليق بهم لأنها مدعاة لحاجهم وطفيتهم بل العذاب
 لم يؤثر فيهم «ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا الربهم وما ينضرون»
 ولكنهم سيرون أشد مما نزل بهم «حتى إذا فتحنا عليهم أبواباً ذات عذاب
 شديد إذا هم فيه مبلسون» (٩٤) في فجعة وانكسار وياش بعد أن كفروا
 النعمة ونسوا الآخرة وإن الحياة والموت بيد الله قائلين بأن البعث من
 أساطير الأولين، رغم علمهم بأن الأرض والسموات وباقي الملكوت
 لله وأن السلطان له ولا راد لأمره «وهو يحير ولا يحار عليه» وقد
 آتيناهم بالحق فكذبوا على الله فيما قالوا به من اتخاذ ولد ووجود شريك له ثم وجه
 الخطاب بعد ذلك بما يجب أن يقوله ويسلكه مع المشر كين قائلين فيما
 قاله: «ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون» وأستعذ بالله من هزات
 الشياطين، وقل: اعوذ بك رب أن يحضرون» (١١٥) لأن مصير ذلك
 منذ الوفاة واضح حتى يتمنى المرء أن يعود إلى الحياة قائلًا: «سلي
 أعمل صالحاً فيما تركت» وليس له ذلك «ومن وراءهم برزخ إلى يوم
 يبعثون» فيحاسبون يومئذ ويلقى الضالون عذابهم وجزاء سخرتهم
 بالمؤمنين الذينهم يثابون اليوم «عاصروا» (١٢٥) وختم السورة بتذكيرهم
 بجملة حياتهم التي تمضي سريعاً وهم يفعلون عما وراءها «أفحسبتم أنما

خلقناكم عبثاً وانكم اليينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق ، لا اله الا هو
رب العرش الكريم » وان للشرك بالله والكفر يوم الحساب وقل
رب اغفر وادحهم وانت خير الراحمين »

فهي سورة الايمان واهله ومن كان مشركا من ورائهم وفي هذا بيان
لسبب تسمية السورة ودلالة على موضوعها ومن بعدها سورة النور
﴿النور﴾ سورة مستهلة بالتنويه بما فيها من آيات وتذكرة تنوياً
بما ستأتي عليه من حكم الزنى والملاعنة وما كان من افك افتري به على
زوج الرسول الاعظم (ص) السيدة عائشة (ض) وما كان من اذاعة
المنافقين له خاصة ، حباً بان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ميئاً وجه الحكمة
الالهية في هذا الحادث من حيث النتيجة قائلا : لا تحسبوه شرّاً لكم بل هو خير
لكم ، (١١) وان فضل الله ورحمته شملت من تمجّل بسوء ظنه وتقوله بدون
ان تكون له بينة على ذلك ، وردد هذا المعنى زجراً عن العودة لمثله لما
فيه من فساد تسوء به العواقب والفتن ، وخاطب المؤمنين بعد ذلك
ناهياً عن اتباع الشيطان تعميماً للقول وما يدعو اليه من فحشاء ومنكر
مخصصاً النهي عن حافة تحول دون احسان مما كان من ابي بكر [ض] اذ آلى
ان لا ينفق على ابن خاتمه [مسطح بن اثانه] وكان من المصيبة التي
خاضت في حديث الافك وكان فقيراً ينفق ابو بكر عليه مرغماً بالمعفو بقوله
« ألا تحبون ان يغفر الله لكم ان الله غفور رحيم » (٢٢) وهي حادثة كانت

من جراء الافك وحديثه انزلها تعالى من هذا الحديث بمنزلتها تبياناً لما
يكون في مثلها لتكون للمسلم درساً وعبرة فيما يتوجب عليه، ونهي عن
الافك وأوجب في ادعاء الزنى اليقينة والتلاعن حتي إذا كان شيء رغم
ذلك فان كمال الخلق يستوجب أن لا يندفع من كانت له صلة بهذا
الافتراء مع شعوره وغضبه بل يأخذ بهذه السنة فيعفو ويصفح ما كان
في ذلك خير دفعاً للفساد في الارض، وهكذا تنزل الحوادث الخاصة
بل وجميع القصص في القرآن منزلة الاعتبار وهي امثال للناس وحياتهم
وما يعرض لهم في دينهم ودنياهم، ومن هنا كان لها من الأثر ما لا يقع
المرء عليه في قول مجمل ودعوة الى الخير عامة ونهي عن الفحشاء والمنكر
بإيجاز من غير هذا القصص المفصل لما في طباع الناس من قوة الفهم
اذ تكون بادراك المحسوسات أكثر من ادراك الاقوال النظرية والقواعد
الكلية، ولما للمرء بغيره من بني البشر من اسوة حسنة تبلغ في نفسه
قرارتها، فالناس للناس قدوة في خير وشر، وتتابع الايات بمد ذلك
بالنهي عن الافتراء مبينة في الزواج ان الخبيثين للخبيثات والطيبين للطيبات
وانتقل الى ما يتصل مباشرة بالحياة الزوجية وهو المسكن فاوجب حرمة المنازل
وغض البصر وحفظ الفرج ونهي عن التبرج وابداء النساء زينتهن لما
في ذلك من اغراء قد ينتهي بما لا تحمد عقباه ورغب بالنكاح قائلاً هو انكحوا
الايا منكم والصالحين من عبادكم وامائكم، ان يكونوا فقراء يغفمهم الله من

فضله والله واسع عليم « (٣٢) وأعقب ذلك بدعوة الى التمعف وأتم
 ذلك بما فيه للمبيد رحمة واطلاق من رق بالمكاتبة بعد ان دعا الى تزويجهم
 لتكون حياتهم في انفسهم وتكوين اسرهم على خير حالة ، ونهى عن
 البناء واكره الاماء عليه كما كان ذلك في الجاهلية عند بعضهم
 اكتسابا للمال باستثمار عفتهم وختم ذلك مبينا اهمية هذه الاحكام
 بقوله : «ولقد انزلنا اليكم آيات بينات ، واتم هذه الآية بما فيه تنبيه
 الى ان ما اتى على ذكره في هذه السورة كانت له فيما خلا من الايام
 اشباه بما ذكره القرآن كحديث مريم في النساء ويوسف في الرجال ،
 قائلا : «ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ، وموعظة للمتقين ، وانتقل في
 الآية التالية الى افق اوسع في تبيان اهمية آياته بان فيها نورا للناس
 وتبصرة من الله «الله نور السموات والارض» وضرب المثل لهذا النور
 بما فيه «نور على نور» قائلا «يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله
 الامثال للناس والله بكل شيء عليم» فايدكره لهم انما هو على علم بما فيه
 هدايتهم وخيرهم ، واعقب ذلك باخلاق من اخذ بالهداية التي دعا اليها
 من ذكر الله حتى لا يغفل عنه ومن تسييح لمعرفته بالله وما هو له اهل ،
 هذا الى اشتغاله بالدينا والاقبال عليها بالتجارة وما اليها بحيث لا تنسيه واجبه
 فتلهمه عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة [لأنهم] يخافون يوما
 تتقلب فيه القلوب والابصار ، فهو لا يحزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم

من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب ، (٣٨) واتم هذا المعنى
بما يقابله من اعمال الكافرين وانها « كدراب بقيعة ، او » كظلمات ،
« بعضها فوق بعض » على عكس ما فيه هداية الله من « نور على نور »
كما سبق ذكره بآيات ، واتبع ذلك بان تسيح الله نظام في الحياة في
الارض والسماء « والله ملك السموات والارض والى الله المصير »
ونبه على قدرته وما يوجب ذلك تنبيهه برهان على الألوهية
وهدايتها ووجوب تقديسها وهي تعد الأسباب
بمثل تراكم السحاب حتى تحيى به الأرض ، ذا كرا تعالى سلطانه
في خلقه وتنويمه له خاتما ذلك بما فيه دلالة على آياته وهدايته بأنها
كنظام هذه الكائنات ان اتبعت « لقد انزلنا آيات بينات والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم » (٤٦) وهي آيات بينات لمن هداهم الله فآمنوا ،
ولذلك أتبع حديثهم بحديث من يتلبسون بالايمان من المنافقين آتيا
على ما كان منهم (بمثل حديث الافتراء الآنف) من فرار من الرسول
وحكمه حين لا يكون الحق لهم ومن فرارهم من الخروج الى الجهاد ،
مقبيا ذلك بما يلزم اطاعة الله ورسوله قائلا : « وإن تطيعوه تهتدوا ، وما
على الرسول إلا البلاغ المبين » ، ذا كرا ما يكون من هذه الاطاعة من خير
في الدنيا والاخرة بما تستلزمه بقوله « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم

وليسكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلهم من بعد خوفهم
 امنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم
 الفاسقون ، (٧٥) حتى اذا انتهى مما يناسب ذلك من اقامة الصلاة
 وإيتاء الزكاة وتأكيد الطاعة لرسوله وتبيان قدرته تعالى على الوفاء بوعده
 النصر بتوهين شأن الكافرين في الارض بقوله ، لا تحسبن الذين
 كفروا معجزين في الارض ، وما وهم النار [فضلا عن ذلك في الآخرة]
 وليس المصير ، (٥٧) ذكر بعد ذلك ما يتم حكم ما كان يصدره من
 حرمة المساكين فأوجب الاستئذان وأوفى القول حقه بما يلزم ذلك
 بذكره حق المواكلة ولا سيما من بيوت ذوي القربى الذين والاصدقاء
 المخلصين وما يناسب ذلك مما اختتم به هذا القول «فاذا دخلتم بيوتا
 فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ، كذلك يبين الله لكم
 الآيات لعلكم تعقلون ، (٦١) ورجع الى ذكر خلق من اخلاق المؤمنين
 ممن ذكروهم قبل ذلك باطاعة الله ورسوله فنبه الى لزوم اجابتهم لدعوته
 والبقاء في مجامعهم اذا دعاهم لامر جامع فيه مصالحة عامة وختم السورة
 بقوله «ألا ان الله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ، ويوم
 يرجعون اليه ، فينبؤهم بما عملوا والله بكل شيء عليم»

فسورة النور اتمت اخلاق الايمان وما يلابس عيشهم وما
 يعترضهم في الحياة الخاصة والشؤون المنزلية من الاحوال الزوجية

والبيتية وما يعترضهم في الحياة العامة من كيد المنافقين وما يجب
 عليهم في ذلك مما فيه تمام معاني السورة باغراضها ومن بعد النور سورة الفرقان
 الفرقان وهو القرآن يبين حدود الله ويفرق بين
 الحق والباطل فهو نور من نور الله هدى الناس اليه وانذرهم بما فيه
 وبهذا استهلكت السورة محقبا براش ما نذروا به من اعتقاد بالوحدانية
 مع برهانه ، بانه تبارك وتعالى : له ملك السموات والارض .. وخلق
 كل شئ وفقده تقديرأ ، اذا كرا ما تقوله المشركون بشأن القرآن من زعم
 افتراءه وانه اساطير الاولين فرد عليهم بقوله : قل انزل الذي يعلم السر
 في السموات والارض ، (٦) ولهذا كان فيه الاخبار عن المغيبات الماضية
 والآتية وما في النفوس من خبيثة لان الذي انزل يعلم كل سر فلا يخفى
 عليه خافيه ، وفي هذا وجه من وجوه اعجازه ، وقالوا غير هذا بان رسول
 الله بشر كالbشر وليس له كنز ولا حائط ولا بستان وانه رجل
 مسحور ، فرد عليهم وانذرهم بالآخرة يوم يوثق بما يعبدون من دوز الله
 فيقول : اأنتم أضللتهم عبادي ام هم ضلوا السبيل ؟ قالوا : سبحانه ما كان
 ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ، ولكن متعتهم وآباءهم حتى
 نسوا الذكر وكانوا قوما بورأ ، (١٧) وطلبوا نزول الملائكة بالوحي
 فذكر لهم اي يوم ينزلون يوم يعض الظالم على يديه يقول : يا ليتني
 اتخذت مع الرسول سبيلا * ياويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا * لقد

اضلني عن الذكّر بعد اذ جاءني ، ثم اتبع ذلك بما يشتهي منه الرسول من
قومه اذ « اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » (٢٩) وما طلبوه بشأن القرآن من
ازاله دفعة واحدة ، فيين الحكمة في زوله من جملة كذلك لثبته بفؤادك ،
ورتلناه ترتيلاً * ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيراً .
(٣٢) وسيرون ما كان يجب اتباعه ؛ اذ يحشرون على وجوههم الى جهنم ،
(٣٣) واتبع هذا بدكر موجز لامم خلت اهلكهم الله وما فيه من عبرة
تعاقلوا عنها « ولقد اتوا على القرية التي أمطرت مطراً سوء [سدوم من
قرى الشام كانت لقوم لوط] فلم يَكُونُوا يَرُونَهَا ؟ » بلى ولكنهم
منصرفين عن ذلك كله اذ كانوا لا يرجون نشوراً (٣٩) فهم ان سمعوا
داعياً للايمان جزعوا قائلين : « هذا الذي بعث الله رسولا * ان كاد
ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها » (٤١-٤٢) فهم قد اتخذوا آلهتهم
اهواءهم فدعهم فانهم لا يعقلون « انهم الا كالانعام بل هم اضل سبيلاً
بانصرفهم عن عبادة الله الذي ترى آياته في خلقه ، وذكرهم بذلك في
قرآنه « فأتى اكثر الناس الا كفوراً » وامره بالتوكل عليه وانه جعل
الايام تبعاً « خلقه لمن اراد ان يذكر او اراد شكوراً » (٦٢) واتبع
ذلك بما يجب على المؤمنين بالرحمن من استمسك به فذكر من الاخلاق
اسماها واكملها بما فيه خير الدنيا والاخرة « خالدين فيها حسنت مستقراً
ومقاماً » وختمه بآية تبين معنى العبادة ومصير الانصراف عنها باسلوب زاجر

بعد ان مهداه بما سبق ثمهداً نفسياً ليناً جاءت الخاتمة من بعده كأنها مفاجأة
ليكون الانذار بلغ اثره بالتفاته السريع: «قل ما يعذبكم ربي لولا دعاؤكم
فقد كذبتم، فسوف يكون لزاماً» فهي سورة تبين دعوة القرآن
وما قيل فيه آية على ذكر العقيدة والرسالة والوحي وطريقة نزول
القرآن منجماً وما يأمر به القرآن وما هي اخلاق الايمان عرضاً وجداً
وبرهاناً يتصل بالنفوس لتؤمن به وترى الكمال بدعوته وفي هذا المقصد وحده
موضوعها على تعدد هذه الاغراض المتلاصقة كاجزاء يتمم بعضهم
بعضاً تجعل لكل آية مكاتبتها مما بعدها وما قبلها في معناها
على تنوع في الاسلوب بما يترك في النفس اثر او يمدد لكلمته بما يجب
ان تكون عليه في الآية التالية كما رأيت في آية الختام بمراعاة ما تتركه
الآيات السابقة لها من اثر. ومن بعد الفرقان سورة الشعراء.

الشعراء. الشعر فرقان العرب وديوانهم الجامع لما بلغوا
اليه في بيانهم ومداد كههم وعواطفهم، استهلت سورة اربابه هذه بذكر
الكتاب المبين واثر صدود المشرقين في نفس الرسول قائلاً، «لعلك باخع
نفسك [مهلك لها] ألا يكونوا مؤمنين، [من فرط اهتمامك وتأسفك]
«ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لهم لها خاضعين،
ولكن الحكمة الالهية لم تستلزم ذلك فارسلناك رسولاً يؤمن بك من
يؤمن بدعوتك على هذا الاسلوب الذي تراه والطريقة التي تتبع، ثم

ذكر إعراضهم وما في الأرض من آيات انصرفوا عنها وهي داعية
 إيمان، واتباع ذلك من صفات الله بما يناسب الإيمان والكفران الذي
 يكون عليه الناس قسائله، إن الله هو العزيز الرحيم، (٩) ثم أتى على
 ذكر رسالات وأممها وكيف أهلكتها وأسهب فيها اسهاباً يعرض
 لتاريخ شعوب في الإيمان وكفرانها مبتدئاً بذكر موسى وفرعون
 ليرى الرسول الأعظم ما هو مقبل عليه في دعوته وما ذاتكون العاقبة فيكون
 له بها عبرة وسلوان، وقد تأسى الرسول (ص) بموسى فيما أوذي به
 فقال في أحد مواقفه (يرحم الله أخي موسى لقد أوذي أكثر من هذا
 فصبر...) وهي قصص تردد في سور كثيرة كل سورة بالأسلوب الذي
 يتفق والغرض الذي سيقت له، وقد تتشابه في نقاط وتختلف في
 أخرى، حتى انتهى من ذلك بالآية (١٨٨) وكرر قوله: وإن ربك هو
 العزيز الرحيم، لا ينال من عزته عصيان هؤلاء القوم من الكافرين وإنما
 عاملهم والناس جميعاً بالرحمة، وتلك سنته فيهم حتى إذا استوفوا حظهم
 من سمة رحمته أخذهم مأخذ العزة ونصر دينه وأعز رسوله في عاقبة
 حميدة، فهذه الآية جعلها لازمة ينتهي بها في هذه السورة حديث كل
 قوم أتى على ذكرهم ثم رجع إلى ما ابتدأت به السورة مما ساق له ذلك
 القصص في مساقه فذكر القرآن وأنه وحي من الله وأن على الرسول أن يدعو له
 أهله وأن يخفف للمؤمنين جناحه وأن يتكل على الله الذي يرى جهده

وختم السورة بان دعوة القرآن وحي من السماء معرضاً بما كان الشعراء عليه
 في شعرهم وغوايته وهم من قومهم رؤوس عناد وصدود مستثنيا اهل
 الايمان منهم واثمهم في هجائهم متصفين لامعتدين وختم ذلك بقوله
 «وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون» ومن بعد الشعراء سورة النمل
 النمل سورة مستهلة بالتنويه بالقرآن وآياته وأنه
 هدى «وبشرى للمؤمنين» ووصفهم بآيات ثم خاطب الرسول قائلاً :
 «وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم» وأتبعه بمن اوحى اليهم حكمة
 وعلمها من قبله ليسكون في الاستقراء والدليل التاريخي برهان لمن لم يؤمن ،
 فذكر موسى والوحي عليه وما كان من مصير فرعون وقومه اذ جحدوا بما
 جاءهم به من الايات وقد استيقنتها انفسهم وكان ذلك منهم ظلماً وعلواً ثم
 ذكر داود وسليمن وافاض بما اوتيهم سليمان وكيف دع ابلقيس
 للايمان بدينه وكانت مع قومها تعبد الشمس واراها معجزات الله على
 يديه بما آمنت به بعد ان قال لها من تستشيرهم من قومها نحن اولوا قوة
 واولوا باس شديد (٣٣) معتمدين على قوتهم وبأسهم ثم ذكر قصة
 صالح في قومه ثمود اذ تأمر عليه تسعة رهط ممن كانوا «يفسدون
 في الارض ولا يصلحون» (٤٩) فاهلكهم الله بما ظلموا ثم ذكر لوطاً وقومه
 وما نهام عنه من فاحشة فلما كان جواب قومه الا أن قالوا: اخرجوا آل
 لوط من قريبتكم انهم اناس يتطهرون، فكان في تهلكهم جميعاً

وفما ذكر من الانبياء واخبارهم برهان الوحي على خاتمهم مؤيداً بمصير من
صمد عن دعوة الله، كان البرهان التاريخي اولا بقصة موسى وسليمان وكان فيما
تبع ذلك بقصتي صالح ولوط، وختم الاخبار بخطاب الرسول (ص) « قل :
الحمد لله [على الهداية، النصر] وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما
يشركون، [٥٩] واتبع ذلك بآيات خلقه الدالة عليه واتبعه ببعض اقوالهم
والرد عليها وانتهى لقوله « فل سيروا في الارض فانظروا كيف كانت عاقبة
المجرمين » (٦٩) وكان في خلال ذلك يخاطب الرسول بما يثبت قواده
تمثل قوله « ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يعصرون ،
(٧٠) ثم خص القرآن بانه « يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه
يختلفون » ، وانه « لهدى ورحمة للمؤمنين » ، (٧٧ ، ٧٨) وختم متوعداً (بعد
تلك البراهين التي تدل على صحة وحي القرآن ووجوب الاستجابة
لدعوة الرسول ورده على اباطيل معتقداتهم بما) سيلقون « حتى اذا جاؤا
[يوم القيمة] قال [تعالى لهم] اكدبتم باياتي ولم تحيطوا بها علماً ، ام ماذا
كنتم تعملون ، (٨٥) وبين ان الحجة ستقوم عليهم بذلك مؤيداً له بما اتبعه
من ذكر آياته بتمثل قوله : « ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار
مبصراً ؟ ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » ، (٨٧) وذ كر من شؤون الآخرة
ايضاً ما ذكر واوضح المعيار في يوم الحساب بقوله « من جاء بالحسنة
فله خير منها ، وهم من فزع يومئذ آمنون * ومن جاء بالسيئة فكبت

وجوهم في النار، هل ينجزون الا ما كنتم تعملون، (١ - ٩٠) وختم
 السورة بخطاب الرسول بما أمر به من عبادة الله الذي له كل شيء، وان
 اتلوا القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل: إنما أنا من
 المندرين، (٩٣) الما الى مصير كمصير من سبق ذكرهم ممن اندروا فكفروا
 فاهلكوا وقل الحمد لله سير يكمل آياته، فمقر فونها، وما ربك بغافل عما
 تعملون، (٩٤)

فهي سورة فيها برهان وحي القرآن ووجوب الاستجابة للرسول
 والدليل على المعتقد الذي يدعو اليه ومعياد الحساب الذي ينذره وكلها
 تدور حول موضوع واحد موجزه ان هذا القرآن وحي فآمنوا واتخشروا،
 ومن بعد النمل سورة القصص

❦ القصص سورة مستهلة بالقنويه بآيات الكتاب المبين وان ما
 ينلى على الرسول الاعظم فيه من انباء موسى وفرعون ما يكون عبرة
 وتثبيتا للمؤمنين، واتي على استكبار فرعون ومما ملته بني اسرائيل ثم نشأة
 موسى عند فرعون وان اهلك الله فرعون وختم ذلك بما فيه التنبيه الى القصد
 من ايراد ذلك بان جاء كتاب موسى من بعد ما اهلك تعالى القرون الاولى
 التي لم تؤمن بما اوحى اليها بصائر للناس وهدى ورحمة لعلمهم يتذكرون،
 (٤٢) ونوه بما في قصة موسى من امور كانت مجهولة عند العرب لا يعلمها
 الرسول ولا قومه دلالة على أنها وحي من عند الله، وذكر أن الله ارسله لئلا

«تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم، فيقولوا: ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
 فنتبّع آياتك ونكون من المؤمنين»، (٤٧) وانه لما ارسل اليهم محمدا (ص)
 بالحق من عند الله: «قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى [من الآيات
 المعجزة] أو لم يكفروا بما اوتي موسى من قبل؟ قالوا: سحران تظاهرا،
 وقالوا: انا بكل كافرون»، ثم اتاهم بما هو أسد في الحجة بتيان مقصده من
 دعوته الى القرآن قائلا كما علمه ربه «قل: فاتوا بكتاب من عند الله هو
 اهدى منها [من القرآن والتوراة] اتبعه» ان كنتم صادقين» * فان لم
 يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير
 هدى من الله، ان الله لا يهدي القوم الظالمين»، (٥٠) ثم نوه بالقرآن ومن
 آمن به وذكر من صد عنه مخاطباً لهم بما فيه تذكرة وزجر بمثل
 قوله: «وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير
 وأبقى أفلا تعقلون»، (١٠) واتى بآيات تفي هذا القول حقه وألحقه بمثل
 يدعمه: «ممن اوتي خير الدنيا فبطر بأن ذكر قارون من قوم موسى وما
 كان مصيره في الهالكين وقد قيل له: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة
 ولا تنس نصيبك من الدنيا، واحسن كما احسن الله اليك، ولا تبغ
 الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين»، (٧٧) فابى قائلا: انما
 اوتيته على علم عندي، فهو مال جاءني بمهدي وكدي ودربتي فيما
 يشمره واندفع فيما نهى عنه فاهلكه الله فخنسنا به وبداره الارض» «حق

أصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكان الله يسطر الرزق لمن يشاء
 من عباده ويقدر ، لو لا ان من الله علينا لخسف بنا ، ويكانه لا يفلح
 الكافرون ، (٨٢) ولما اسي الحديث بشأن الدنيا وما يفوي فيها بما يصرف
 عن الآخرة قال : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في
 الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ، (٨٣) وختم السورة بالقيمة الرسول
 من هجرة ترك فيها بلده بسبب دعوته للقرآن ذا كراً فيه فضل الله عليه
 بما وحي به اليه وان يصبر اهذه الدعوة فلا يتوانى في ذلك فيكون
 دظهير الكافرين ، وأن يدعو لوحدانية « كل شئ هالك إلا وجهه له
 الحكم وإليه ترجعون » فهي سورة تذكرا لایمان وما يصرف عنه وتضرب
 المثل لكلا الحالین بما فيه العبرة ومن بعد القصص سورة العنكبوت
 ﴿ العنكبوت سورة مستهلة بأسلوب قوي بالغ بان الايمان لا بد
 له من برهان في احتمال ما يأتي بسببه ، « ألم احسب الناس ان يتركوا ان
 يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » ، وان ذلك سنة في الحياة ولقد فتننا الذين من
 قبلهم ، وألحقنا بأن من صيد عن الايمان عائد الى ربه فيحاسبه ، ومن
 جاهد فأنما يجاهد لنفسه ، باحتماله في سبيل عقيدته ما يحتمله لما في ذلك من
 رفعة ومشوبة ، وان عليه ان يصبر حتى اذا جاهد هو الداء فعليه مع معاملته
 لهما بالاحسان ان لا يطيعهما بالكفر ان كما كان مع سعد بن ابي وقاص
 اذا آلت امه ان لا تطعم ولا تشرب (وكان بها برأ) حتى يرجع عن

اسلامه فاني، وكان ذلك شرعة الله، واتبع ذلك بما يكون من
 ضعفاء الايمان والمنافقين ممن إذا أودى في الله لم يصبر ونكص على
 عقبيه حتى إذا رأى المسلمين بخير في غنيمة ونصر قال : «إنا معكم ،
 مبيناً أن الصدود عن الايمان قد يتقابل بدعوة الكافرين للذين آمنوا إذ
 يقولون لهم «تبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ، وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء»
 تحذيراً للمؤمنين بتبيان تبعه كل امرئ على نفسه ، واتبع ذلك من أخبار
 المرسلين وامهم بما يدعم في النفس أثر الاحتمال في سبيل الايمان والزيادة من
 العقيدة ، واوردني خلال ذلك من الآيات ما فيه برهان الايمان والهداية بمثل
 قوله تعالى : «قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء
 النشأة الآخرة ، دعماً للبعث ببرهانه من الخلق وأن من بعد الحياة
 نشوراً وحساباً ، وختم ما ذكره من أخبار الماضين بقوله : «فكلاً
 أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ،
 ومنهم من خسفنا به الارض ، ومنهم من اغرقناه ، وما كان الله ليعظلمهم ولكن
 كانوا أنفسهم يظلمون» (٣٨) ثم ضرب المثل قائلاً : «مثل الذين اتخذوا
 من دون الله اولياء [اطمئنوا الى نصرتهم] كمثل العنكبوت اتخذت
 بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت » (٣٩) وبهذا سميت السورة ،
 واتبع ذلك بما فيه تنبيه العقل وإيقاظ النفس بتبيان دواعي الايمان
 قائلاً فيما قاله : «خلق الله السموات والارض بالحق ، إن في

ذلك لآية للمؤمنين» (٤٢) وانها دليل الوحي الذي يأمر
بالصلاة «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» [لما فيها من ذكر
الله بالتوجه اليه والوقوف بين يديه، فيذكر المرء ما احل الله وما حرم
ويقىس على ذلك ما فعل فينبى الى ربه ان لم يرتفع في مقام عبادته هذه درجة
على درجة بما يرى من آية الايمان بمناجاة ربه وذكره له] ولذكر الله
أكبر، في مفعوله من النهي عن الفحشاء والمنكر، لانه طريق يرتفع
بالانسان الى درجات فوق الحياة بسفاسفها ومساولها بما ينبت من ضروب
التيقظ والوجدان والسعي لا كسب الخير والمعالى فاوضح بذلك القرآن
ما يجب على الانسان ثم عطف على من يصد عن دين الاسلام قائلاً ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن، الا الذين ظلموا منهم وقولوا: آمنا بالذي
انزل الينا وانزل إليكم، وإلهنا والهكم واحد، ونحن له مسلمون، (٤٥) داعياً
الى تألفهم بوحدة العقيدة فيما يتحد به منهم، ثم ذكر ما كان ممن انكر
الدين الاسلامي وقرآنه ووحيه، وما طلبوا من آيات معجزة فرد على
ذلك بقوله: «اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم، ان في
ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون» (٤٦) وفوض الامر الى ربه وان
عذابهم عائد اليه وسيحشرون فيجزون بما يستحقون، واتي على دلائل
الالوهية ووجوب الايمان بادلة من خلقه آخذاً بمجمل بعض الكافرين
تأيداً لما هو بصدده من دعوة الى الايمان بالله قائلاً بعد ذلك: «وما

هذه الحياة الدنيا إلهو ولعب، وإن الدار الآخرة لهي الحيوان [فيها الحياة
 مخلو دها] لو كانوا يعلمون، (٦٢) ثم ذكر من نعمه ما ذكر وخص بالذكر
 حرمة الكعبة تهوي اليها الانفس منذراً من افترى بأباطيل
 المعتقدات على الله قائلًا: «أليس في جهنم مثوى للكافرين» متبعاً ذلك
 بما فيه ختام السورة بما يناسب موضوعها ومطلعها بقوله: «والذين جاهدوا
 فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين» فهي بموضوعها سورة ايمان وصبر
 عليه ودعوة الى معتقد بتبيان بعض تعاليمه وما يؤيد هذا الايمان بالله
 ووحدانيته في خلقه ومن بعد المنكسوت سورة الروم

الروم سورة مستهلة باخبار المؤمنين بما يسرهم من نصرة
 الروم وهم اهل كتاب على من كانوا يحاربون من الفرس وهم وثنيون عباد
 نيران اتما لما سبق ذكره في السورة الاتفة من صبر ومجاهدة على العقيدة
 بذكر الحروب ومكائنها من الحكمة الالهية وقدره في نظام هذا
 الغلاب ونصره من يشاء مبيناً ذلك وعهد الله بما سيكون
 بعده بضع سنين «وعهد الله لا يخلف الله وعده» ولكن
 اكثر الناس لا يعلمون «(٦) وكان ذكر هذا الحادث لما ابداه
 المشركون من الشبهة بظفر الفرس الوثنيين على الروم من النصارى
 اهل الكتاب، وانتقل من هذا الحادث الجزئي الذي (اتى به بمناسبة
 السورة الاتفة والحادثة الداعية) الى ما يتصل بموضوعات القرآن العامة،

فذكر جهل الناس بما اعد الله وحكمته مستدركا ما يعلمون من شؤون
 دنيوية سطحية قائلا «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
 غافلون» ، واتبع ذلك بما فيه برهان هذه الجملة بأسلوب يثير في
 الانسان فضل عقله ويوقظ حسه ووجدانه بقوله «او لم يتفكروا في
 انفسهم» [فيعلموا أن] ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا
 بالحق واجل مسمى، مما يستدعي - (لاقامة الحق وانتهاء اجل الحياة
 الدنيا) - موتا وبعثا، الى ما يناسب ذلك من ذكر الآيات الكريمة
 الكونية والنفسية الدالة على الالهية والوحدانية فمن ذلك قوله :
 «ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها، وجعل بينكم
 مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * ومن آياته خلق
 السموات والارض واختلاف السنتكم واللوانكم ان في ذلك لآيات
 للعالمين» (٣٥) مبينا في ذلك مكانة العقيدة الاسلامية من آيات الحق
 التي جعلها الله نظاما للحياة في الدنيا والآخرة، منبها الى مكانتها من فطرة
 النفوس لا تخرج - (عماد كز) - في الطبائع السليمة، وان العلم والحق يؤيدانها
 بدلالة ماساق من آياته حتي انتهت الى هذه الآية اتبعها بما عليه
 الناس من تفرقه جريا مع حكم آرائهم وكل حزب بما لديهم فرحون، ولا
 يرجعون الى ربهم الا اذا مسهم الضر مبينا بعد ذكر الضر ان الله هو المنعم
 الرزاق «اولم يروا ان الله ييسر الرزق لمن يشاء ويوقدر» ، ان في ذلك لآيات

لقوم يؤمنون، (٣٧) وأتبع هذا بما يجب من حق لذي القربى والمساكين
وابن السبيل من زكاة تقتضيها هذه النعم، وأتبعه بتحريم الربا مفسدة
هذه النعم، وهكذا تتابع الايات وتلاحم الى ان تختم السورة بعد
ذكر عناد الكافرين بدعوة الرسول الى الصبر وان المشركين اهلون
عليه تعالى فسينصره عليهم بمثل ما استهل به السورة من ذكر النصر
فما صبر ان وعد الله حق، ولا يستخفك الذين لا يوقنون، وبذلك تمت الدورة
كاملة في مطلع السورة والخاتمة وما بين ذلك ومن بعد الروم سورة لقمان.
﴿ لقمان ﴾ سورة مستهلة بذكر القرآن واياته وهدى ورحمة
للمحسنين، وأتبعهم بوصفهم من العبادة والهداية ثم ذكر «من الناس
من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم، وهو النصر ابن الحارث
كان يقص على قریش احاديث المعجم المتحل - (على ما توهم) - محل ما يرويه
الرسول من اخبار الامم الماضية فيما يوحى اليه من القرآن وأتبع ذلك
بما سيعاقب به تعالى ويثيب بعد الاستماع الى ما خلق دلالة عليه قائله هذا
خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه ؟ بل الظالمون في ضلال
مبين، (١٠) بصدم عن دعوة التوحيد ثم ذكر انموذجا للايمان الذي
يعرف نعمه في خلقه فذكر خلاصة ما اوتيه لقمان من حكمة «أن اشكر الله»
وأتبعها بثمرة هذا الشكر قائله «ومن يشكر فأنا يشكر لنفسه ومن
كفر فان الله غني حميد»، وانما هي تربية تجب على العبد وحق يعود
القيام به على المرء بالخير في دنياه بحسن سلوكه وفي آخرته بثوابه مع المتقين

ثم ذكر من مقتضيات حكمة لقمان ما وعظ به ابنه بما يناسب المسلم من نهى عن الشرك، والتفت مستطرداً الى ان للوالدين حقاً يستوجبان منه الشكر كالخالق اذ كانا سبب خلقه «ان اشكر لي ولو الديك» ملحقاً بذلك ما يبين حداً لإطاعة الوالدين بأنه لا يجوز ان يتعدى حق الله «وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها» وليس معنى هذا ان تعصي لهما كل امر ولا سيما ما يخرج عن دائرة العقيدة من شؤون الدنيا فقال «وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من انا اب إلي» بحسن السيرة والمعاملة والعبادة، ورجع بعد هذا الاستطراد الى ما خاطب به لقمان ابنه واعظاً أمراً بفضائل الدين والبعد عن الكبر والغرور، وألحق ذلك من نعم الله بما يستوجب هذه السيرة الدينية وهذا الشكر مع الوحدةانية في العقيدة مما ساق اليه الآيات السابقة فقال: «ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات والارض واسبع عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» (٢) ومع ذلك فان «من الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» (٢٠) شأن من ذكره في مطلع السورة ممن يتبعون ما كان عليه آباءهم ولو كان الشيطان في ذلك يدهوهم الى عذاب السعير في أخرهم، وذكر بعد ذلك دعوته الى الاستمسك بالعروة الوثقى بأن يسلم المرء وجهه لله على النمط الذي بينه في الآيات السابقة وخاطب الرسول قائلاً: «ومن كفر فلا يحزنك

كفره، اليٰنا مرجعهم» (٢٣) وتتابعت الايات متممة ما تاتي على ذكره خاتماً قوله بدعوته «يا ايها الناس اتقوا ربكم، واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً، ان وعد الله حق، فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور» (٣٣) ملء ما في ذلك الى ما كان بصدد من نصيحة اب لابنه كما كان من لقمان وما استطرده القول اتعاساً لحق الموضوع من مجاهدة بعض المشركين ابناءهم ليظلوا على الشرك كما كان من والده سعد بن ابي وقاص اذ آلت ان لا تطعم ولا تشرب او يعود لكفره وكان بها برأ فابي ورات من اصراره ما رجعت به عن عزيمتها، وذكر من بعد يوم القيمة الذي انذره - (وهو من المغيبات) - جواب ما سأل الحارث بن عمرو عنه الرسول فقال: «ان الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الارحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير» (٣٤) فذكر امهات مفاتيح الغيب التي لا يعلمها الا الله ومن ورائها متسع لكل ناظر عليم، فسورة لقمان من مبدئها حتى منتهاها تدور حول ما توجه به العقيدة القوية من تربية ودعوة صالحة وشكر لله عمرة نعمة وصيائنها بوفاء حقها وانزالها منزلاتها، وما كان وراء ذلك فمعاني يستدعيها القول ايضاحاً لما هو بسبيله وبرهاناً عليه ورداً على من كان يصد عن ذلك، ومن بعد لقمان سورة السجدة

سورة السجدة سورة مستهلة بأن الكتاب منزل من رب العالمين

لينذر به، وان الله الذي انزله هو الذي خلق السموات والارض ودبر
 الامر وهو الذي احسن كل شيء خلقه، وكان من تمام ذلك كله
 دعوة الانسان لما فيه عداه وذكره، واذ بدأ خلق الانسان من طين، ثم
 جعل نسله من سلاله من ماء مهين، من «مني» عنى «ثم سواه ونفخ فيه من روحه
 وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وهي مدار رفعة مقام الانسان
 وكرامته ومع ذلك «قليل ما يشكرون» هذه النعم حتى ينكرون
 البعث، واتى على ذكر ما يكون يومئذ وأن الله لو أراد إكراه الناس
 بمشيئة تلزمهم الهداية لكان ذلك في قدرته «ولو شئنا لا آتينا كل
 نفس هداها ولكن حق القول مني لا ملأن جهنم من الجنة والناس
 اجمعين» (٣١) فمن لم يرغب بهذا المصير فليبه ان ياخذ نفسه بهدايتها
 وان يؤمن «وانما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجداً
 [شاكرين لله نعمه] وسبحوا بحمد ربهم [علماً بما تدل عليه هذه الايات
 عليه من كماله تعالى] وهم لا يستكبرون» اخلاقهم هيئة لينة سمجة فلا يفسدون
 في الارض ويوفون العبادۃ حقها «ومما رزقناهم ينفقون» راضين حتى اذا
 كانت القيامة وثواب الجنة اعموا فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة اعين
 جزاء بما كانوا يعملون» (١٧) - وأيد هذا المعنى بما يؤكده ثم رجع الى
 ما كان مستهلاً القول به من ان القرآن الداعي الى ذلك كله بهدايته
 انما هو من وحي الله على نبط كتاب موسى السابق له، واتباع ذلك

بذكر من مضى وان الفصل بين الايمان والكفر واهلهما بيد الله
 فلا يستعجل به الكافرون وقل لهم بأنه يوم لا ينفعهم فيه حتى الايمان
 ان آمنوا يومئذ لان محل الايمان في هذه الدنيا، وتوعدهم مخاطباً رسوله -
 ختم به السورة قائلا: «فاعرض عنهم وانتظر اهلهم منتظرون» فهذه
 سورة عبادة فيهايت القصيد أن من يؤمن بآيات الله اذا كروا بها
 خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون» - ٥١ - بعد سورة
 لقمان السابقة الداعية الى ذلك ومن بعد السجدة سورة الاحزاب .
 * الاوحزاب وهي من السور التي تباعدت اغراضها ويصعب
 لأول وهلة معرفة الصلة بينها والمدار الذي تدور عليه في غرضها
 ولكن المتأمل لما في السورتين الالفتين بموضعها الاساسي بين ايمان
 وعبادة يظهر له التناسق في هذه السورة بانها صورة مما يعرض لحياة
 مؤمن متعبد وعلى رأسها حياة الرسول الاعظم - ص - فكان ذلك
 رباط معانيها وموضوع وحدتها ، فهي مستهلة بما يجب على النبي بان
 «اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين» ممن يفاوضونه بالاستئذان لهم
 في معتقداتهم او يخذلونه عن قيامه بالواجب في سبيل الدعوة ، وان
 يتبع ما يوحى اليه فقط لما فيه هدايته وعصمته ، وان يتوكل على الله ، ثم انقل
 الى ذكر عادات واوهام لمن نهى عن اطاعتهم فانكر من ذلك عليهم ما أنكر
 قائلا : «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» ، وكانوا يتوهمون ان للبيب

الأريب قلبين حتى قيل لابي معمر او جيل بن أسد الفهري (ذو القلبين)
 وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم، وما جعل ادعياءكم
 ابناءكم، ذلكم قولكم بافواحكم [فلا حجة لكم فيه] والله يقول الحق وهو
 يهدي السبيل «وكان من ذلك ايضاً النهي عن التبني وإلحاق المرء بغير نسبه
 ثم ذكر ما يناسب المقام من صلة الرحم وان النبي - (لولايته ورحمته وحبّه
 الخير للمؤمنين) - أولى بهم من انفسهم وان ازواجه امهاتهم بالحرمة، اما في
 شؤون الدنيا والتوارث فأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وبذلك
 نسخ التوارث بين من آخى النبي بينهم من المؤمنين المهاجرين والانصار
 في صدر الاسلام حينما كانت الضرورة داعية وانتقل الى ان ذلك
 من تعاليم الدين وتبليغه الذي اخذ الله به الميثاق الغليظ على رسله وذكروا
 بعضهم، ثم انتقل من شؤون الاسره المؤمنة الى ماعرض للمؤمنين في
 وقعة الاحزاب مصالها وما كان من الكافرين والمنافقين الذين نهى الرسول
 في مطلع السورة عن اطاعتهم فهي تحذير عن اطاعتهم وذكروا للمؤمنين الثابتين
 الذين قالوا حين رأوا جموع الاحزاب من قريش وعطفان مع يهود قريظة
 والنضر في زهاء اثني عشر ألفاً يوم خندق الرسول حول المدينة «قالوا
 هذا ما وعدنا الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً» (٤٢) حتى إذا ختم
 القول بما كان بعد ذلك من إخراج اليهود من صياصيمهم لما لا تتم المشركين
 وخيانتهم رغم ما كان بينهم وبين الرسول من حلف فانه رجع الى ذكر

حياة الرسول الخاصة كما ذكر من قبل ما بين الاقرباء من رحم في صلاحهم
 اذ أمر الرسول بأن يخير أزواجه بين الحياة الدنيا وزينتها وبين الرغبة
 بالله ورسوله والدار الآخرة ، وأفاض فيما يناسب ذلك وختمه بما يعم
 المسلمين جميعاً على درجات من تعبد لهم نساء ورجالاً ، ثم اتى على حادثة
 أعد لها القول في مستهل السورة من زواج زيد بن حارثة - (وكان مولى
 للرسول حتى كان العرب ينسبونه اليه) - فذكر كيف زوجه الرسول ورغب
 زيد عن زوجه حتى رغب به الرسول الله (ص) رغبة خشية قاله السوء بسببها
 في العرب فقل له «وتخفى في نفسك [رغبة الزواج بها وفاعزوجة زيد
 اذ كنت القاضي عليها بذلك الزواج رغم ميلها عنه] وتخشى الناس [ان
 يقولوا اخذ زوجة ابنه] وما هو بابك) بعد ان أبان الله حكمه في الانساب بان
 يلحق المتبني بأبيه لا بك فكان ذلك هو الحق من ربك [والله احق ان تخشاه
 قد فرض الله ذلك لك فلا حرج فيه عليك «سنة الله في الذين خلوا من
 قبل» وكان أمر الله قدراً مقدوراً» (٣٨) ونص على أنه «ما كان محمد
 أباً أحداً من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين»
 (٤٠) ثم التفت الى خطاب المؤمنين عامة داعياً الى ذكر
 الله وتسييجه ملحقاً الى وحيه وهدايته لهم بذلك «ليخرجهم من
 الظلمات الى النور» وتوالت الآيات متناسقة في موضوع العبادة الى
 ان جدد بدعوة في شؤون الحياة الخاصة ذاكراً الزواج والطلاق

خطاباً عاماً للمؤمنين ثم نص على ذكر الرسول من بعده بما احل له
 وما حرم عليه ثم وجه الخطاب للمؤمنين الثلاثة الى معنى يلائم الموضوع
 لاتصاله بشؤون الاسرة بالنهي عن دخول بيوت النبي بغير اذنه وان عليهم
 اذا دعوا الى طعامه ان ينشروا بعد ان يطعموا لما يؤذي الرسول من
 استمرار بقائهم لضيق داره واشتغاله بوجائب اخرى عنهم، وان لا يخاطبوا
 ازواج الرسول الا من وراء حجاب، ونص على من اجيز لهم الاجتماع
 بهم كما بانهم، واتبع ذلك بمن يؤذي الرسول ثم المؤمنين ونص من
 بعد على الحجاب قائلاً: «ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين» (٩٥) وكان
 المنافقون يتعرضون للمسامات بالايذاء ثم استطرد القول الى المنافقين
 منذراً لهم باغراء الرسول بهم وامره بقتالهم، وأتى على بعض ما كانوا
 يستهزئون به متمتين كسؤالهم عن الساعة التي ينذرهم بها فذكرها
 قائلاً «انما علمها عند ربي» والحقها بما فيه زجر لهم قائلاً فيما قاله :
 «يوم تقلب وجوههم في النار» [يقولون غير هذا القول] يقولون ربنا
 اطعنا سادتنا وكرهنا فاضلونا السبيلا ، وحذر ثانية من ايذاء
 الرسول بتوجيه الخطاب الى المؤمنين ثم دعاهم قائلاً «اتقوا الله وقولوا
 قولاً سديداً» يصلح لكم اعمالكم وينفر لكم ذنوبكم، (٧٠) ذا كراً تبعة
 الانسار، وما حمل من امانة عقله وقواه المدركة التي تبني عليها التبعة
 يوم القيمة ، وانها قوى ستكون وبالا على المنافقين والمشركيين

فيمد بهم الله بها ويرتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا
 رحيمًا وبهذا ختمت السورة فهي بموضوعها تتصل بحياة المؤمنين
 واعدائهم من المشركين وشؤونهم في اسرتهم وحياتهم في
 وطنهم وما امتن الله به عليهم من نصرة في مثل وقعة الاحزاب والهداية
 في دعوتهم الى الايمان الذي يريهم اقوم سبيل في الحياة تكون فيه
 نجاتهم يوم القيمة من التبعة، ومن بعد الاحزاب سورة سبأ.



سبأ سورة مستهلة بحمد الله الذي له ما في السموات وما
 في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير * يعلم ما يلج
 في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو
 الرحيم الغفور، استهلالا فيه تناسب مع ختام السورة الاثقة وارتباط
 محكم بان اثنى على الله بعد أن اتى على طبقات الناس من حيث
 عبادتهم له ، مبينا حدود سلطانه وان الحكمة والعلم يسودان كائناته
 ارضا وسماء ، والرحمة والمغفرة تسودان عباداه احياء
 وامواتا، وذكر بعد ذلك من خلقة الذين كفروا منكربين للآخرة
 بما يناسب ما استقبل به السورة وما ذكره عن الرسول إذا نبأهم
 قائلا : « إذا مرقم كل ممزق [بالوفاة والفناء] إنكم لفي خلق جديد ،
 [يوم القيامة] (٧) فقالوا عنه « إفتري على الله كذبا أم به الجنة ، فين
 لهم ان الحسر ان نتيجة هذا الكفران والضلال البعيد ثم ذكر فضله على عباداه

المؤمنين ليضرب بهم المثل فيكونون قدوة في ذكرهم بيمين نعمه وما
 يؤتيه عباده الصالحين في الدنيا قبل الآخرة ، فذكر داود وسليمان
 وما سخر لهما وذكركمما يقابل ذلك قوم سبا وكيف مزقوا لكفراهم
 بالله ونعمه بسبل العرم ، وختم قصتهم بأنهم اتبعوا في غوايتهم الشيطان
 وانتقل بعد ذلك الى خطاب المشركين الذين يسرون على سمع هؤلاء
 الذين زالت نعمهم بديل السير على سيرة أولئك الصالحين الذين فاضت
 عليهم النعم قائلا لرسوله بأن يخاطب المشركين : « قل ادعوا الذين
 زعمتم من دون الله ، لا يعلمون مثقال ذرة في السموات ولا في
 الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير » (٢١) وجادلهم
 متزها في جدله قائلا فيما قاله : « قل من يرزقكم من السموات
 والأرض ؟ قل : الله » واتبع هذا بما أريد توطئة له في عبادة هذا الإله الرزاق
 فتكون العبادة أماله بذاته مثل ما يدعوه إليه الإسلام ، وأما بضلال وإشراك
 وعبادة أو ثان ونحوها تقربا إلى الله زلني فقال لهم : « وإنا أو إياكم لعلى
 هدى أو في ضلال مبين » (٢٣) فاما ان نكون مهتدين أو ضالين
 أو ان احدنا على هدى والآخر على ضلال فيجب ان نتجروا هذه
 الوجوه لمصلحتكم لا لنا إذا كنا على ضلال فانكم « لا تسألون عما
 أجرنا ، كما أننا لا نسأل عما تعملون » (٢٤) ، وإنما من وراء هذه
 الدار التي نختلف فيها دار « يجمع بيننا ربنا » [فيها] ثم يفتح بيننا بالحق

وهو الفتح العليم « (٢٥) فيجب ان تتجروا الحق وتجمعوه مميادكم
في صلحكم بربكم وعبادته لكم له ، قبل أن يؤتى بكم بالبعث فيستبين لكم
أنكم لم تكونوا على حق ، واتبع ذلك بآيات تجري على نسق هذه
الدعوة بأسلوبها وطريقة دعوتها وبرهانها حتى اذا قالوا: نحن أكثر
أموالا وأولاداً وما نحن بمعذيين « (٣٤) قول اغتراد لا برهان فيه ،
- (وحسب الغرور والاستكبار والجهل ان يكون دالاعليه) - فانه امر الرسول
بالرد عليهم بقول إلهي « قل ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ،
ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وما أموالكم ولا أولادكم بالشي
تقربكم عندنا زلنى الامن آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف
بما عملوا وهم في الغرفات آمنون « (٣٦) وتلطف لهم بتبيان ما يدعوا الرسول
اليه وأن ليس ذلك من جنة وانما هو « نذير لكم بين يدي عذاب شديد »
(٤٥) وأنه لا يطلب أجرا على دعوته « إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء
شهيد » (٤٦) يعلم ما تقابلون به هذه الدعوة بما فيها من حق ، ووعد به نصره
« قل: ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب » قل جاء الحق وما يبدى الباطل
وما يعيد ، وذكر الرسول بشخصه « قل ان ضللت فانما أضل على نفسي
وان اهتديت فبما يوحي إلي ربي انه سميع قريب » (٤٩) وذكر مصير
الآخرة يوم يرون العذاب بديل النعم والثواب « وحيل بينهم وبين
ما يشتهون كما فعل بأشياهم [ممن كان على مثل اعتق ادعهم وعملهم] من

قبل ، انهم كانوا في شك مريب ، من هذا المصير الذي انذروا به ،
فهي سورة تذكر الايمان والكفران بما يستبعا في الدنيا
والآخرة وهذا موضوعها وكل المعاني والآيات تجري الى هذه الغاية
ومن بعد سبأ سورة فاطر « او الملائكة . »

﴿ فاطر ﴾ او الملائكة ، مستهالة بحمد الله فاطر السموات
والارض ، مبدعها ، وجاعل الملائكة رسلا ، ملمعا بذلك الى الوحي
ومكاته من نظام الخلق رحمة منه تعالى بالناس وهداية لهم كما انعم عليهم
تعالى فيما رزقهم ، ولئن كذبوا به فتنك سنة في الحياة وان يكذبوك [يا محمد]
فقد كذب رسل من قبلك والى الله ترجع الامور ، (٤) فسيرون نتيجة
تكذيبهم ثم خاطب الناس قائلا « ان وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة
الدنيا [بما ترون فيها من حول وطول تنعمون بها فتكفرون وتنسون
يوم القيمة] ولا يغرنكم بالله الغرور ، (٥) فحذار حذار ولا سيما من
رأسهم الشيطان داعية الكفران فانه عدو لكم « انما يدعو حزبه
ليكونوا من اصحاب السعير ، (٦) وحذر من مظاهر الغرور المهلك
ان يزين للمرء عمله بنظره فيراه حسنا وهو في ضلال مبين ، واعقبه
بخطاب الرسول بان مثل هؤلاء لا تأس عليهم « فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات ان الله عليهم بما يصنعون ، (٨) فان الآخرة التي
ينكرونها لها مثل من دونهم باحياء الارض بعد موتها بانزال المطر ،

وكذلك المشور، (٩) له نظامه المحكم ثم ذكر من بعد الغرور مطمح العز
 ميبناً أنه بيد الله موضحاً بأنه لا يتنافى مع الدين بمقاصده «من كان يريد
 العزة فلله العزة جميعاً، إليه يصعد الحكم الطيب والعمل الصالح يرفعه»
 (١٠) وفي هذا عز في الآخرة ورفعة في الدنيا معاً، وهما سبيل واضح
 للعز الذي يطمح إليه، وعطف متمم الآية بما يكون من رجاه ذلك
 حتى اذا نال امرؤ مطمحها ترك ربه ونسي ما كان يدعو إليه، فمثل هذا
 الالتواء في الخطة مكر ولكنه فائل «والذين يمكرون السيئات لهم عذاب
 شديد، ومكر اولئك يبور» (١٠) فأين هم من الخالق الذي يرد إليه كل
 شيء وقد اودع في كل الكائنات دلائل قدرته وحكمته مما اقام له
 البرهان بذكر آيات من خلقه لا شريك له فيأياها الناس «أنتم الفقراء الى الله
 والله هو الغني الحميد» فينعم عليكم بالرزق والهداية «ومن تزكى فانما
 يتزكى لنفسه والى الله المصير» (١٧) وأتى بآيات تاليات على معان
 تناسب ما هو بصدد مما سبق ذكره ميبناً مشوبة من ياخذ بهداه
 مصنفاً من يخلفهم من بعدهم «فمنهم ظالم لنفسه» ومنهم مقتصد «ومنهم
 سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير» ذا كراً مشهداً من
 نعيم الآخرة وعذابها مما سيكون انذاراً وتبشيراً قالوا من بعد ذلك
 وهو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره، ولا يزيد
 الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقنناً، ولا يزيد الكافرين كفرهم الا

خساراً، (٣٥) واتى على الاشراك وباطل معتقده وان قریشاً اذ سمعت
 خبر تكذيب أهل الكتاب لرسولهم انعمهم «واقسموا بالله جهد ايمانهم
 لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم، فلما جاءهم نذير ما زادهم
 الا نفوراً * استكباراً في الارض، ومكر السيء، واتم الآية
 بما يكون من جزاء ذلك مذكراً بمن اهلكهم الله «وكانوا اشد
 منهم قوة، وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الارض
 انه كان عليماً قديراً» (٤٣) ولئن لم يتعجل تعالى باخذ الناس بذنوبهم فذلك
 لانه «يؤخرهم الى أجل مسمى» سبقت به الكلمة حسب مقتضى حكمة
 في خلقه، «فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيراً» لا تخفى عليه
 منهم خافية فيجزئهم بما اذروا به من قبل وكانوا عنه غافلين، ففي هذه السورة
 دعوة الى الايمان بالوحي والعمل الصالح بغير شرك وان من وراء
 ذلك نعم الدنيا بعزها وغناها والاخرة بهداها ومن بعد فاطر
 سورة ياسين

﴿١٠﴾ «ياسين» سورة مستهلة برسالة النبي مؤيدة بقسم فيه برهان
 الرسالة بقوله «والقرآن الحكيم * انك لمن المرسلين» (٢-٣) مع توجيه
 القول الى الرسول نفسه تخفيفاً لما يلاقيه من عناد قومه- (اذ كان لا يزال
 في مكة قبل ائتمارهم بهو هجرته)- وان عليه الانذار وعلى الله المحاسبة، واتبع
 ذلك بمثل ضربه في قرية دعيت الى الايمان ذا كراً اصرار قومه وايمان

رجل غفر الله له مسوداً قصته بما فيه دليل الايمان وتساخجه
 اذ قال لقومه : « اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون
 * وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون » (٢٠ - ٢١) الى
 آخر قوله حتى اذا قيل له « ادخل الجنة : قال : يا ليت قومي يعلمون *
 بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين » واشفع ذلك بتذكيره
 بمن اهلكهم الله من القرون وانهم الى الله راجعون مبيناً ان لهم آية باحياء
 الارض الميتة ليستيقنوا من البعث والمحاسبة كما ان لهم دليلاً آخر من
 الزرع ونظام الخلق باعطراذه وتطوره واتقانه وما الى ذلك من تبصرة
 ونوه بمن انجاهم الله بالملك المشحون تيمناً لسلطانه ونعمه وما عليه المصرون
 « وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين » (٥٤) وما هم عليه من
 بخل وجهل « واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا
 للذين آمنوا : انطعم من لو يشاء الله اطعمه » (٦٤) قولاً فيه مغالطة اذ ان مشيئة
 الله في شرع شرعه فواجب فيه الزكاة وامرفيه باطعام الفقراء والانفاق
 على الخيرات ، وآخر ما هم فيه انهم للبعث ينكرون « ويقولون متي هذا
 الوعد ان كنتم صادقين » فذكره بما اتبعه من آيات القيامة والبعث
 والمحاسبة وما ثم من معاتبة اذ يقال للمجرمين « ألم اعهد اليكم يا بني آدم
 ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين * وان اعبدوني هذا صراط
 مستقيم » وان هذا يوم عتابهم « ولو نشاء لطمسنا على اعينهم » (٢٦)

ولمسخناهم في الدنيا معاقبين لهم ولكننا امهلناهم وانذرناهم وهذا الكتاب المنزل على محمد إن هو إلا ذكر وقرآن مبين * لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين» (٧٦) فليس شعراً وما ينبغي ان يكون القرآن شعراً ولا محدثاً عسراً وقد عرفت موه حتى الاربعين من سنه انه لم يك على ما تقولون، ورجع بقاء هذه الشدة بذكر المواقف المنذرة الى ما يناسب الدنيا من تنبيه الى آيات الله وذكرها يأملون من عبادة الوثن «لعلهم ينصرون» (١٧) بهم وما هم بمصورين «فلا يحزبك قولهم اننا نعلم ما يسرون وما يعلنون» (٣٧) وخاطب الانسان بعد ذلك قائلاً باننا «خلقناهم من نطفة فاذا هو خصيم مبين» ينكر البعث وقد رتبنا عليه ناسياً ما يدله عليه خلقنا له «وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم» * قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم» وضرب المثل لذلك بالآية التي اتبعها قائلاً عن نفسه: «الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا اتم منه توقدون» ففي تطور انبات الشجر وحياته وموته واحتراقه بعد اخضراره برهان على قدرة البعث وانه من نظام فطرة هذا الوجود، ثم التفت مقررأ باستفهام يستنكر نكران قدرته على ذلك قائلاً «أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم؟ بلى! وهو الخلاق العليم» مستنداً في ذلك الى واسع سلطانه وأن فيما خلق برهاناً على قدرته، وهو عليم به يجري على سنن التطور الذي ابدعه جل سبحانه اذ جعل من الاخضر النبات الحي نارا تلتهب، فكان بين الجماد والموات والحيوية والخضرة

ما بين الحياة والموت من دورات يصير بعضها الى بعض يخرج الحي
 من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الارض بعد موتها، وكذلك
 شأن الانسان اذ خلقه في اطوار من نطفة وما قبلها الى ان يعيش
 ويموت، فكشف بذلك عن حقيقة البعث بأنه طور آخر يجري على
 هذا السنن برده جل سبحانه الحياة الى الموات، وقد اعطى هذه النماذج
 برهاناً لمن ابصر، فالعلم الالهي والخلق والقدرة ونظام التطور في الاحياء هي
 برهان البعث الذي ينكرونه انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له: كن فيكون،
 (٩٧) وكانها كلمة «كن» لا تبدأ حتى يندغم فيها المراد كما تحتفي الفاء
 مع النون في تبويدها فاذا هو كائن على وفق مشيئة الله فجاءة او على
 سنته ابداعاً وتطوراً كما خلق السموات والارض في أيام، فهي إرادته ومشيئته
 لا يشذعنهما ما امر به على الشكل الذي يريد «فسبحان
 الذي بيده ملكوت كل شيء» واليه ترجعون، فهي
 سورة تدل على القدرة الالهية ومعها وجوب الايمان والعبادة وما
 ينطوي عليه من إنذار ومحاسبة في الآخرة كما في الآية الاخيرة كأنها
 لباب السودة سبقت اليه سياقاً متناسباً بذكر الرسالة وما تنطوي
 عليه من إنذار وما كان من ايمان واصرار ومحاسبة بعقوبة ومثوبة، وفي
 خلال ذلك من البراهين والتذكير بآيات الله الملمزة بما يدعو اليه
 ما يتناسب مع طريقة القرآن وغايته من التنبيه والهداية. ومن بعد

﴿صافات﴾ سورة مستهلة بقسم يذكر الملائكة بطبقاتها من صافات للعبادة ومنفذين للأوامر الالهية قسراً وزجراً «فالتاليات ذكراً * ان الحكم لواحد» فهي مستهلة بتقديم معنى من معاني السورة الاتفة التي نوهت بإيمان الرجل الذي «جاء من اقصى المدينة يسعى» قائلا: «أأخذ من دونه [اي من دون الله] آلهة» متعددة وأوانا «لا تنفي عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون» (٣٢) باعتبار أن التوحيد هو الركن الاول للعقيدة والايان الذي يدعو اليه، ثم انطوت الآيات التاليات على نفي الوحي والقدره عليه الا لمن انزله الله عليه اذ «أنا ذينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظاً من كل شيطان مارد» فلا يستطيع ان يسترق السمع او يتبعه «شهاب ثاقب» يهلكه، وتنقل بعد هذا التمهيد الى عرض ما كان من المشركين من معتقد وانكار للحشر وسخرية بما يذكرون به وتأكيدهم لما سيؤخذ به المشركون يوم القيامة وما يتساءلون عن اغواء بعضهم بعضاً فيكون ذلك مدعاة هلاكهم جميعاً «فانهم يومئذ في العذاب مشتركون * انا كذلك نفعل بالمجرمين» ذلك لانهم «كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون» ويقولون: «أنا التاركو آلهمتنا لشاعر مجنون» مع انه «جاء بالحق» وصدق المرسلين، فكانت دعوته مقبلة لرسالات من سبقه لا تنافيا بعقيدة

ولا تمايز مقصداً في عبادة، ثم انتقل الى ذكر من كان على عكس ذلك من عباد الله المخلصين ونعيمهم وما يتساءلون عنه كما تساءل اهل الجحيم، فاذا هو يسال قريناه عما لقيه بعده ما كان في دنياه يدعو الى نكران المحشر اذ يقول له: «أأنتك لمن المصدقين* أأنتا متنا» او كنا ترابا وعظاما اثنا لمدينون» (٣٥) «فاطلع فراه في سوء الجحيم» وقارن بين الحياتين في نعيم وجحيم ذا كراً ان لا حجة للمشر كين في عقائدهم الا انهم «الفوا آباءهم ضالين* فهم على آثارهم يهرعون» (٧٠) وان ذلك شان من قبلهم وسيهلكون مثلهم «الا عباد الله المخلصين» ونوه بعد ذلك بقصة نوح في قومه وان «من شيعته لابراهيم» واتي على ذكر ما استدل به على ربه حتى نجا من عقيدة آباءه الباطلة في عبادة النجوم ليكون في ذلك قدوة لتحرير عقولهم مما عليه آباؤهم، وذكر ان الله وهب له ابناً صالحاً رأى في المنام أنه يذبحه- (وروي النبي كوحى يقظته)- فاستسلم له ابنه فكان ذلك ابتلاء من الله له ليرى مبلغ قيامه بما يأمره به حتى اذا بلغ الامر بمبلغه كان الفداء له بذبح عظيم ذهب في الاضحية تشريعاً للآخرين، ثم ذكر ابناء اقوام مختلفين تبياناً لما دعوا اليه وما في معتقداتهم من باطل وما كانوا مستنكرين يقولون به من اتخاذاً لله الملائكة بناتاً فوضح ذلك مبيناً ان لا حجة لهم بمعتقدتهم هذه يعتمد عليها، اذ لا برهان لهم ولا كتاب بين ايديهم ولا سلطان يؤيد أباطيلهم، منذرهم قائلاً

فانكم وما تعبدون * ما اتم عليه بفاتنين * الا من هو صال الجحيم،
 (١٦١-١٦٣) واتبع ذلك باعتراف الملائكة بعبوديتها لله وقيامها بامرهم في هذا
 المساق ما يوضح وجه القسم في مستهل السورة، ويبين تلاحم اجزائها الى غاية
 واحدة يتألف منها وحدة الموضوع، ثم كرر ما سبق التقرير عليه في سورة
 فاطر وهو ما كان يقوله المشركون من العرب « لو ان عندنا ذكراً من
 الاولين * لكننا عباد الله المخلصين » حتى اذا جاءهم القرآن كفروا به وفسوف
 يعلمون، والحقه بما سبقت به كلمة الله عن المؤمنين « انهم لهم المنصورون » وان
 جندنا لهم الغالبون، (١٧٣) وذكر ما على الرسول من واجب الى اجل يرى
 من بعده ما يلحق بهم « افبعنا بنا يستعجلون، ومن ثم بعد تمام هذا المعنى ختم
 السورة بتزيه الله وحمده والسلام على رساله فهي بموضوعها دعوة
 للتوحيد ودحض لبعض معتقدات المشركين بالله مما اتبعوا فيه آباءهم
 وطريقة النجاء من ذلك في نظر صحيح كما فعل ابراهيم واشفع ذلك
 بالتنويه بالمرسلين تاكيداً لانهذاره وتبياناً لطريقة الهداية ومصير أهله
 ليأخذوا بالعقيدة الصحيحة رب العزة رب العالمين ومن بعدها سورة صاد
 ﴿ صَاد ﴾ سورة مستهله بالتنويه بالقرآن قسماً به بانه تذكرة
 وان الكافرين « في عزة وشقاق » (٢) في أباطيل معتقداتهم وهم يمجبون
 ان جاءهم منذر منهم » قائلين: جعل الالهة الها واحداً مستبدين ان ينزل
 عليه الذكر من بينهم وحيأ من الله، والحققة ان لا برهان لهم على
 ذلك وما أصروا الا لان ما نذروا به لم ينزل بهم عقابه بل لما يذوقوا

عذاب «ثم ذكر من كذب الرسل فحق عقاب الله عليهم وخاطب
الرسول قائلاً : «اصبر على ما يقولون ، واذكر عبدنا داود » ليكون
له اسوة وذكر من نعمه عليه وما انيط به من الحكم بين الناس
بالحق فتعجل فكانت عجلته خطيئة ليتبصر الرسول الاعظم (ص) وياً خذ
الامور بالروية مبيناً له حكمته في خلقه وهدايته بقوله : « وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا بربههم ، فويل للذين
كفروا من النار » (٧٢) وان العدل في ذلك « ام نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ؟ *
كتاب انزلناه اليك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب » وما
اتم هذا المعنى الذي مهدت له المناسبة حتى اتم ما كان بصدده من
ذكر داود وابنه سليمان ضارباً المثل بانابتهما الى ربهما فيما اخطأ به
واخذ عليها كاثنياء ثم ذكر ايوب الذي قال فيه « انا وجدناه صابراً نعم
العبد انه اواب » (٢٤) وذكر بعد ذلك من الرسل من نوه بهم
قائلاً « هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب » من جنة اتبعها بما يناسبها
من ذكر الطاغين وجهنم يصلونها وما يختصم به اهلها حتى اذا انتهى
من ذلك خاطب الرسول بما يكتفي به من قول في دعوته حيال
صدود المشركين مبيناً انه « نذير وما من اله الا الله الواحد القهار * رب
السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار » (٥٦-٦٦) مبيناً لقومه انه

اتاهم من الملا الا على باخيار اوحى بها اليه فيها برهان على صدقه
 لانها لا تأتي لأحد بنير الوحي وهي : المخلق وسجود الملائكة
 لادم واستكبار ابليس تعصبا لعنصريته بأنه مخلوق من نار و آدم
 (ص) من طين وما اخذ به العهد على نفسه من إغواء أبناء آدم بعد أن
 وعد بالنظره اثر طلبه ذلك من ربه وان يكون ممهلا « الى يوم يمشون » (٦٧)
 وما توعد الله به قائلا : « لا ملائكة في جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين »
 مبينا ان الرسول لا يطلب على هدايته لهم وتحذيره وانذاره أجزاؤه
 لم يتكلف ما لم يؤمر به فيكون بذلك فضوليا وانما امر بتذكير العالمين
 « ولتعلمن نبأه بعد حين » وبذلك ختمت السورة فهي تبيان لمعني الرسالة
 وانذارها والصبر عليها والانابة الى الله فيما يلزم بالمرء من خطيئة وفي
 هذه السورة نماذج مما خطأ به المقربون من طبقة الانبياء عليهم السلام وهم
 ارفع اهل الايمان درجة هذا بعد ما ورد في ديسين ، وما بعد ما قصص
 من امن ودعا الى الايمان في وسط الشرك والكفران كالذي جاء
 من اقصى المدينة من العامة وكابراهيم من الانبياء وابنه اسماعيل لتكون
 نماذج قصصهم جميعا يتم بعضها بعضا هدى للعالمين ليكونوا مؤمنين
 على النهج القويم ومن بعد صاّد سورة الزمر .

﴿ الزمر ﴾ الزمروهي من السور المكية التي نزلت داعية الى
 الدين مبينة ما فيه من حق ، دالة على آيات الله ، موضحة ما وراء هذه

الدعوة من انتظام شؤون الحياة وسعادته الآخرة مناقشة من بعد
 ذلك المشركين بالرد عليهم ذاك سوء مصيرهم في آخرتهم ، الى
 جانب مصير المؤمنين في جنات الخلود ، فهي سورة كاملة لمرحلة من
 مراحل الدعوة الإسلامية فيها من اساليب القرآن وطرائقه فيما يدعو
 اليه حلقة تامة باجزائها المفرغة ، وهي مع ذلك بمكانتها من السورة
 الآتية التي اختتمت منذرة بان القرآن ذكر للعالمين ولتعلن نبأه بعد
 حين ، بايضاح هذا العلم الذي سيعلمون نبأه فقد استهلت السورة بأنه
 « كتاب من عزيز حكيم » عزيز لا تدفع له مشيئة ولا يغلب بمصية ، حكيم
 فيما وضع من نظام للكائنات وما خلق عليه الانسان خاصة ، هذا الانسان
 الذي يدعو ربه لهده وخيره بالحق الى صراط مستقيم فيجفوه ،
 فكانت كلمة في الكتاب المنزل وفي الناس الذين دعوا اليه بتيان عزة
 من انزله وحكمته ، ومن بعدها اوضح فيم تنزل وعلى من تنزل وما هو
 الواجب عليه ، فذكر بانه انزل على محمد ، وانه نزل بالحق ليعبد الله « مخلصا
 له الدين الا الله الدين الخالص » ثم عرض بما وراءه من دين يعبد فيه
 غير الله بعبادة او ثاب يقول المشركون « ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله
 زلفى » من غير ان يكون لهم دليل في هذا الزعم الباطل « ان الله يحكم
 بينهم فيما هم فيه مختلفون » ورد على اعتقاد آخر باطل باتخاذ المشركين له ولداة ، فلا
 لو اراد ذلك ، لا مصطفى مما يخلق ما يشاء ، فكان دليل ارادته حسن اصطفاائه

اما وانه لم يرد ذلك فما الدليل على ما يعزى اليه باطلا « سبحانه هو
 الواحد القهار ، لا يليق به ما يعزى اليه وهو واحد له الامر سيماقب
 بالقهر من افترى عليه ، لانه لا يليق به الا الحق ، وقد خلق السموات
 والارض بالحق ، كما انزل الكتاب بالحق ، ووضح مظاهر هذا الحق
 بما اتبعه من نظام هذا الكون في افلا كهاوزمانها ودقة نظامها ، يكور الليل
 على النهار ويكور النهار على الليل ، [فيتم اقبان بانتظام] وسخر الشمس
 والقمر [بما يستفيد الناس منهما من خير] كل يجري الى اجل مسمى [فتكون
 الفصول الشمسية والاشهر القمرية دقيقة والى اجل يريد الله به اعمار
 ارضه] الا هو العزيز [بسلطانه ومحكم ارادته وجليل قدرته] الغفار ،
 يشمل عباده برحمة فيعفو لهم ولا يتعجل عقابهم حتى يصروا مستكبرين
 بعد انذارهم وهدايتهم . ثم ذكر من مظهر الحق في خلقه بعد نظام
 السماء والارض هذا الانسان فقال : « خلقكم من نفس واحدة ثم جعل
 منها زوجها » واتبع ذلك مبينا ان هذا النظام في التوالد قد عم الحيوان
 على الارض بذكر ما يستفيد الانسان منه في معرض تبيان نعم الله
 وحكمة نظامه فقال « وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج » (وهي الابل
 والبقر والضأن والماعز) ثم رجع مفصلا نظام توالد الانسان في
 تكوينه قائلا « يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات
 ثلاث » حتى اذا اتم بهذا الايضاح وجه الحق في خلقه - (مبينا فيه وجه

الحق بتزيله ودعوته، وإن الذي أحكم هذا لخير الإنسان قد أحكم الدعوة لهدايته). رجع حيثئذ إلى ركن الهداية الأول بمعرفة الله قائلاً: «ذلكم الله ربكم، له الملك لا إله إلا هو، فأني تصرفون، عن الإيمان به والاستجابة لدعوته إلى الحاق ولد به أو عبادة وثن من دونه مما لا يليق به سبحانه، واتبع هذا مبينا المقصد من الدين بدعوته وجزائه قائلاً: «إن تكفروا فإن الله غني عنكم»، فلا يدعوكم لما يدعوكم إليه إلا لخيركم أنفسكم لا لأنه بحاجة إلى ما يدعوكم إليه ولا يرضى لعباده الكفر، وإن تشكروا يرضه لكرم، ولا تزدروا زرة وزر أخرى، حتى إذا انتهت آجالكم رجعتكم إليه فَيُنَبِّئُكُمْ بما كنتم تعملون أنه عليم بذات الصدور» (٧) فيحاسبكم بالحق ويطهر قسطاً من العدل، ثم نبه الإنسان إلى نقطة ترجع إليها أسباب غفلته عن هدايته بذكر النعماء والضراء وأثرهما في نفسه فقال: «وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منيباً إليه [راجعاً إليه] ثم إذا خوله نعمة نسي ما كان يدعو إليه من قبل [حتى أنه زاد في الغفلة عن الله درجة] «وجعل الله انداداً ليعضل عن سبيله»، فمن كان هذا شأنه ولم تنفمه الذكرى فقل له: «تمتع بكفرتك قليلاً، فأيام الدنيا قلائل، ذلك من أصحاب النار، في آخرتك، وأتم هذا المقصد الذي يرمي إليه بمن كان على عكس ذلك ذاكر ربه قائماً عابداً ويحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه» (٩) وفسح المجال هنا لنظر الناظر بما يكون

عليه في الآخرة مما يرغب به كل عاقل لنفسه فخطأ درجة في هذا
 القصد ثانيه وقال «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ انما
 يتذكر اولو الالباب» بعد هذا التبيان لهم والتنبيه الذي يوضح لهم
 الدين بمكانته من الحق ومكانة ذلك من هذه الحياة الدنيا بنظام
 كائناتها ولا سيما الانسان الذي يستمتع بارضها وما سخر له فيها
 ومكانته من الحياة الآخرة باقامه الحق فيها ومحاسبة الخلق على ما فرط
 منهم رغم تذكيرهم وتحذيرهم، حتى اذا اتم هذا المعنى خاطب المؤمنين
 بما يرغبهم بالمشوبة في الآخرة واعدائهم بالفرج من ضيق كانوا عليه
 بين قومهم الكافرين وهم اقلاء قائلين «الذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة
 وأرض الله واسعة» وان عليهم الصبر وهو ثمرة لما هم فيه «انما يوفى
 الصابرون اجرهم بغير حساب» واتبع ذلك بما يخاطب به الرسول قومه
 باستمسكاه هو قبلهم بما دعاهم اليه ولو صدوه «قل إني أمرت ان اعبد
 الله مخلصا له الدين» (١١) «قله «اعبد مخلصا له ديني» فاعبدوا ما شئتم من
 دونه» وإن كان في البعد عما دعوتكم اليه خزي وعقوبة في جهنم
 واتبعها بمثوبة المهتدين، ضاربا المثل بعد ذلك للهداية - (بما تنزل
 عليه من وحي) - بهذا المطر الذي يتنزل محيياً الارض قائلين «ان في ذلك
 لذكرى لاولي الالباب» تشرح معه الصدور للاسلام فيكون المرء
 «على نور من ربه» وليس بعد ذلك الا غفلة وقسوة «فويل للقاسية

قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين ، (٢٢) ثم اتبع هذا ببيان
 ذكر الله الذي انزله فوصف القرآن باثرة في نفس المؤمنين قائلا
 «الله نزل احسن الحديث [القرآن] كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود
 الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى
 الله يهدي به من يشاء» (٢٣) مبينا في سورة وآياته من تشابه لانها تربي جميعا
 الى مقصد واحد من الهداية والتذكير بالله والخشية منه يتجاوب اثرها في
 الجسم والنفس ، يظهر على المرء في جلده ويكون ممثدا اثره الى اعماق قلبه ،
 واتم هذه الاية بما وراء الهداية من ضلال قائلا «ومن يضل الله فما
 له من هاد ، ومع الضلال سوء العذاب وعلى ذلك حذر بالآية التالية
 منه مبينا ان الذين كفروا من قبل قد اصيبوا به » فاذا قسم الله الخزي
 في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون» (٢٤) واتبع
 ذلك بان القرآن الذي ينذرهم من ذلك قد ضرب لهم الامثال ليعتبروا
 فيتذكروا فقد جاءهم «قرآننا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون» (٢٥) واتبعه بمثل
 يوضح ما في الهداية من خير يعود على المرء يستعين به كما يستعين رجل برجل
 سلم له عبد خالص الملك له هذا بينا المتشاكسون بعبد مشترك بينهم نفوسهم خيره
 اذ يتوزعون قلبه عطاليهم المتباينة وكذلك شان الموحد في عبادته والمشارك
 بربه لان الملك لله وحده وله القدرة والمنة ويبين بعد ذلك ان الرسول واخصامه
 سيلقون ربهم فيجزيهم في المسي ويثيب المحسن وان في الدنيا له النصرة ، والحق ذلك

ايضا قائلا : « أليس الله بكاف عبده ، منكر النفي به - هذا الاستفهام زيادة في مبالغة اثبات نصرته الله لرسوله فيما ذا يخوفونك يا محمد ؟ » بالذين من دونه ، ممن لا حول لهم ولا طول ، واسكنها دعوة وهداية » ومن يضل الله فحاله من هاد ، (٣٦) ثم انتقل مرحلة ثانية لمجابهة المشركين عنافتهم واقامة الحجة عليهم ميينا لهم الذي دعوا اليه بكتاب الله وانتقل من بعد ذلك الى ما يجب ان يكون عليه الرسول من ثبات يفوض فيه الامر لله « قل اللهم فاطر السموات والارض انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون » (٤٧) ثم خاطب المؤمنين الذين اسرفوا على انفسهم واعداً بالمغفرة داعياً الى المثوبة قبل ندامة القيامة التي افاض بذكرها قائلا : « الله خالق كل شيء وهو على كل وكيل » (٦٢) فلا عبادة لغيره ميينا ان الرسول امر بعبادته وحده « ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليجبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين » (٦٦) ميينا ان المشرك في شركه دال على انه لم يفهم معنى الخالق بالوحيته « وما قدروا الله حق قدره ، والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » وذكر بعد ذلك مشهداً من مشاهد يوم القيامة وما يكون من محاسبة فيدخل الكافرون الجحيم ويدخل المتقون الجنة فيحمدون الله قائلين

« الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض [فكانت العاقبة من
 من بعدها في هذه الآخرة لنا بجنة الله] تنبأ من الجنة حيث نشاء
 فنعم أجر العاملين * وترى الملائكة حافين [يومئذ] من حول
 العرش ، يسبحون بحمد ربهم ، وقضي بينهم بالحق [الذي دعواليه
 وقامت به السموات والارض مما ذكره في مستهل السورة] وقيل
 الحمد لله رب العالمين ، وبهذا ختمت السورة ، فهي سورة تدعو الى
 الحق في الهداية وتبين له مظاهره في الحياة الدنيا والآخرة وماثم من
 نتيجة جاعلة التوحيد لله رأس الدعوة والحق ومن بعدها سورة
 المؤمن .

❦ المؤمن : وهي من الحواميم اي مستهلة بـ «هم» التي ترددت
 في عدة سور متتابعة اتبعت بتنزيل «الكتاب من الله العزيز العليم»
 ذاكرة اوصافه من حيث اعتبار العبادة بما يناسب ختام السورة
 الآتية وموضوعها « غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب ذي الطول
 لا اله الا هو اليه المصير » هذا الاله الذي يجب الايمان به هو الذي
 انزل آياته ولكن الذين كفروا يجادلون بها مغترين بقوتهم « فلا
 يفررك تقلبهم في البلاد » (٤) « فسنأخذهم بكفرهم كما اخذنا قوم نوح
 والاحزاب من بعدهم » وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه ، وجادلوا
 بالباطل ليدحضوا به الحق ، فكانت النتيجة ان اخذتهم معاقبا فكيف كان

عقاب، (٥) وهم في الآخرة من أصحاب النار، هذا بينما تستغفر الملائكة له المؤمنين
 داعين لهم ولا زواجهم وذرياتهم ان يجنبوا مزلات سيئاتهم التي لا يسلّمون
 منها في حياتهم وبين ان الكافرين اذ يرون ذلك تنكسر نفوسهم ويشعرون
 بمقت شديد فينادون «لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم، لكفركم
 واشراككم بالله بعد ان اراكم آياته ومنها ما فيه رزقكم الذي
 تسدون به حاجاتكم اذ كانت وفق العناية صيانة للحياة» وما يتذكر
 الا من ينسب، (٣١) كلما اقدم على عمل رجع الى نفسه يحاسبها ويرى
 واجبه الالهي رجوعا الى ضميره بعد عمله، وهذه خطّة العبادة والدعاء
 «فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»، فانه تعالى «رفيع
 الدرجات * ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده»
 منذر أيوم «تجزى كل نفس ما كسبت»، (٧١) فلا حكم الا لله
 «والله يقضي بالحق»، والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء، (٢٠)
 وايد هذا مذكرا بسيرة من مضى وما كان من فرعون وحزبه
 «فلما جاءهم [موسى] بالحق من عندنا قالوا: اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه
 واستحيوا نساءهم»، [مغتربين بقوتهم] وما كيد الكافرين إلا في ضلال، (٢٥)
 فاهلكهم الله وافاض في ذكر اسباب ذلك من تعنتهم وإصرارهم رغم
 أن رجلاً مؤمناً من قوم فرعون كان يكتهم إيمانه جاءهم داعياً للإيمان
 فابوا وذكر ان كان من قبله يوسف داعياً لهم ايضاً «فما زلتم في شك مما

جاءكم به ، حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ، زيادة
 في الارتياب من غير دليل عليه مما يعتبر من مزلات الضلال ، كذلك
 يضل الله من هو مسرف مرتاب ، (٣٤) وهو ارتياب الذين يجادلون
 في آيات الله بغير سلطان اتاهم ، فلاحجة لهم ولا برهان ، وذكر
 ما يحتاجون به بعد ذلك في النار بان يقول المستضعفون للمستهكبرين
 يا ما كسنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار ، وهكذا تخللت
 قصة المؤمن ما فيه عبرة ليكون مثالا لمن كانوا يقفون من الرسول
 (ص) واصحابه موقف المعادة لدعوة الاسلام ، ولذلك عقب القول بخطاب
 الرسول « فاصبر ان وعد الله حق ، واستغفر لذنبك ، وسبح بحمد ربك
 بالعشي والابكار : ٥٥) فان جدل من يجادلون من هذا النمط
 المنبعث عن الكبرياء ، فاستعذ بالله انه هو السميع البصير » (٥٦) واعقبها
 بما فيه تنبيه للانسان ليؤمن بالله وسلطانه ذاكرا من آياته ما يوجب
 العبادة له بمثل قوله « الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء
 وصوركم فاحسن صوركم ، وورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم فتبارك
 الله رب العالمين » (٤٦) حتى اذا اتم هذا المعنى بما يناسبه كر على
 المجادلين الذين يتناولهم في هذه السورة فأتى بمشهد من آخرتهم وعقابهم
 قائلا « ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم
 تفرحون ، (٥٧) وعاد بعد ذكر الامم الخالية يكرر امر الرسول

بالصبر كما امره من قبل قائلا فاصبر ان وعد الله حق فاما رينك بعض
الذي نعدهم [في الدنيا] او توفاينك [قبل ذلك] فاليناير جمعون، فيرون ما حق
عليهم من كلمة، ومبينان ذلك سنة الله في الامم السابقة، ومنهم من قصصنا عليك،
اخبار رسالهم «ومنهم من لم نقصص عليك» وكلهم جرى عليهم هذا القانون
الالهى الذي يقضي باهلاك المجرمين وعقابهم في الآخرة، وبين ان الايمان
حين تحقق العقوبة لانفع له سنة الله التي خلت في عبادته وخسر هنالك
المبطلون، وبهذا ختمت السورة فهي بموضوعها صورة تعرض لمن
يصدق دعوة الله وتبين مصيره، مع اسباب هلاكهم مثل شدة ارتيابهم
رغم أن البرهان يؤيد من آمن منهم ممن يدعوهم من قومهم الى مادعاهم
اليه رسولهم مبينه في ذلك بطلان ارتيابهم وان مبعثه الاستكبار والغرور
بنير برهان ومن بعد سورة المؤمن سورة السجدة.

 السجدة سورة مستهلمة بالتقوية بالقرآن بأنه «تنزيل من الرحمن
الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً
فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون» فكان ذلك اتماماً لما ختمت به السورة
الاتفة وعوداً لايضاح ذلك بما قالوه فكانت فيه الدلالة على انهم
معرضون عما يجب ان يستمعوا اليه من آيات القرآن وان عملهم الى
بوار وهذا الرسول بشر مثلهم انما يدعوهم لوحداية الله والاستقامة في الحياة
والاستغفار مما يقع المرء فيه رغم ذلك، واتبعة بايضاح الكفر بالخالق

- (ركن الوجدانية) - ذاكر آخقه تعالى للسكائنات وان الاعراض عن الدعوة
 اليه يستوجب الهلاك كما اهلك امماً ذكرها وبين ان الذنوب في الآخرة
 تشهد عليها جوارح المذنبين أنفسهم ، وليكنهم مع هذا الانذار
 متصاممين اغتراراً بما يزين به بعضهم لبعض باطل اعمالهم وما يضل به قرين
 قرينه حتى قالوا لا تسموا هذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » (٢٦) مما يوجب
 عليهم اشد العذاب ، وذكر بعد ذلك ما يلقاه المؤمنون وذكر من
 الفضائل ما يناسب تلك المساوي فمن ذلك قوله : « ومن احسن قولاً بمن
 دعا الى الله وعمل صالحاً وقال : انني من المسلمين * ولا تستوي الحسنة
 ولا السيئة ، ادفع [يا محمد واصحابك على خطفك] بالتي هي احسن ، فاذا
 الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ، (٣٥) ثم اتبع ذلك بأن من
 آياته تعالى الليل والنهار والشمس والقمر قائلاً : « لا تسجدوا للشمس
 ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون » وذكر
 ما يناسب ذلك من الآيات والدعوة والتنويه بالقرآن وانه « للذين آمنوا
 هدى وشفاء » (٤٤) وان « من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها ،
 وما ربك بظلام للعبيد » (٤٦) فاذا دعاهم يوم القيامة محاسباً سائلاً عما
 كانوا يعبدون من دونه تبين لهم ضلالهم ، واتبع ذلك بما انطوت عليه
 دعوة القرآن من خير للانسان رحمة من الله بما يلائم طبيعته ولا يسام
 الانسان من دعاء الخير ، وعلى المكس من ذلك « وان مسه الشر

فَيُؤْوِسُ قَنُوطُ ، (٤٩) وَاِنَّ الرَّحْمَةَ مِنْ بَعْدِ الضَّرَاءِ تَصِيْبُهُ تَأْخُذُهُ بِالْغَفْلَةِ
 اِذْ يَحْسِبُ مَا هُوَ فِيْهِ حَقًّا لَهٗ لَا مَرِيَّةَ فِيْهِ حَتّٰى يَقُوْلُ : « وَمَا اُظِنُّ السَّاعَةَ
 قَائِمَةً وَلَئِنْ رَجَعْتُ اِلَى رَبِّىْ اَنْ لِّىْ عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ » دُونَ اَنْ يَّعِدَّ لِلْاَمْرِ
 حَصَابَهُ « وَاِذَا اَنَعَمْنَا عَلَى الْاِنْسَانِ اَعْرَضَ وَنَاىَ بِجَانِبِهِ وَاِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
 فُدُوْا دَعَاءَ عَرِيْضٍ » (٥٠) وَخَتَمَ السُّورَةَ بِاَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَاَنْ
 دَعْوَتُهُ لِعِبَادَةِ اللّٰهِ وَحْدَهُ هِيَ الْحَقُّ « سَنُرِيْهِمْ اٰيَاتِنَا فِي الْاَفَاقِ وَفِيْ اَنْفُسِهِمْ
 حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ اَنَّهُ الْحَقُّ » وَلَكِنَّهُمْ فِيْ مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ « اَلَا اِنَّهُ بِكُلِّ
 شَيْءٍ مُّحِيطٌ » فَهِيَ سُورَةٌ تَبَيِّنُ دَعْوَةَ الْقُرْآنِ دَائِرَةً حَوْلَ الْاَعْرَاضِ عَنْهُ
 بِلَا مَعْذَرَةٍ وَالتَّدْبِيرُ لِمَا يَدْعُوْا اِلَيْهِ مِنْ وَحْدَانِيَّةِ اللّٰهِ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي الْحَيَاةِ
 وَالِاسْتِغْفَارِ بَعْدَ الزَّلَّةِ وَمِنْ بَعْدِ السُّجْدَةِ سُورَةُ الشُّوْرٰى

الشُّوْرٰى سُورَةٌ مُّسْتَهْلَةٌ بِالتَّنْوِيْهِ بِالْوَحْيِ اِلَى الرَّسُوْلِ « قَرَأْنَا
 عَرِيْبًا ، لِيُنْذِرَ بِهِ وَاَنْ هُوَ شَاءَ اللّٰهُ » مُشَبَّهَةً بِكُرْهِ النَّاسِ عَلَيْهَا [لَجَعَلَهُمْ
 اُمَّةً وَاحِدَةً] مُسْلِمِينَ جَمِيْعًا وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ بِاِقْبَالِهِ
 عَلَى الْاِيْمَانِ ، مِمَّنْ اَنَّهُ هُوَ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصٰى بِهِ نُوْحًا وَالَّذِيْ اَوْحَيْنَا
 اِلَيْكَ ، وَمَا وَصَيْنَا بِهِ اِبْرَاهِيْمَ وَمُوسٰى وَعِيسٰى اَنْ اَقِيْمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
 فِيْهِ ، (١٣) وَاِنَّ النِّهَايَةَ اِلِىَّ تَعَالٰى لِمَا فِىْهِ مِنْ خَيْرِ الْعِبَادِ
 وَلَيْسَ لَهُمْ اَنْ يَتَعَنَّتُوْا وَيَتَزَمَّتُوْا فَيَجْعَلُوْا الدِّينَ مَدْعَاةً شَقَاقًا وَاخْتِلَافًا كَمَا كَانَ
 مِنْ سَبْقِ « وَمَا تَفَرَّقُوا اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ هُمُ الْعِلْمُ ، بَغْيًا بَيْنَهُمْ » (١٤) وَفِي هَذَا الْبَنِي

باطل واختلاف قلوب ، فلذلك فادع واستقم كما امرت ، ولا تتبع
اهواءهم ، وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم ،
الله ربنا وربكم ، لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لاحجة بيننا وبينكم [فلا خصام
ولا حجاج] الله يجمع بيننا واليه المصير ، (١٥) وبين في ذلك مكانة
دعوة الاسلام مما سبقه من الشرائع وخطئه حيال الكتابيين الذين
تفرقت كلمتهم ومعتقداتهم ، واتبع ذلك بما يوضح دعوة الاسلام قائلا
«الله الذي انزل الـكـتاب بالحق والميزان» (١٧) وحذر من الآخرة
مبيناً ان «من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب» (٢٠) ان لم يعمل للآخرة
مقبلاً ما وحي به الله ، وان من اتبع غير ذلك في ضلال والا فيحسب
ان لله شركاء «شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله» ، وذكر من ثواب
الدنيا والآخرة وعقابها ما ذكر مبيناً وجه الحكمة فيما يقبض وييسط
قائلاً : «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر
ما يشاء ، انه بعباده [وما فطروا عليه وما يعملون] خير بصير» (٢٢)
وتوالت الآيات مرغبة مبينة رحمة الله وقدرته بما يؤيد العقيدة وما تدعو
اليه قائلاً : فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير
وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون» (٣٦) وذكر من صفاتهم

وسيرتهم مذكور حتى اذا اتم سيرتهم ذكر من كانوا على عكس ذلك في ضلال حتى اذا اتم ما اراده من عرض الحالين ليختار المرء لنفسه منها ما يرضيه رغبتهم قائلًا : « استجبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله، ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير » مبيناً ان هذه دعوة الله اوحى بها وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيًا او من وراء حجاب او يرسل رسولاً فيوحى باذنه ما يشاء، (٥١) منها بما اوحى به الى الرسول ممثلاً عليه بانه انزل عليه نوراً يهدي به الى صراط مستقيم » صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض، الا الى الله تصير الامور » وبهذا ختمت السورة مبينة وحي الله الى الرسول ومن قبله ان « قيموا الدين ولا تفرقوا فيه، باستقامة السيرة وحسن الايمان بما انزل الله من حق في شؤون الدنيا والآخرة ومن بعد الشورى سورة الزخرف

﴿ الزخرف سورة مستهلة بذكر القرآن وان الله جعله عربياً عليكم تعلمون ﴾ وانه في أم الكتاب لدينا علي حكيمة تصفه بما يلائم ماورد في السورتين الآتيتين وانه تذكرة واجبة لا بد منها للعرب خاصة والناس عامة ولو كانوا مسرفين في عنادهم وارتبابهم عنادا اهلك من قبلهم وقد علموا ان الله هو الذي خلق السموات والارض وبث فيهما من نعمه ما سخره للانسان في معاشه

ومع ذلك فقد جعلوا له من عباده جزءا» كفرا منهم بوحدايته وعبدوا
فيما عبدوا معه الملائكة «وقالوا لو شاء الله ما عبدناهم» دون ان يكون
لهم دليل على اسناد هذه المشيئة الى الله «مالهم بذلك من علم ، يقيني
ولا كتاب موحى به يتخذون منها برهانا» انهم الا يخرصون ، تقليداً
لابائهم جرياً مع سنة المترفين في كل امة حتي قال لهم الرسول : «أولو جئتكم
بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، فكان جوابهم - وقالوا انا بما ارسلتم به
كافرون» (٢٤) وضرب مثلاً يابراهيم وما كان من كفر ان ابيه
أزرو وقومه وانهم ظلوا متمتعين بحياتهم حتي «جاءهم الحق ورسول
مبين» (٢٥) فقالوا هذا سحر «وانا به كافرون» فحققت بذلك عليهم
كلمة الله ، وكذلك شأن الذين يجادلون الرسول بغير حق جد لا قالوا فيه «لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين [مكة والطائف] عظيم» (١٣)
يحسبون ان في ذلك ما هو اليق بالدعوة «اهم يقسمون رحمة ربك» ؟ (٢٣)
فيكون رأيهم الا حق بالرعاية وهم لا يعلمون من أمر أنفسهم شيئاً
مفترين بما أترفوا فيه «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا
بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً ، ورحمة ربك
خير مما يجمعون» (٢٣) ليكون في ذلك مدار النظام في تعاونهم الاجتماعي
في هذه الحياة الدنيا وليس ما يتمتعون به من معاش الدنيا باقياً ابدآ وهو
هين على الله «ولولا أن يكون الناس امة واحدة» [يندفعون في طريق

الكفر [لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سققاً من فضة ومعارج عليها
 يظهرون] * ولبيوتهم ابواباً وسرراً عىها يتكثون * وذر فاولاً إن كل ذلك لما
 متاع الحياة الدنيا * سيسلبونه ثم يكون عليهم حسرة * والآخره عند
 ربك للمتقين « (٥٣) خالصة لهم باقية فارتأون من انزال القرآن على
 رجل عظيم هذه المظنة المألية الفارغة عما هو من ضلال رأيهم
 وما يزينه لهم شيطانهم * وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم
 مهتدون » (٧٣) فادعهم يا محمد ودعهم وشأنهم * أفانت تسمع الصم أو تهدي
 العمي ومن كان في ضلال مبين * واستمسك بالذي اوحى اليك إلهك على
 صراط مستقيم * وانه لذكر لك ولقومك * وسوف تسألون * فيه تذكرة
 لكم وذكركم بين الناس ما أخذتم به ودعوتكم اليه * وان ما يعبده المشركون
 لا دليل لهم عليه « واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون
 الرحمن آلهة يعبدون » (٥٤) ليسكون استشهادك باهل الكتاب
 وما انزل اليهم * وهذا موسى من قبلك لقي من فرعون ما كان
 سبب إهلاكه إذ قال لقومه ساخر من رسولنا * يا قوم أليس لي ملك مهبط
 وهذه الأنهار تجري من تحتي * أفلا تبصرون ؟ * أم أنا خير من هذا
 الذي هو مهين [يعني موسى] ولا يكاد يبين * فقلوا لقي عليه أسورة
 من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين * فاستخف قومه [بمثل هذه الترهات
 من القول واستكبر عليهم] فأطاعوه * إنهم كانوا قوماً فاسقين « (٥١-٥٤)

فاهلكناهم وجعلناهم مثلاً يعتبر به من يلحق بهم ، ثم ذكر من جدل
 المشركين ما قالوه اذ ضرب لهم المثل بعيسى بن مريم فقالوا اداً آلهتنا
 خير أم هو ، وما هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ،
 واتبع ذلك من الآيات بما يناسب قصة عيسى وانه دعا الى الله وعبادته
 فاختلف الاحزاب من بينهم ، وسيرون يوم القيامة ظلمهم يوم لا ينفع
 نفساً غير ما اكتسبت ، الا اخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ،
 فتناصرهم في الدنيا على ابا حليل المعتقدات سيكون عليهم حسرة ، و ذكر
 بعد ذلك من شؤون المتقين ما ينعمون به في الآخرة و ذكر من عقاب
 المجرمين ما فيه تذكرة اذ يقال لهم ، لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم
 للاحق كارهون ، (٧٨) ورد على المشركين بعد ذلك افحم ردبتيان
 اتباع الحق وحده بما امر به وذلك استمى درجات التجرد في سبيل الحق
 والبعد عن الهوى وهو انموذج من منطق الاسلام وهداية القرآن ، قل
 ان كان للرحمن ولد ، فانا اول العابدين ، ولا يكن سبجان رب السموات
 والارض رب العرش عما يصفون ، وتناهت الآيات فيما يناسب
 ذلك وختمت السورة بما أمر به الرسول من خطبة فاصفح عنهم وقل
 سلام فسوف يعلمون ، فهي تناول صورة من صور الصدود عن الاسلام
 وما لقيه الرسول في دعوته من استهزاء به اعتزازا بالمال والسلطان فيبين
 لهم تعالى هوان ما أوتوه ، ويبين للرسول ما كان من فرعون وما اصاب

موسى منه مما صبر عليه ليكون على هذه الخطة في صبره ، وفي
 خلال ذلك تزييف لبعض معتقداتهم التي استمسكوا بها وتبيان للحق
 في دعوة القرآن التي دعا اليها ومن بعد الزخرف سورة الدخان
 ﴿١٠﴾ الرمان سورة مستهلة بالتنويه بالقرآن ووحيه وما سيكون
 من عقاب من لم يؤمن بربه وما كان من فرعون وقومه من استكبار
 حتى اذا تخلموا عما كان لهم من مال وملك د فما بكت
 عليهم السما والارض وما كانوا منظرين ، (٢٩) وهؤلاء كفار قريش
 ان جروا على سنن الكفر بانكار البعث فان لهم عبرة ايضا بقوم تبع
 والذين من قبلهم اهلكنا هم انهم كانوا مجرمين * وما خلقنا السموات
 والارض وما بينهما لاعين * ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم
 لا يعلمون ، (٣٧ - ٣٩) وذكر بعد ذلك يوم الفصل يوم القيامة الذي
 أنكروه بانه سيفصل فيه تعالى بينهم ويريههم ما يعدهم مع مشهدين : عذاب
 القيامة ونعيمها محتما السورة بالتنويه بالقرآن وانذار المشر كين بقوله فانما
 يسرناه [اي القرآن] بلسانك [العربي] لعلهم يتذكرون فارتقب انهم
 مرتقبون ، فكانت هذه السورة ملخصة مؤيدة لما سبق في السورة الانفة من
 هو ان ما ينعم به المشر كون مبينة مكانة الحق من هذه الشريعة في دعوتها
 والفصل فيه وأن الهلاك ينتظرهم في الدنيا والعقاب في الآخرة إن لم
 يروا هذا الحق الذي قام عليه نظام الخليقة في السماء والارض في الدنيا

والاخرة ومن بعد الدخان سورة الجاثية

﴿٢٠﴾ الجاثية تتمم شرح ما انطوت عليه السورة الانفة من معاني الحق الذي قامت عليه السموات والارض مما ذكر تايد الدعوة القرآن فاستهلت بتنزيل الكتاب «من الله العزيز الحكيم» وان «في السموات والارض لايات» للمؤمنين، الموقنين، الذين يعقلون، وأن هذا القرآن بآياته يوحى به تعالى الى الرسول بالحق كهذه الايات التي قامت بها السماء والارض بالحق، ثم توعد كل أفك أثيم «يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصير مستكبراً، فلما ثم والاستكبار بعد قيام البرهان بايات الله ودعوتها وما تدل عليه والاستهزاء بها مدعاة العقاب من الله الذي سخر للانسان «ما في السموات وما في الارض» مما فيه آيات «لقوم يتفكرون» فيروا في الخالق وخلقه والانسان وما حوله ما يذكروهم برهم ويحلمهم ملزمين بالايمان بما جاء به الرسول الاعظم في قرآنه، واتبع ذكر ما سخر له بما ألزم المؤمنين به من سيرة بقوله «قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله» (١٤) فعليه جزاؤهم على قاعدة «من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها» (١٥) ثم ذكر قصة بني اسرائيل وما أوتوه من «الكتاب والحكم والبنوة» وانهم رزقوا من الطيبات وفضلوا على العالمين فاختلفوا وبعد ذلك بغياً بينهم، فذكر ذلك تحذيراً موطئاً لتبيان ما على الرسول ومن يدعوهم بقرآنه مبيناً ما في دعوته بقوله «هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون» (٢٠) وتاييداً

لهذا الوصف للقرآن وأنه الحق تخطى ذكر الانكار الى التعريض بما
 يكون المنكر عليه مستنكراً ما يكون منه متوعداً قائلًا: «ام حسب الذين
 اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، سواء
 محسبهم ومماتهم؟ [لئن كان هذا ظنهم] ساء ما يحكمون» (٢٢) فان
 نظام الكائنات بما فيها نظام الانسان يتنافى ذلك وخلق الله السموات
 والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون واستنكر
 بعد ذلك اتباع الهوى من دون هدى الله مما يكون سبباً اولياً لعدم
 الايمان بالقرآن كما كان من قبل فيمن ذكرهم من قوم موسى، غير انه
 ذكر هنا المشركين من العرب غير الكتابيين مبيناً ان حالات نفسية
 واحدة تجمع بين الكافرين بالقرآن من المشركين وبين الكتابيين
 المنكرين في هذا الصدود على سواء، فانكر عليهم عدم الايمان بالله
 مما عبر عنه القرآن بقوله: «وما يهلكنا الا الدهر»، وما لهم بذلك من
 علم، إن هم إلا يظنون» (٥٢) يتخذون الظنون مع الجهل الذي لا علم معه
 اتباعاً للهوى ثم ذكرهم بالله وأن مصيرهم اليه بحاسبهم مصوراً ما سيلقون
 بقوله: «وبداهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا يستهزؤن»، وختم هذا
 بحمد الله على عدله ودعوة الحق قائلًا: «وله الكبرياء في السموات والارض
 وهو العزيز الحكيم»، فهي سورة تبين الحق في دعوة القرآن وايات الله المؤيدة
 لها في خلقه وتعرض لمن صد عن الهدى اذ جاءه كبري اسرائيل بنفياً

منهم وأن على نعطهم من الصدود ما كان من مشركي العرب اتباعاً
لا هو انهم بغير علم اذ يستهزئون منكبين وانهم سيلقون جزاء ذلك
يوم القيامة فلا يفيدهم استكبارهم وهزؤهم لان نتيجة هلاكهم وهو
لا يضير الله سبحانه وله كلمة الحق ودعوته والحمد والسلطان كبرياء
في السموات والارض بعزته، ولكن نظام الوجود وعدل الحساب من
حكمته «وهو العزيز الحكيم» ومن بعد الجائية سورة الاحقاف

﴿١٠٠﴾ **الاحقاف** سورة مستهلة ببعض ما اتت عليه السورة الاتفة من
تنزيل الكتاب وان دعوته حق بدليل ان الله اوحى به وما خلق السموات
والارض وما بينهما الا بالحق ثم ذكر ما ينافي ذلك من اشراك ومسا
يزعمه المشركون عند انكار الرسالة من انها محصن إقتراء دافعاً ذلك بان
الوحي على الرسول الاعظم جرى على سنن الرسل من قبله منذراً مبيناً
زبدة تعاليمه بقوله: «ان الذين قالوا ربنا الله» فامنوا [ثم استقاموا] بعملهم
وسيرتهم في حياتهم [فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون] (٣١) ثم ذكر قصة من
يدعى الى الايمان من قبل ابويه فيأبى منكراً للبعث مسيئاً اليهم، وبين
حق الابوين وحنانها بصورة تبين ان المرء لا يعرف تمام المعرفة قيمتها
حتى يبلغ اربعين سنة فتكون له ذرية ويبلغ تمام الرجولة ثم اتبع القول
منذراً فقال فيما قاله: «ويوم يعرض الذين كفروا على النار» فيقال
لهم: [أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا، واستمتعتم بها، فاليوم تجزون

عذاب الهون [مبيناً سببه بقوله] بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق
وبما كنتم تفسقون، (٢٠) وذكركم بقوم عاد إذ جاءتهم ريح اهلكوا
بها فاصبحوا لا يرى الامساكنهم، (٢٥) وما اغنى عنهم سمهم ولا
ابصارهم ولا أفندتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق
بهم ما كانوا به يستهزؤن، (٢٦) وأن آلهتهم لم تحمل دون هلاكهم
لأنها لا تملك من دون الله سلطة وما هي الا من اوهامهم وافترائهم على الله
بعبادتها وإشراكها معه، وبين بعد ذلك أن القرآن يهدي الى طريق مستقيم،
على لسان من سمعه من الجن فآمن به ذاكراً من الايات ما يدل على البعث
الذي يستبعده المشركون فيكون سبب كفرانهم قائلاً: اولم يروا أن الله خلق
السموات والارض ولم يمي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى؟ بلى! انه
على كل شيء قدير، (٢٣) فالكفر بذلك يقابل بعقاب حق يوم القيامة
وختمت السورة بعد ذلك بدعوة الرسول بقوله: «فاصبر كما صبر أولو
العزم من الرسل ولا تستعجل لهم» [اي العذاب للمشركين] كانهم
يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار، بلاغ فهل يهلك الا
القوم الفاسقون، ؟ ومن بعد الاحقاف سورة محمد

﴿*﴾ محمد سورة جاءت بعد السبع الحواميم التي بينت
الدعوة الاسلامية بمعتقداتها وجادلت الكفار بها فأتت هذه السورة
على قتالهم فاتبعها بناحية عملية خطوة ثانية من بعد

الجدل وبيان العقيدة فهي مستهلة بذكر الكافرين الذين يصدون عن سبيل
الله واتباعهم الباطل وأن على المؤمنين قتالهم دفعاً لطغيانهم مبيناً ثوابهم
وكيف أضل الله الكافرين أعمالهم جرياً على سنته فيمن أهلكهم الله
مردداً ذكر الجنة وثوابها للمتقين قائلًا «أفمن كان على بينة من ربه
كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم» (٢٤) وذكر من هؤلاء فئة
ممن يحضرون مجلس الرسول وحتى إذا خرجوا من عنده [يا محمد]
قالوا للذين أوتوا العلم: ماذا قال آنفاً [محمد] أولئك الذين طبع الله
على قلوبهم واتبعوا أهواءهم، فسировون عقابهم، وأما أنت وصحبك
فلكم سبيلكم من دونهم فاعلم انه لا إله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات» (١٩) ويبين ان منكم من يرى هذا الصدود فيود ان لو يؤمر
بالقتال ولو لكان لو انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال، فان فيكم ضعفاء
ينظرون الى الرسول ونظر المشي عليه من الموت، فاولى لهم طاعة وقول
معروف «يتدربون عليها واذا اقتضت حكمة الجهاد الامر به فحينئذ
يجب الثبات» فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم، مخذراً من امر يتصل
بالجهاد بقوله: «فهل عسيتم ان توليتم» [من التولي فراراً] وما وجب عليكم
أو من الولاية بان كانت لكم السلطة او وليتم امركم فئة فاسدة على هذه
الشأكله [ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم، تحذيراً ينطوي
على تبشير فيما سيؤول اليه امرهم من سلطان من جهة المانع الى فريضة الجهاد من

جهة ثانية التي تكون سبباً له، وذكر من ثم المرتدين من بعد ما تبين
 لهم الهدى - (وهم من المنافقين) - اتصافاً لما كان تحدث به عن احوالهم
 قبلاً وذلك في معرض الانذار بالبور وتبيين ان حكم الجهاد، وقد بين
 الحكمة في هذا النظام الذي اقتضى وجود ايمان وكفر ونفاق قائلاً:
 «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم»، وختم
 السورة بما يناسب ذلك من ذكر الكافرين والمؤمنين
 وتحريرهم قائلاً: «ولا تهنوا وتدعوا الى السلم [من تخاذل] وأتم الاعلون
 والله معكم ولن يتركم أعمالكم»، داعياً الى الانفاق في سبيل الله منذراً
 المؤمنين فيما كلفوا به قائلاً: «وإن تقولوا [عن القيام بما امرتم به] يستبدل
 [الله بكم] قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم» فهي سورة مستقلة بذكر
 الجهاد والايمان والنفاق وحالات كل فئة مع ما يناسب ذلك، وفي
 الآيات ما فيها من مراعاة لاحوال النفوس بالتمهيد للجهاد جرياً مع
 حكمه ومقتضياته من صبر وبذل وانفاق وثبات وفي ذلك ما يوضح في كل
 آية ما فيها من صلة تربطها بما قبلها وبعدها، ولن يتضح ذلك تماماً
 إلا بمعرفة ما كان عليه المسلمون في هذه المرحلة من الاطوار النفسية
 وما كان عليه المشركون والمنافقون وما بين دعوة الحق ببرهانها
 والجهاد من بعدها، وقد مهد الامر بالجهاد في مطلع السورة بذكر
 الكافرين والمؤمنين باعتبارهما المنصرين المتحاربين ثم شرح الداعي

الى ذلك لك من معاملة الرسول وصحبه وموقف المشركين والمنافقين مبينا
بالتدرج بما قد دعا الى الجهاد وختم به السورة مرغبا، وهذه طريقة
القرآن في عرضه في فكرة تدعم بأسبابها ويكون ختام السورة مؤيدا
مبدأها مما ترى فيه وحدة الموضوع تربط ما بين ذلك من الآيات
بمناسباتها باتمام معنى او شرح فكرة بالتفات واستطراد او جملة معترضة
او نحو ذلك حسب الملائمة للموضوع الذي توجه الخطاب اليه وأثره
في نفس سامع القرآن. ومن بعدها سورة الفتح.

❦ الفتح تتم معنى السورة الانفة بما ينجم عنه فن بعد الجهاد فتح بدواعيه
وقد استهلت بان الفتح لمكة واقع «فتحاً مبيناً» بما يكون من كرم
على المشركين الذين أخرجوا الرسول وصحبه اذا هاجروا الى المدينة
بعد الحبشة اولى وثانية واذ نقضوا العهد في صلح الحديبية، كراً يغفر
الله به للرسول ما تقدم من ذنب وما تأخر مما يسمى ذنباً بالنسبة لرفعة
مقامه وقدم ما قيل: سيئات الابرار حسنات لمن دونهم، ويتم نعمة الله على
الرسول ودهد يهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً،
وذكر بعد الرسول اصحابه والسكينة التي تنزل على قلوبهم بصبرهم
وجهادهم «ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم» مبيناً بان «الله جنود السموات
والارض» فحين يدعواهم للجهاد داعية الفتح فاعايدعوهم جرياً مع مقتضى علمه
وحكمته، وكان الله عليماً حكيماً يريد لكم الثوبة «ليدخل المؤمنين

والمؤمنات جنات...» ويكفر عنهم سيئاتهم، ويعذب بأيديهم المشركين
والمنافقين، ثم ذكر غاية الدين الذي يجاهد في سبيله بأنه مجرد عن المطامع
الدنيوية، لتؤمنوا بالله ورسوله وتزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة
وأصيلاً (٧) فليس وراءه مقصد إلا إعلاء كلمة الله خالصة، والمجاهدون
جندله يسلطهم على المنافقين والمشركين اخذاً لهم بذنوبهم بعد اصرارهم
وعنادهم وسوء أعمالهم مما أفاضت به السورة الآتفة وعرضت له الحواميم
وما قبلها بشرح مظاهره ودواعيه، ثم ذكر من مواقف الجهاد الذي استوجب
الفتح موقف البيعة قبيل صلح الحديبية إذ حسب المسلمون أن غدر
المشركون بسفيرهم عثمان بن عفان حين دخل مكة مبيناً للمشركين أن الرسول
جاء للطواف والتضحية لا ليدخل مكة بعد إخراجها محاربا أهلها، فكان
موقف البيعة هذا عهد الله، ثم اتبعه بمن كان على عكس ذلك متخلفاً ومن كان
منافقاً مفصلاً من أخبارهم ما كان منهم يومئذ مستدر كابر فخرج عن تخلف
عن الجهاد لسبب كالمرض، مبيناً بعد هذا ما كان للمبايعين من فضل «فأنزل
السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً، ومغانم كثيرة» (١٨) وكف
أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين [بنصر الله لهم بعد ضعفهم]
ويهديكم صراطاً مستقيماً» (١٩) وذكر حال فتح مكة وما كان يومئذ
وختم السورة بما بشر به الرسول قبل الفتح من رؤية ذلك في منامه
وأنه تعالى وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين

كله وكفى بالله شهيداً، وذكر الرسول وصحبه بما كانوا عليه من خلق
 وأشداء على الكفار [في مواطن الشدة مما تحدث عنه هذه السورة من
 جهاد وكفاح] رحماء بينهم، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله
 ورضواناً فكان وعداً للمؤمنين على الله أن يثيبهم مغفرة وأجرًا عظيماً،
 وهذا ما كان في الفتح لمكة وبذلك ارتبط بدء السورة بحتمها وكان ما بين
 ذلك من الآيات شرحاً وإيضاحاً للموامل والحوادث التي أدت إلى
 ذلك لتكون فيها هداية للناس وعبرة يطمئن بها المؤمنون لنصر الله
 ومن بعد سورة الفتح الحجرات .

الحجرات مستهلة بخطاب المؤمنين بما يناسب ختام
 السورة الآتية بأمرهم بأن لا يقدموا بين يدي الله ورسوله
 ولا سيما بأن يقطعوا في أمر قبل معرفة حكمه وأن يتقوا الله
 ويفضوا عند الرسول أصواتهم دلالة على التوقير له إيماناً منهم ثم أشار
 إلى ما كان من جماعة نادى الرسول على خلاف هذه الآداب جهالة
 منهم ثم استأنف تنبيهاً آخر فتح له القول بنداؤه ديا أيها الذين آمنوا
 إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا [مخافة] أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصيبوا
 على ما فعلتم ناديين « (٦) مبيناً أن الرسول ولو
 يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم، ذكراً من بعد ذلك الحكم في
 اقتتال طائفتين من المؤمنين باعتبار أن هذا قد يتوقع ب نتیجه ما فهم عنه

من عدم تدبر اخبار الفاسقين والتعجل في الامر قبل معرفة حكم الله
ورسوله ثم ذكر بعد ذلك سبب ان اسباب الخصام وهو سخريه قوم بقوم وما
الى ذلك من سوء الظن والتجسس والغيبة مبينا ان الناس خلقوا من ذكر
وانثى بنسبهم قائلا «وجعلناكم شعوبا وقبائل لتهـارفوا» فالانساب
والاجناس وسيلة تعارف بين الناس وإلا فقيم يتميز انسان
عن انسان الا بالتقوي وهي سمة الانسانية جامعة لا استعلاء فيها ولا
بغي، ثم ذكر بعد ذلك طائفة تظاهرت بالايان ولم يدخل قلبها في تمتن
على الرسول بانها لم تحارب به فقال سبحانه «اعلم المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله، اولئك هم
الصادقون (١٥) فلا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
لاليمان [فاوضح لكم طريقه] ان كنتم صادقين، وختم ذلك بما
يناسب الايمان باعتباره امرا نفسيا خفيا بان الله مطلع عليه قائلا «ان
الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون» فهذه سورة
من اولها الى متنها تذكر ما يعرض للمؤمنين من اخبارهم وما يكون بينهم
وتتحدث عن الايمان عارضة اعموذا من ضعفه داعية الى ما فيه كماله، فالايان
وما يتفرع عنه من حياة المؤمنين واجتماعهم مبتدئة بموقفهم من رسولهم هو
محور وحدة الموضوع في هذه السورة. ومن بعدها سورة - ق -
وهي سورة جاءت بعد ذكر الايمان والفتيح وما يعرض

للمؤمنين في السور الثلاث الآفات الى تحرير ببيان دواعي الايمان
 وخطل الشرك وما وراءه فعادت كركة جديدة بذكر القرآن وحال المشركين
 من استغراب البعث فردت عليهم بقوله تعالى : « وقد علمنا ما تنقص الارض
 منهم » [من الناس بموتهم افراداً واما ابل واجزاء اجزاء مما يقضى منهم آونة بعد
 اخرى بموتهم] « وعندنا كتاب حفيظ » يذكر كل شيء ولا سيما
 اعمالهم فلا يعجزنا أن نبدلهم ما نقص منهم من اجسامهم فنردم الى
 حياة ثانية يبعثون فيها على ما كان منهم في حياتهم الاولى في الدنيا من
 عمل ، وفي هذا العلم برهان على البعث يضم الى براهين اخرى ذكرها
 القرآن الكريم من (قدرة) ونماذج ضربها بمثل احياء الارض الموات
 وفقاً لبدا (التطور) - اذ كنتم امواتاً فاحياكم وهلم جرا ، مبيناً ان
 في انكارهم للبعث تكذيباً بالحق لما جاءهم ، وانهم في ذلك على اضطراب
 ليس لهم رأي قويم ونظر صحيح في افكارهم هذا وكفرهم بالحق
 الذي نزل على محمد الرسول فقالوا عنه اقوالاً متناقضة متخالفة لارأي
 فيها ولا حجة ثم ذكر السماء بينائها وزينتها والارض بما عليها ونباتها
 مما فيه زينة وبهجة فضلاً عن كمال في الصنع ودقة فيها « تبصرة وذكري
 لكل عبد منيب » يتفكر بان لهذه المخلوقات صانعاً يرد الخلق اليه
 فيرجع بنفسه اليه فيوفيه حقه وذكر ما يناسب ذلك من الايات تأكيداً
 على ان في نظام هذه المخلوقات - (ولاسيما باحياء الناس بالرزق واهياء البلدان

بالمطر) - دلالة على قدرة الله وأن للبعث سابقه من نظام الخلق
 والايجاد في الحياة فيها برهان عليه فلا محل لنكرانه والتعجب منه ،
 حتى اذا قام الدليل بذلك انتقل الى الالماع الى الامم الخالية مميئاً مصيرها
 باسبابه من تكذيب الرسل فحق الوعيد لا صرارهم بهلاكهم في الدنيا وحق
 العقاب عليهم في الآخرة ثم رجع مستنكراً أنكارهم للبعث واصرارهم على
 الكفر بذكر ما ينطوي عليه هذا الانكار من وصفه جل سبحانه بالمجزأئلا
 « افعمينا بالخلق الاول » اذا خلقنا الكائنات فنفت قد رتنا فلا نستطيع البعث
 او كان ذلك الخلق مجهداً لنا فلا نستطيع الاحياء بعد الموت « بل هم في
 لبس من خلق جسد » يتعاقب على الانسان اذ ينمو ويفنى ويحل
 بعض جديد محل ما في منه ، وكذلك الا ترى بقية ما يحيط به من
 الموجودات ، في تماود الموت والحياة عليها دليل ، ثم ذكر علة هذا الانكار
 من تكوين الانسان النفسي قائلاً ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به
 نفسه ، فصدور ما هو فيه وسوسة نفسه بما يحول في صدره من ريب وشبه
 لا تثبت فيها بنظره فيرى ما يدل عليه النظر مما أتى على ذكره في مطلع
 هذه السورة ، وبين من ثم بقوله « ونحن أقرب اليه من جبل الوريد »
 (١٦) مع ما تبعها من الآيات مصير الآخرة وما يكون بين الانسان
 وقرينه الذي يوسوس له داعياً لما فيه الكفر عناداً مسانعاً للخير متكبراً
 معتدياً مريباً حتى يلتقي في جهنم فتمتلي بهم ، ثم ذكر من كان على

عكس ذلك من خشية للرحمان والايمان به والرجوع اليه بقلب منيب
 اذا عمل عملاً حاسب نفسه قبل ان يعرض على ربه فيحاسبه قائلاً : « ان
 في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » ، وانه
 تعالى خلق السماء والارض في مدة وجيزة في ستة ايام قائلاً : « وما
 « مسنا من لغوب » فيعجزنا البعث ، وخاطب الرسول بعد ذلك بما يجب
 عليه من صبر وعبادة مؤكداً له ما سيكون مما عرض قائلاً : « انا نحن نحيي
 ونميت والينا المصير * يوم تشقق الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا
 يسير ، فهو حتما كائن لا ريب فيه فدع ما يقوله المنكرون « نحن أعلم بما
 يقولون وما انت عليهم بجبار » [فتلزمهم بالايمان مكرها] « فذكر
 بالقرآن من يخاف وعيد » ، فان القهر له جل شأنه فهو يحاسب ويعاقب
 يوم القيامة ويهلك في الدنيا بعد ان يحق وعيده اذ لا يبدل القبول لديه
 فلا بد من النظرة فهذه سورة دعوة الى الايمان بتأييد البعث الذي يؤدي
 نكرانه الى عدم الايمان وتأيد تحقيقه من نظام الوجود وما فيه كاحياء
 الناس والارض وسهولة البعث والترغيب به بعرض ما سيكون من بعده
 ليكون ذلك ادعى الى التأثير في القلوب والهداية من بعده اسورة الداريات
 الداريات مستهلة بقسم انتهى الى تأكيده البعث بما فيه حياة وإيجاد
 وقدرة وأن المنكرين له « لفي قول مختلف * يؤفك عنه من أفك » ،
 (٧ - ٩) وذكر ما سيكون يوم الدين من نار يعاقب بها وجنة

ينعم بها الذين «كانوا قبل ذلك محسنين» في حياتهم الدنيا «وفي الارض
 آيات للموقنين» وفي انفسكم افلا تبصرون» ثم ذكر امثلة من الامم
 الخالية التي يجري الشر كون على خطتهم بتعنتهم على رسلهم قائلاً:
 «كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا [عن رسولهم
 إنه] ساحر او مجنون» أتوا صوابه؟ بل هم قوم طاغون» فان الطغيان
 مبث هذا الضناد والكفر ان فعليك ان تذكرهم [يا محمد] فان الذكري
 تنفع المؤمنين» (٥٠) وبين بعد ذلك ان العبادة التي يصدون عنها هي غاية
 كمال الانسان لانه لم يخلق لغاية مقصودة لذاتها غير هذه الغاية
 فجميع المساعي في الحياة ذاهبة معها ولا يبقى الا العبادة في حدودها
 من التقوى والاحسان والعمل الصالح في هذه الحياة، وخص بعد ذلك
 الرزق بالذكر لانه محور اول لنشاط الانسان وابرار مواهبه وكوامن
 حيويته وسبب لابتلائه وفتنته فتنة امتحان واختبار تجربة ليجزى بما
 اكتسبت يداه، وهو في الوقت نفسه سبب اول من اسباب غوايته في
 سعيه له او افتتانه واغترار به بما له وختم السورة منذراً للظالمين بأن
 لهم ذنوباً مثل ذنوب اصحابهم «من الامم الخالية» وقول الذين كهروا
 من يومهم الذي يوعدون، ومن بعد الذاريات سورة الطور

﴿٥١﴾ الطور سورة مستهلة بقسم في مكان وحي نزل على موسى
 عليه السلام «والطور» وكتاب الوحي وما اجتمع حوله مقصد

الوحي من العبادة التي المع اليها في ختام السورة الانفة والبيت المعمور ، وما في السماء باروع ما فيها ، والسقف المرفوع ، وما في الارض باعظم ما فيها ، والبحر المسجور ، بهذه الاقسام التي تدل على الروعة والقوة وتفسح الآفاق للسامع آفاق ما اوجزت القسم به حتى تنتهي به لتأكيد ما توعدت به من عقاب يوم القيامة وثواب ينعم به المتقون قائلًا للرسول (ص) بعد هذا « فذكر » بهذا المصير نافيًا ما تقول به المشركون من الاقوال المختلفة مبيّنًا بطلان جميع اقوالهم ومبتدئاتهم وما هم عليه من طغيان وعناد خاتما السورة بدعوة الرسول (ص) الى الصبر والعبادة قيساما بواجبه كرسول في دعوته وكبشر يقوم بعبادته ، واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم * ومن الليل فسبحه ، وادبار النجوم ، ومن بعد الطور سورة النجم

النجم : تلك استهلت بذكر جبل الوحي وهذه ارتقت الى أفق من آفاقه بعد براعة تامة فيما اوجدت لها من حيلة بختام السورة لتكون قسما مروعاً في مستهل هذه السورة ولتحدث عن صدق الرسول برسالاته وما كان من موقف يوم العروج ، وهو من مشاهد الوحي في ادوع صورته ، فاستهلت بقوله تعالى « والنجم اذا هوى * ماضل صاحبكم [محمد] وما غوى * وما ينطق

عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى «ولقد كان ثبت الجنان مالكا لقواه
«افتخارونه على ما يرى، على يقين مما يخبركم به، وكر عليهم مبيناً وجه
العناد بإيمانهم بالباطل بغير بينة ولا دوية بينما الذي يرى حقاً يقيناً
يتعمتون عليه قائلين: «أفرايتم اللات والعزى»، مما تعبدون من دون الله قائلين
بحقهم: «إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس»، بيد أن الإنسان لا حول
له ولا طول لينال مناه بل الأمر لله حتى أن لا شفاعة لديه تعالى «إلا
من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى» (٢٦) ذا كرا في غضون ذلك بصدد
بعض معتقداتهم أنها ظن «وان الظن لا يغني من الحق شيئاً» (٢٧) فعلى
الرسول حيال ذلك أن يدعمهم وما هم عليه فسيحاسب ته إلى خلقه «ليجزى
الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى»، وذكر من الذين
انكروا على الرسول رسالته بذكر رجل قيل هو الوليد بن المغيرة اتبع الرسول
حتى ضمن له أحد المشركين أن يحمل العقاب عنه يوم القيامة فرجع إلى
قومه مبيناً بذلك جهالة المشركين وطرفاً من أحوالهم على الباطل
معتقداتهم فقبل له فيما قيل إلا يعلم «لا تزر وازرة وزر أخرى» وأن
ليس للإنسان إلا ما سعى «وان إلى ربك المنتهى». وذكر تعالى
من شؤون ما اختص به مما يتصل بالإنسان وحياته «بانه هو اضعفك
وابكى» وانه هو اامت واحيى، وما إلى ذلك وانه اهلك عاد الأولى،
ومن على شاكلتها لطغيانها وكفرانها مبيناً ان في ذلك دلالة على

وجوب عبادة الله وحده وان في خلقه للموجودات جميعا وتصرفه بالناس
 وما خلق في الدنيا والاخرة آيات تدل على ذلك فقال «فبأي آلاء ربك تتمارى»
 وختم السورة مبينا بأن في هذا الانذار ما يري الانسان يوم الحساب
 وان مثل هذا لا يتعجب منه فيضحك ولكنه يستدعي ما امر الناس به
 لتكون لهم النجاة «فاسجدوا لله واعبدوا» ومن بعدها سورة القمر.
 القمر مستهلة بإيجاز ما أتت عليه السورة الآتية بعد ذكر
 آية انشقاق القمر والتقويه بقرب الساعة مما يقوله الكافرين حين يروا
 آية كهذه الآية من أن ما يأتي الرسول به «سحر مستقر» اتباعا لأهوائهم مع
 ان الحقائق لا بد ظاهرة «وكل أمر مستقر» (٣) وانهم على ذلك رغم ان
 قد «جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر» * «حكمة بالغة فأتوني النذر» لمن كان على
 شاكلتهم من اتباع الهوى والاعراض عما يرون من الآيات وان مثل
 هؤلاء قد حقت عليهم الكلمة «فقول عنهم» يا محمد فسيرون هول
 ما ينكرون يوم الاخرة في يوم عسر فانهم يجرون على خطه من سبقهم
 مثل قوم نوح الذين قالوا عنه بعد تكذيبه «مجنون واذجر» عن ابلاغ
 الرسالة بحؤولهم دون الدعوة وفيه الى ما في ذلك من آية لمن يعتبر
 قائلا: «ولقد تركناها آية فهل من مدكر» فكيف كان
 عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن [من بعد ذلك] للذكر [للتذكيرة]
 فهل من مدكر؟ ثم اتى على ذكر أمم من بعد نوح بذكر ما أهلك

به وسببه مردداً هذه اللازمة تنويها بالقرآن وما يستدركهم
 به فكان في هذا التكرار ضرب من الايقاع يهز النفس هذا وكذلك
 شأن القرآن فيما يكرره سواء أكان ذلك باللفظ نفسه في السورة
 الواحدة ام بالمعنى كتقصص الامم الماضية في سور مختلفة ياتي بها
 على اشكال من مناسبات تنزل في كل سورة منزلتها وكانت في
 الوحي تنزل بمراعاة الظروف ملائمة لسيرة الدعوة الاسلامية جريا
 مع الحوادث المقتضية حتى استجاب لها من كان يقابلها فكان مثل
 خالد بن الوليد سيفاً من سيوفها يذود عنها فهي حوادث تسير مع
 النفوس المتألمة بخشونة الصحراء وجفاء البداوة وغلظة الاعراب
 وهي آيات تسلس مقادها ترغيباً وترهيباً وزجراً وعظة الى غير
 ذلك مما اقتضته الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي احسن وختم
 ذكر الكفار الماضين في هذه السورة بقوله : «أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ
 أُولَئِكَ» فلا يهاكون مثلهم إن اصرروا على عنادهم كأولئك
 حتى يستوجبوا الهلاك «أَمْ لَهُمْ بَرَاءَةٌ» في كتاب «أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعُ
 مُنْتَصَرٍ» جريا مع مفاخرتهم من يعادون، وزاد على ذلك خاتمة السورة
 من بئس مصير الكافرين بمقتضى «فِي مَقْعَدٍ ضِدِّقٍ عِنْدَ مُلْكٍ
 مُّقْتَدِرٍ» فهي سورة تذكر بالماضين بئس توألى الآيات بتبيان علة
 الكفر ومصيره على اختلاف الاسباب الداعية للهلكة ومن بعد النجم

﴿الرَّحْمَنُ﴾ سورة مستهلة بالتنويه برحمة الله وتعليمه القرآن
 وخلق الانسان وتعليمه البيان تعظيما لشأن القرآن والعلم ومكانتهما
 من الانسان في خلقه وانهما مدار تدبره واعتباره وفوزه بالجنة مما
 آتت عليه السورة الآتفة وآتت بتمصيل له هذه السورة
 بما ذكرت من آيات الله وما يناله المتقون من الجنان
 وما يصطلي في جحيمه المكذبون من النيران ، وفي هذه السورة
 ذكر لآيات الله في خلقه ودقة تكوينه وما أمر به عباده فذكر قائلا
 « الشمس والقمر بحسبان » لها في سيرهما بروج ومنازل تجري على قواعد
 حسابية دقيقة لا خلل فيها كما سخرها الله أمر آميناً ما في هذا الخلق من
 الدلالة عليه وتقديسه بما في السماء والارض بقوله : « والنجم والشجر
 يسجدان » وان في ذلك وفاء حق الالهية وهذا عدل وحق قامت عليه
 السماء وبه تستقيم حياة الانسان على الارض فيما أمر به فرفع السماء
 « ووضع الميزان » لكل شيء « ألا تطغوا في الميزان » [يا بني الانسان] وأقيموا
 الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ، فان في ذلك صلاحكم ولا مطلوب غيره
 إذ انه تعالى كما انعم بآياد ما آتت عليه الآيات الآتفة فكذلك أنعم بأن
 خص الانام بهذه الارض فانبت فيها نباتها وارض وضمها للانام * فيها
 فاكهة والنخل ذات الاكام * والحب ذو العصف والريحان * مما فيه نعمة على

الانسان ودلالة على رحمة الرحمن وخلقهم مما يجب على العاقل تدبيره وهذا
 القرآن بيانه ينبه الانسان اليه ليصله بخالقه ويريه مكانته في الحياة
 وأن فيما دعي اليه انتظام امره كاتظام هذه الكائنات بدقة نظمها التي
 تسير عليها: «فبأي آلاء يكذبون» بعد هذه الايات واتخذ من هذه
 الاية لازمة مكررة في هذه السورة بعد ذكر ما أتى عليه على النسق
 الآنف ذا كرا آياته في الدنيا والاخرة واقامه العدل في مشوبة وعقوبة،
 وختم السورة بما يناسب مستهلها وما جرى عليه منها قائلًا بعد ذكر نعيم
 الجنة والتنويه بآلاء الله فيها «تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام»
 فهي سورة رحمة بعد القمر التي سبقت منذرة ومن بعدها سورة الواقعة
 الواقعة تتناول ذكر الاخرة باسمها وموضوعها وهي تجمع بين اسلوبي
 السورتين الانفتحتين وقد استهلت بذكر القيامة وان الناس سيكونون
 على ثلاثة طبقات: اصحاب يمينة ومثأمة وسابقين مقرين فذكرهم بهذا
 التقسيم وما سيلقون به من منطقي بعد سياق السورتين الانفتحتين الخطابي
 وفصل القول في هذه الطبقات تفصيلا يحرك المشاعر رغبة ورهبة خاتماً
 السورة بقوله الرسول «ان هذا لموحى اليقين فسمي باسم ربك العظيم»
 ومن بعدها سورة الحديد .

 الحديد سورة مستهلة بما ختمت به السورة الانفة بأنه «سبح
 لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم» تبياناً للانسان بأن

مادعي اليه في ذلك يجري على نظام هذه الفطرة بكائناتها السماوية
 والارضية وان له تعالى في ذلك العزة فلن يضره الكفر به وان
 الله يدعو الانسان فيما يدعوه اليه ويحاسبه عليه جرياً مع حكمته سبحانه
 ولهذا كان القلازم بين وصفي العزيز الحكيم في مواطن كثيرة جمعاً
 بين الحكمة والعزة الالهيتين ، وانسافت هذه السورة بعد السورة لآفة
 باتباع طريقة غير طريقتها الخطائية وذكر الجنة والجحيم بما يناسب
 معنى التسميح الذي استعملت به مبينة دواعيه بقدره الله مالك السموات
 والارض وانه «هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء
 عليم» وانه «خلق السموات والارض» وعلم الخفايا واحاط بالزمان والمكان
 وما يتصل بذلك مما علاء القلب خشوعاً وإيماناً ويدعو الى التسميح
 ذاكراً ثواب الايمان ، وانتقل منه الى ما يلزمه من اخص خصائصه
 وبرز مظاهره من اتفاق في سبيل الله قائلاً «وما لكم لا تؤمنون بالله ؟
 والرسول يدعوكم لتؤمنوا برسكم» هذا الرب الذي مررت بذكره
 الايات تنويعاً به بما يوجب الايمان به والتسميح له مبينة ان الرسول في
 هذه الدعوة صاعد بالمر ربه الذي انزل عليه القرآن «آيات بينات
 ليخرجكم من الظلمات الى النور» ثم ساء لكم عن عدم الانفاق في
 سبيله منتها من ذلك بعد ذكر الثواب عليه الى ما كان من المنافقين الذين
 كانوا يحولون دون الايمان بالله والاتفاق في سبيله مبيناً ما سيصيرون اليه

ثم تألف المؤمنين بما وجب عليهم من ذلك وقد فتر منهم من فتر بعد
الهجرة اذ اصابه الرزق والنعمة في المدينة وكانوا في مكة مجدين فقال
لهم « ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق
ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقصت
قلوبهم » (١٦) واتبع ذلك بان من بعد موت الارض حياتها وفي ضمن
ذلك حياة الناس بعد موتهم وحسابهم على نمط ما أخبرهم ، فما يلهمهم
من الدنيا « لعب ولهو وزينة » وما الى ذلك من متاع الغرور الذي
لا يليق بالعاقل ان يغتر به بالسابق الى ما هو ابقى مما يستوجب مغفرة
الله ورضوانه مبينا في ذلك فضل الله على المؤمنين وان ما اصابهم قد
جرى بهلم الله فعين الله ترعاهم « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » فيكون المؤمن اطمأنتته ثابت
النفس في يسر الدهر وعسر مبينا ان هذا الحزن في المصيبة والاختيال
بالنعمة طبيعة من يبخل ويامر بالبخل ممن حصر نفسه في متاع الدنيا
ولم يعلم ما وراء ذلك من قدر الله وحسابه بشوابه وعقابه ، واتبع ذلك
بان في الرسالة ما يبين للناس ما فيه الهداية بالكتاب وإقامة العدل
بالميزان وان مما اعدده في خلقه « الحديد » فيه بأس شديد ومنافع للناس
« وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب » تبياناً للجهاد بمكانته من الدعوة
تحذيراً للكافرين والمنافقين ممن أتى على ذكرهم في هذه السورة وقد

سميت هذه السورة «الحديد» لذكر الحديد فيها وكذلك تسمى معظم السور
 لايات بل كلمات تمر بها وتكون اصلا من اصول معانيها، وقد
 بين بعد ذلك نخط الرسالة الإلهية ذاكراً بعض من ارسلهم وما كان
 من اهتداء قوم وفسوق آخرين خاتماً السورة بخطاب المؤمنين الكتابيين ان
 «اتقوا الله وآمنوا برسوله [محمد] يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً
 تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم» [ثلاثاً يعلم اهل الكتاب اي يعلم
 علماء الاشبهة فيه هؤلاء الذين لم يؤمنوا بالقرآن وصدوا عنه] ان
 لا يتقدرون على شيء من فضل الله [فيحسبوه عمن ينعم الله به عليهم
 ولا سيما من فضائل الهداية . . .] وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
 والله ذو الفضل العظيم « فهذه السورة في مقصدها الاول خطاب
 للمؤمنين وتعليم لهم بتبيان مايجب عليهم وتحذيرهم بالتعريض بغيرهم
 ومن بعد الحديد سورة المجادلة

المجادلة وهي من حياة المؤمنين وما عرض لهم صورة
 تتناول شؤونهم الخاصة وما لا يسها فهي مستهلة بذكر امرأة وهي دخولة
 بنت ثعلبة « جاءت الرسول مجادلة له فيما ظاه عليها زوجها مع
 بيان حكم ذلك وانه حكم من حدود الله الذي يعلم ما في السموات
 والارض وانتقل بذلك من هذا الحدث بين الزوجين وحديثهما الى
 النجوى بصورة عامة وما يكون منها بين الناس وانتهى الى التعريض

بالمنافقين الذين هـوا عن النجوى ثم يعودون لما هـوا عنه ويتناجون
 بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ، وانتقل من النجوى الى ما يلازمها
 وهي المجلس فبعد ان خاطب المؤمنين في النجوى قائلاً لهم بان «تناجوا
 بالبر والتقوى» خاطبهم ثانية بـ «يا ايها الذين آمنوا» كانه بحث
 جديد يستفتح القول فيه تنبيهاً لخطورته وان الايمان اصل يمتنى عليه حكمه
 فيما يأمرهم به معلماً لهم ما يجب عليهم من آداب المجلس بهذا النداء ولا
 سيما مجلس الرسول بعد ان استهل السورة بما كان من مجادلة وحذرهم
 من المنافقين فيما يتبعونه في مجالسهم وما يتحلفون به المسلمين سترأى
 يعلم الله من مكائدهم مختماً السورة بما انطوت عليه من تبيان حدود الله
 فيما ذكره من ظهار ومنساجاة بالاثم واتفاق مع الكافرين نفاقاً من
 المنافقين بقوله «إن الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين
 كتب الله لاغلبن أناورسلي إن الله قوي عزيز» مبيناً في ذلك
 أن العاقبة لا تكون لهم والنصرة للمؤمنين وحدهم ذاكر المؤمنين في
 رابطتهم التي تحل محل انسابهم بقوله «لا تجدقوماً يؤمنون بالله واليوم
 الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناهم أو
 إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه
 ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم
 ورضوا عنه أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون» ومن

بسمها سورة الحشر

﴿الم﴾ مستهلة كالسابقة بتسبيح الله وأنه هو الذي اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم وهم اليهود اذ نكثوا العهد مع الرسول في المدينة في وقعة الاحزاب يوم الخندق بعد أن تحالفوا معه يوم (بدر) ونصره وتألبوا عليه اثر (أحد) وما اصاب المسلمين فيه ، فكان مطلع السورة كالآتفة فيما يستوجب تسبيح الله في خلقه وفيما هيأه من ارضه مما ذكره في السورتين وجعل ارتباط المعنى في خاتمة السورة الآتفة متممًا لما اورده بعد التسبيح في هذه السورة ذا كراً بعد جلاء اليهوداني بمحكمه وهذا ما فيه توكيد واتمام للمعاني التي مرت بالسورة الآتفة من قوله تعالى «كتب الله لاغلبن انا ورسلي» ونوه بعد ذلك بالذين كتب لهم الغلبة من المهاجرين والانصار وما كان من اخلاقهم ثم اتى على ذكر المنافقين الذين تحالفوا مع الكافرين وانهم لم ينفوا عنهم ولم ينفوا بما اتفقوا عليه حتى اذا اتتهى من هذا العرض بما يناسبه توجه بالخطاب الى المؤمنين بما ينفي عنهم اخلاق الكفر والنفاق الذي ذكره قائلاً: «يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد» فتحاسب نفسها قبل وقوفها بين يدي ربها [واتقوا الله ان الله خير بما تعملون] ولا تكونوا كالذين نسوا الله فنفوتكم الجنة وكان رأس الاثر في هذا التناسي للمعرفة الاولى والواجب الاول أن يخطي الانسان

الْقَهْمُ وَالْوَاجِبُ مِنْ دُونِهَا فَيُخْطِئُ نَفْسَهُ بِقُدْرَتِهَا رَحْمَتُهَا وَمُلْهُوًا مَعْلِيهَا
فَتُسَوِّدُ حَيَاتِهِ فِي حَاضِرِهَا وَعَقْبَاهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَيُخْسِرُ الْجَنَّةَ
وَيُخْلِدُهَا، وَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْقُرْآنَ مُوجِبًا لَخَشْيَةِ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
خَشْيَةً عِلْمٍ وَعَمَلٍ، مَعْرِفَةً وَخُلُقٍ، خَشْيَةً تَسْبِيحٍ وَإِيمَانٍ، وَذِكْرٍ مِنْ أَسْمَائِهِ
الْحُسْنَى مَا ذَكَرَ مِنْ عِلْمٍ أَذْ مَلِكٍ، وَمَلِكٍ أَذْ خُلُقٍ إِلَى مَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ،
مُخْتَصِمًا السُّورَةَ بِهِ وَأَنَّهُ دِيسْبِيحٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ، فَكَانَ كَالْمَطْلَعِ تَوَكِيدًا لِمَعْنَاهُ وَاتِّمَامًا لِحَلْقَةِ الْقَوْلِ مِمَّا تَتَضَحُّ فِيهِ
وَحُدَّةَ الْمَوْضُوعِ فِي ارْتِبَاطِ مَطْلَعِ بِنَاقَةِ. وَمِنْ بَعْدِ الْحَشْرِ سُورَةُ
الْمُتَحَنِّنِ.

الْمُتَحَنِّنُ: سُورَةٌ مُسْتَهْلَةٌ بِمَا أَتَتْ عَلَيْهِ السُّورَتَانِ
الْأَتَقَتَانِ أَيْضَاحًا لِمَعْنَاهُ وَتَوَكِيدًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ، وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا
جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ، فَأَخْرِجُوا الرِّسُولَ وَصَحْبَهُ مِنْ بِلَدِهِمْ بِكَرَاهِيهِمْ عَلَى
الْهَجْرَةِ وَمَنْعِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ، مَبِينًا عِلَّةَ النِّهْيِ بِهِمْ: «أَنْ يَشْفَقُواكُمْ» [يُظْفَرُوا بِكُمْ]
يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُو إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَالسُّتْمَةُ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ،
وَأَنَّ هَذِهِ الْمُودَةُ إِنْ كَانَتْ لَصَلَّةَ الْقُرْبَى بَيْنَكُمْ فَانْهَالَنْ تَنْفَعَكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَأَنَّ لَكُمْ فِي ذَلِكَ أَسْوَأَ حَسَنَةٍ فِي إِبْرَاهِيمَ فَانْهَادَى قَوْمَهُ وَابَاهُ
أَزْرَ بَعْدَ أَنْ وَعَدَهُ بِالْإِسْتِغْفَارِ لَهُ؛ وَاتَّبَعَ ذَلِكَ بِمَا يَتَوَجَّبُ فِي حَالِ قَطْعِ

المودة من الالتجاء إلى الله بالاتكال عليه والدعاء له بقولهم: «ربنا لا تجعلنا
 فتنه للذين كفروا» [تسليطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله] وأغفر لنا
 ربنا إليك انت العزيز الحكيم «مستدركا ان هذه المودة نهى عنها
 بسببها من مكرهم بكم امام الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من
 دياركم، فهو لاء لا ينهاكم الله عنهم، ثم اتبع ذلك بخطاب المؤمنين بأخذ
 الحيطه فيمن يرد عليهم من النساء خاصة مدعياً بالايمان مبيناً الحكم
 - (فيمن تدع زوجها مؤمنة) - بأداء من المهر خاتماً السوره بما سيقته له من
 مودة الكافرين وتوليةهم بقوله «يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا قوماً غضب
 الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور» فهي
 سورة امتحان للقلوب المؤمنة ولا سيما النساء ومن بعد الممتحنة سورة الصف
 ﴿الصف مستهلة بان «سبح الله ما في السموات وما في الارض»
 تنبيه الانسان بأن إطاعته لربه وعبادته له وتسميته مجري على نظام الفطرة
 ويتنظم مع الكائنات، ومن مقتضى ذلك ان لا يقول المؤمنون ما لا يفعلون
 (فيكون مع ايمانهم إطاعة الله ورسوله والزيادة في صف مرسوص عن
 دينه والجهاد في سبيله، حتي إذا كرر هذا قارنه بصورة خفية بما يجري
 على عكسه تحذيراً للمؤمنين بذكر موسى وعيسى ودعوتهماني قومها
 ومقاتلتها بالايذاء على علم والاقتراء بقولهم بان ما جاء به عيسى من الآيات
 البينات هـ و، السحر هذا ينساجا عيسى بالحق مبشراً برسالة محمد (ص)

فان ارادوا إطفاء نور الله بذلك فان الله «متم نوره ولو كره الكافرون»
وعلى ذلك فانه «هو الذي ارسل رسوله [محمدا] بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» واذ كان هذا يستوجب جهاداً
في سبيل الله وبذلاً فقد نص على ذلك بلغة محيضة وذكر التوبة وختم
السورة بان يكونوا من الدعوة كحوازي عيسى لئلا يكون لهم النصرة،
وهكذا فان موضوع السورة في مطلعها وخاتمها تحريض لوفاء الايمان
حقه من العمل والبذل جرياً مع قاعدة من خلا من المؤمنين خلافاً لما
كان من الكافرين ، ومن بعد الصف سورة الجمعة

الجمعة سورة تبين بعد التسميح لله بان الله ارسل محمداً في قومه
ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم «من خلفهم وأعقابهم
تعمهم الدعوة فضلاً من الله، محذراً من التكذيب بالرسالة بما ضرب
من مثل «الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، بالصدود عنها وعدم القيام
بحقها والاستفادة منها ومن احكامها وحكمها واستطرد لخطاب اليهود
- (تحذيراً من مثل نهجهم) - ولتبيان ضلالهم بان دعاهم الى ما يفضح
دخيلتهم من حب الحياة والانغماس بها قائلاً لهم «فتمنوا الموت ان
كنتم صادقين» ، وترعمون انكم اولياؤ الله واحباؤه من دون الناس ،
زعماء فيه الادعاء والاغترار والاثرة ، وتحذاهم بفضيحة طويتهم قائلاً:

« ولا يتمنونه أبداً عما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » وأنهم
سيحاسبون بما كانوا يعملون ، ولما كانوا باخص خصائصهم أحياء
دنيا فقد تمت المناسبة (كما حذر من السير على نهجهم عامة) - بأن خصص
ما تميزوا به فوجه النداء للمؤمنين بأن يلبوا دعوة الله منصرفين عن الدنيا
وتجارتها عند صلاة الجمعة التي فيها دعوة عامة لسماع كلمة الله في الخطبة
« فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله
واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » منتقداً انصراف الذين سمعوا
نداء التجار في غير تحمل الطعام فخرجوا من المسجد والرسول على
منبره قائلاً لهم « قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير
الرازقين » فهي سورة تخطب العرب بالاستجابة للدعوة خلافاً لما كان
من اليهود الذين انصرفوا عنها فاضاعوا الدين بالدنيا وكانوا ظالمين
وقد خصص فيها القول في حكم من احكامها تحذيراً مما وقع بالانصراف
عند الجمعة الى شؤون التجارة انصرفا الى الدنيا باضاعة شؤون الدين
جهلاً بمقتضى آيات الله وحكم كتابه وحكمة تعامله وآدابه مما نوهت
به الآية الثانية في مطلع السورة هو من بعد سورة الجمعة المنافقون

المنافقون جاءت هذه السورة فتحدث عنهم بعد ان كان
ذكر الاميين في سورة الجمعة ذكراً خاصاً منهم المؤمنين بالتذكرة

ثم جاء تمام المناسبة للحدث عن طبقة من العرب الاميين اتسم بالايان
في الظاهر وتبطن خلافه وهي طبقة المنافقين، فهذه السورة ذكرتهم
بما كانوا عليه وما كان منهم اذ ارادوا اخراج الرسول وصحبه من
المهاجرين من المدينة جاهلين بأن الله يشهد لرسوله بصدق رسالته
بما يعني عن مخادعتهم بشهادة لا فائدة منها ولا تحشرهم مع اهلها، هذا
الى استغناء عنهم واستهانة بهم مما استوجب التعرز فقال سبحانه «ولله العزة
ولرسوله وله ائمنين» حتى اذا عرض بهم توجه بالخطاب الى المؤمنين
بما فيه بعد النفاق عنهم باخلاقه قائلا: «يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله» وانفقوا مآرز قناكم، اغتناما للحياة
وفسحتا قبل الموت اذ لا رجعة من بعده «فيقول [المراء] رب لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين» وان يؤخر الله نفساً
اذا جاء اجلها والله خير بما يعملون» ومن بعد المنافقين سورة التغابن .

التغابن : سورة متممة لما انتهت اليه السورة الانفة من
ذكر الموت والعمل الصالح بان استهلّت بتسبيح الله والحمد له والتنويه
بقدرته وانه خلق الناس فمنهم كافر ومنهم مؤمن مع انه «خلق السموات
والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير» وهو عليم بذات
الصدور «مبيناً سبب ذلك في سيرة من مضى من اهل الكفر بان قالوا ابشر
يهود نسا» منكربن البعث «قل بلى وربي لتبشرن ثم لتنبؤن بما علمتم

وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * فَأَمَّا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْبُورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ، فَإِنَّ يَوْمَ الْبَعْثِ يَوْمٌ تَغَابُنُ فِيهِ السَّابِقُونَ مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ يَفُوزُهُمْ بِالْجَنَّةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبئس المصيرُ ، وهذه
 مصيبة كبرى استطرد معها إلى ذكر المصائب عامة وما يكون
 من شأنها مع الإيمان بالله من طمأنينة للقلب فيها هداية الله بقوله وما
 أصاب من مصيبة إلا باذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه ، والله بكل
 شيء عليم ، (١٠) ثم نوه بما يقوم عليه الإيمان من اطاعة الله ورسوله
 وإن يتكل المؤمنون عن الله وبذلك مهد إلى خطاب المؤمنين خطابا
 كافيا فيه استدراك لقول جديد ، وما هو إلا للتنويه به مع تمام صلته بما
 قبله بتخصيص بعد تعميم فإنه بعد ذكره المصائب والإيمان بتبيينه
 حدود الصلة بينهما في الآية الآتية ذكر للمؤمنين ما يفتنهم وما يصيبهم
 من أزواجهم وأولادهم وأموالهم قائلا بعد ذلك فاتقوا الله ما استطعتم
 واسمعوا وأطيعوا وانفقوا خيرا لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأُولَئِكَ
 هم الفلاحون ، وختم السورة بما يناسب ختام هذه الآية بالدعوة إلى
 الاتفاق في سبيل الله الذي يحجز الإنسان بما يقدمه وهو «عالم الغيب
 والشهادة العزيز الحكيم» ، وهذه السورة تسلسلت بآياتها ومعانيها
 مبتدأة بأعم القول من تسميح لله وذكر للإنسان بإيمانه وكفرانه

وامتداد الى بعثه وتشوره الى ما يلائم حياته الى اخص ما يجب ان ينبه
اليه مما سيحاسب عليه حسابا لا يخفى معه على الله فيه خافية وهكذا دار بين
التخصيص والتعميم ورجع من الاول الى الثاني واعاد الكرة بما تلاحم به
اجزاء السورة وترتبط به آياتها ويتجدد في موضوع اساسي بمقصد متطوّر
حول الآيات على اختلاف آرائها في المعاني والاحكام بل وكذلك
تتعاقب السور فيتمم بعضها بعضا فهذه السورة تمثل دعوة الانسان
الى الهداية ونظرة الاسلام الى الحياة وتبين له طريقه وما يعترضه
بما يعزّر الايمان ويريه ثمرته في حياته وطوائف نعيمها وآخراته وجنتها، وفيها
من هذه المعاني صورة من فلسفة الاسلام كاملة، ومثل هذه الاغراض
الشاملة في سورة او بعض السورة تمر في القرآن في زمرة من السور
بعد زمرة، كأنها اشبه باللازمة بين السور تردد معانيها ثابتة في استقرارها
ترجع اليه بعد ايجاز وتفصيل من الاغراض والاحكام لتهدى المشاعر
وتدل على الطريق المستقيم وتوضح معالم النظرات الشاملة. ومن بعد
التغابن سورة الطلاق.

الطلاق: سورة مخصصة القول في بعض ما أتت عليه السورة
الاتفة من ذكر والمصائب والافتقار بالازواج والاولاد مستهالة
بخطاب المؤمنين بتمييز حكم الطلاق وما يلزمه من نفقة حتى الآية
السابعة مبينة ان ذلك من حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم

نفسه، ونظراً لصبغة الزواج الاجتماعية التي أريدت من معنى حدود الله [إانه ما انتهى من هذا الحكم الخاص إلا انتقل الى مافيه التحذير من فساد المجتمع عامة بصورة مجملّة قائلًا «وكان من قرية عت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً» داعياً الى تقوى الله واتباع ما يأتي به الرسول مما يملوه من «آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور، فضلاً عن ثوابهم في آخرتهم، وختم السورة بان هذا من امر الله باحكامه، وانه هو الخالق القدير الذي اوجب الشريعة باحكامها وجعل الثواب والعقاب من بعدها وقد احاط بكل شيء علماً، بتربيته له على ما هو عليه وما هو صائر اليه ومن ذلك ما يتصل بالانسان الذي اقتضى أن ينزل عليه الوحي وتقام له حدود فيثاب ان احسن وبعاقب ان اساء، فهي سورة تمثل من نظرة الشريعة ما يتصل بالاسرة والمجتمع وحياة المسلم بينهما حياة يعرف فيها الحدود والهداية صلاحاً لنفسه في اسرته ومجتمعه الى احكام تدور بين ذلك حسب هذه الغاية. ومن بعدها سورة التحريم.

 التحريم: وهي اخص من الاولى تتناول النبي الاعظم في شأن أسرته وما جرى له محاولا فيه مرضاة أزواجه مبيناً له ولازواجه ما ترتب على كل منهما ليكون في ذلك تمام إيمانها منتهياً من هذا التخصيص إلى تعميم القول بتوجيه الخطاب إلى المؤمنين ان وقوا انفسكم واهليكم

ناراً تنوهاً بأن من وراء هذه الحدود رضا الله ورضاه وعباده
وانتقل من ذلك داعياً إلى الإيمان والتوبة وجهاد الكافرين والمنافقين
بغلظة إذ بلغ الرفق مداه «وما أوهم جهنم وبئس المصير» فجمع بين الاسرة
والمجتمع وما يصلح شأنهما من الإيمان والحدود والمبادي وختم السورة
بما يناسب ما ذكره في مطلعها من شؤون الاسرة وما انتهى إليه من
جهاد أهل الكفر والنفاق بتخصيص حالة قد تكون فيها عقدة اجتماعية
فضرب بها مثلاً لزوجة كافرة تكون تحت عبد مؤمن إذ ذكر إصراراً
نوح ولو طوع عليها السلام فلم يغن زواجهما عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع
الداخلين» وقابل ذلك بما يوضح الصورة فذكره زوجة مؤمنة
تكون تحت كافر كامرأة فرعون «إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً
في الجنة» [بديل بيتي الذي عاش فيه كافر أو كفرة] ونجني من فرعون وعمله
ونجني من القوم الظالمين وأمتد به القول إلى المرأة المؤمنة الكاملة بإيمانها بما
يشبه الاستطراد تنوياً بالذكور مثلاً للمؤمنين لتكون بذلك عبرة
فذكر مريم بإيمانها وعفتها وعبادتها وبذلك ختم السورة فهي سيرة الإيمان
في أسرته وصلته بالمجتمع وحدوده من الترية وفيها بين ذلك أحكام
تناسب وما سبقت له توطئة أو تقصياً بين تخصيص في القول تارة
وتعميم من بعده أخرى لتكون العبرة أتم في الأنفس المؤمنة ومن
بعد التحريم سورة الملك

 الملك سورة ترجع بالبحث كرة جديدة الى أصول الايمان العامة مع
 اتصالها بما قبلها بما نسبتها المتسلسلة فهي بتقدي بذكر الله والثناء عليه تبين قدرته
 وما يدل عليه خلقه بدقة نظامه وتوضح غاية الحياة الانسانية ومصيرها
 وتسلسل في هذا السياق معانيها ، فهي صورة من فلسفة الدين
 الاسلامي ونظراته العامة وتربيته العملية ومعتقداته الدينية وفهمها
 للحياة الدنيا والاخرة ، هذا الى مجادلتها الكافرين وتحذيرها لهم بما
 تنذرهم به مبينة لهم مكانتهم من بين الكائنات في هذه الحياة ، وصاتهم
 وإيها ان يخالقهم جميعاً ، وتوضح معنى عنادهم له والصدود عما دعاهم
 اليه من الايمان به وعبادته وتبيح ذلك بلغة تتحدث عن الطبيعة والانسان
 والخالق حديثاً يطلق المجال للنظر واحساسه هذا مع مراعاة
 الانسجام ومناسبة القول بين المعاني المتسلسلة في الايات المتتابعة وكما أنها
 بعد ذكر التفاصيل التي وردت في السور التي قبلها كلمة فصل بتقدي
 منها سلسلة تتابع من بعدها السور لتجدد ابضاح ماورد فيها
 فتتم به بين مجمل القول ومفصله حلقة تدور فيها معاني الاغراض القرآنية
 ودعوتها الهادية مع تفصيل الاحكام بين ذلك بما يلائم المناسبة ويوافق
 سبب النزول ، وفي سور القرآن حلقات حلقات يعم في بعضها القول
 ثم يتفرع عنه ما يتفرع حتى لتتشابه سورة بسورة في أسلوبها ومعانيها
 في راس كل حلقة لتقارب الموضوع ، وهي لو ضمت بنظرة لسكانت

أشبه بمسالم القرآن في هدايته ودعوته الى معتقدياته على النحو الذي
استقل به في القول هذا التنزيل المحكم، وان سورة الملك بموضوعها الصق
بما اتسمت به «الملك» لله، تكشف للانسان عن مكانته في الحياة وغايتها منها
وصلته مع جملة الكائنات بخالقه لترده اليه يبتغي احسن العمل وخير
العواقب فيكون بمكانته من نظام الطبيعة حتى «ما ترى في خلق الرحمن من
تفاوت» تعرض له صوراً من الدنيا واخرى من الآخرة لينزل نفسه بمكانتها
ويعرف للخالق واجبه وهو الذي انعم واحيي وله المشيئة والمقاب.. «تبارك
الذي بيده الملك» وبعد الملك سورة القلم ومن ملك حكم ففضى بالقلم وقبرم
القلم سورة : تصل خاتمة السورة السابقة باللاحقة اذ قال

الرسول في تلك كما امره ربه «قل أرأيتم ان اهلكني الله ومن معي أو
رحمنا فن ينجي الكافرين من عذاب اليم» باحثاً بلغة الجدل عن صلاته
بربه مع صحبه ومصير الكافرين الذين يصدون عن دعوة فجاءت هذه
السورة تتم القول في مكانة الرسول وما رماء المشركون به من قول
وما عليه ان يساك حياهم باجتنب ما يرضيهم من مساوئهم لانه على
«خلق عظيم» لا يليق به ان يطيع المكذبين المداهين «وكل خلاف
مبين» * هاز مشاء بنعيم * مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زانيم *
أن كان ذامال وبنين * اذا تلى عليه آياتنا قال أماطير الاولين : (٩-١٤)
واقاض في امساكهم وشحهم بأنهم كجماعة ارادوا قطب ثمارهم خلسة

دون ان يستثنوا حق الفقير ، فاصابها الله بمجائحة لم تبق لهم شيئاً فاعرف
 اوسطهم واقربهم الى الخيرات ان كان هذا جزاء ضلالهم وظلمهم
 وطفيانهم ثم قال تعالى : « كذلك العذاب والعذاب الاخرة اكبر لو
 كانوا يعلمون » وانتقل الى الصورة التي تقابل ذلك بذكر المتقين
 ومصيرهم من النعيم قائلاً : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » اتحسبون
 هذا من العدل ؟ وجادلهم بذلك منتبهين الى تبيان ضلالهم في شر كهم
 وعدم الايمان بربهم وما ينالهم في الاخرة من ذلة لتجافيتهم عن العبودية
 لله والتقرب منه في الحياة الدنيا منذراً متوعداً الكافرين داعياً الرسول
 الى الصبر ، مبيناً ما يلقاه في سبيل تبليغ الرسالة من القرآن « وما هو الا
 ذكر للعالمين » فهي سورة تذكرة تبين واجب الرسول ومكانه من
 الدعوة وصدود المشركين واخلاق كل من الفريقين ومن بعد القلم
 سورة الحاقة

الحاقة : وهي يوم القيامة الذي يحق وقوعه وتعرف
 فيه حقائق الامور مستهالة بذكرة هلاك الدنيا وبعض الامم الماضية
 ممن اهلكهم الله وانتقل الى مشهد الاخرة ومصيرها وما يلقى المتقون
 والكافرون اذ يقال للرجل منهم عند العذاب « انه كان لا يؤمن بالله
 العظيم » ولا يحض على طعام المسكين * فليس له اليوم [جزاء ذلك] ها هنا
 حميم * ولا طعام الا من غسيلين * لا يأكله الا الخاطئون ، ثم بين ان

القرآن وحي من الله لم يكذب فيه رسوله قائلاً «وإنه لتذكرة
 للمتقين، ونحن نعلم أن منكم مكذبين» رغم ذلك فيكون عليهم تكذيبهم
 هذا حسرة يوم القيامة «وإنه لحق اليقين» ما يندرون به وما جئتهم به
 يا محمد (ص) فسيح باسم ربك العظيم، وهذا اختتمت السورة فهي
 سورة العمل والايمان بين مشهدين فيمن مضى وما يصير الناس اليه
 في الآخرة دعوة للحق وإحقاقاً له بما يوضح صلة العبد بربه صلة تسمو
 به الى التنزيه والاخذ بهدى القرآن من وحيه ومن بعدها سورة الماعراج
 ﴿الماعراج﴾ مستهلة بما انتهت اليه السورة الآتية من الحق
 اليقين بمذاب الكافرين الى ما ذكرته من مشهد القيامة وما فيه فكان
 الحديث في هذه السورة من بعده عن الانسان بخاتمة الفطري وما
 يجب عليه وما ترمي اليه انتمية الدينية قائلاً: «ان الانسان خالق هلوماً
 * اذا مسه الشر جزوعاً * واذا مسه الخير منوعاً » (١٩-٢١) ثم استثنى
 المؤمنين الذين يؤدون حق الله والعباد بصلاتهم وزكاتهم الى ما يتصل
 بذلك من كمالاتهم وادائهم آماناتهم، ثم توجه بالخطاب الى قوم الرسول
 قائلاً لهم: «فما للذين كفروا قبلك مهطعين * عن اليمين وعن الشمال
 عزين * من دفعين في اهواء متفرقة، فذكرهم محذرا من هلاك في
 الدنيا وعذاب في الآخرة فهي سورة تحريض للانسان ان يرقى الى ربه
 في مراتب العبادة فيكون الانسان الكامل الذي يظفر بخير الدنيا والآخرة

فلا تمسه الهلكة وله من الاخلاق ارفعها بديل الاخلاق المنحلة ومن
بعد المعارج سورة نوح ،

﴿نوح﴾: سورة عرضت لما كان من قوم نوح عليه السلام وما دام اليه
وما اهلكهم الله بسببه اذا صروا على كفرهم واستكبروا استكباراً وقد
ذكرهم بالخالق وما يدل عليه من خلقه ، فلم يبق بهم امل حتي دعا
عليهم نوح من يا سة قائلاً لربه : وَاِنَّكَ اَنْ تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا
الْاَفْجَارَ كَفَّارًا ، مختمتا السورة بذلك وما دعا اليه مغفرة للمؤمنين
والمؤمنات وما اراده للظالمين من تبارفهي النموذج للانسان الذي
دعي للايمان في السورة الانفة ليعتبر بمن مضى ، فيها حديث عن قوم
نوح حديثاً عن تاريخ ايمان في امة لتكون العبرة موثقة بحجتها التاريخية
ومن بعد نوح سورة الجن

﴿الجن﴾: فيها عرض لايمان طبقة منهم سمعوا للقرآن فوجدوه
﴿قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ ، من وحدانية الله والاخلاق الفاضلة فآمنوا
به وذكروا من ايمان الانس والجن ما ذكره متخللاً ذلك ما يناسب
سياق كل آية من حال كل من صد او آمن وانتقل بعد ذلك
الى موقف من يعرض عن الدعوة وعقابه اتياً على بعض ما جاءت به
الشريعة من عبادة الله الذي يرجع الامر اليه كأن تكون المساجد
خالصة لعبادته مشيراً الى ما لقيه الرسول الاعظم مميماً موقفه من الابلاغ

لهذه الرسالة التي رفع من شأنها تعالى بقوله «لا يطلع على غيبه احدا»
 الامن ارتضى من رسول، ومبيناً مدى اهميتها والمراقبة عليها
 حتى «يسلكه من بين يديه ومن خلفه رصداً» ليعلم ان قد ابغوا
 رسالات ربهم، واستدرك لما توهمه هذه الرقبة مبيناً انهم مع ما اتصف به تعالى
 من احاطة وعلم، اقامة للحجة على عباده وتحريره أيضاً لرسوله ليزدادوا من العناية
 وهو بعد بكل شيء محيط «احاط بما لديهم واحصى كل شيء عدداً»
 فهي سورة تذكر طبقة من المؤمنين مقابل ما ذكرته السورة
 الآتية تماماً لمعاني ما قبلها، وتعلي من قدر الرسالة وآدابها لتعرض
 الرسول وقومه عليها ومن بعد الجن سورة المزمل

﴿المزمل﴾ سورة اتت على ذكر ما ختمت به السورة الآتية
 مما اطلع الله عليه رسوله من غيبه بوحيه بذكر شيء من قصته وما وحي
 به الى الرسول في اولى مواقفه فغدا «المزمل» يقول لاهله: ازملوني
 زملوني، هذا الى مادعنا اليه من تدبير القرآن وترتيله وعبادة الله
 والاتكال عليه والصبر على ما يقول الكافرون * واتبع ذلك بسان
 يهجرهم عند الصدود «هجراً جميلاً» فعنده تعالى عقابهم بعد المحاسبة
 شأن فرعون فيما لقيه قائلاً ان هذه تذكرة * فمن شاء اتخذ الى ربه
 سبيلاً قبل ان يصير الى هذا الموقف الضنك فختما السورة بما اتخذ الرسول
 سبيلاً مبثوثاً عليه مع طائفة من صحبه في وفاء العبادة وایمانهم الى اقامة

قَرَأْنَهُ قَائِلًا ، وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تُجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ
وَأَعْظَمُ أَجْرًا ، وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ أَنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، فَهِيَ سُورَةُ الْمُؤْمِنِ
الْأُولَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ مَوَاقِفِ رِسَالَتِهِ وَحَظَّهُ مِنَ الْمَجَاهِدَةِ
وَصَحْبِهِ فِي عِبَادَةِ فِيهَا الْخَيْرِ وَالْأَجْرِ وَالْعِظَةِ وَالْعِبَرِ تَقُمُ بِمَعَانِيهَا وَمَوْضُوعِهَا
مَامَرَتْ بِهِ السُّورَةُ الثَّلَاثَةُ الْآتِيَّةُ فِي التَّسْجِيمِ وَتَسْلُسُلِ الْفَرْصِ وَمِنْ
بَعْدِ الْمَزْمَلِ سُورَةُ الْمَدِّثِ

﴿مَدِّثٌ﴾ وَهُوَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا سُورَةُ آتَتْ عَلَى اتِّمَامِ
الْمَشْهَدِ الَّذِي ذَكَرْتَهُ السُّورَةُ الْآتِيَّةُ بِانْقِصَاءِ الْوَحْيِ مِيقَانَهُ مَا أَمَرَ أَنْ
يَكُونَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تَقَاءِ وَطَهَارَةِ فِي إِبْلَاغِهِ الرِّسَالَةَ
ذَا كَرًّا الْآخِرَةَ وَمَا يَلْقَاهُ الْكَافِرُونَ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي الْأَرْضِ
كَالْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ مِمَّنْ أَوْتِيَ الْمَالُ وَالْبَنِينَ « ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ » وَذَكَرَ
مِنْ قَوْلِهِ فِي الْقُرْآنِ وَالرَّسُولُ بَانَهُ بِهِ أَنَّ فِكْرَ فِيهِ وَسَمِعَ مِنْهُ « حَمِّ
السَّجْدَةِ » عَلَى مَارُوي قَالَ « إِنَّ هَذَا الْأَسْحَرُ يُؤْثِرُ * إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ
الْبَشَرِ » فَادْبَرَ عَنِ الْحَقِّ وَاسْتَكْبَرَ عَنْ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ
مَا بَدَرَتْ مِنْهُ بَادِرَةُ عَقْلِ وَخَيْرٍ بَيْنَ أَقْرَانِهِ بِشَنَائِهِ بِوصفِ الْقُرْآنِ وَصِفَا
يَنْفِي مَا قَالَهُ غَيْرُهُ مِنْ أَنَّهُ قَوْلُ مَجْنُونٍ أَوْ كَاهِنٍ أَوْ شَاعِرٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ
مَا سَيَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ عَذَابٍ لِعِنَادِهِ هَذَا عَلَى مَا أَوْتِيَهُ مِنْ عِلْمٍ وَنَظَرٍ وَسِيَادَةٍ
وَمَالٍ وَبَنِينَ ، وَذَكَرَ مِنْ شَهْدِ الْقِيَامَةِ مَا ذَكَرَ مَعَهُ مِنْ اخْلَاقِ الْكَافِرِينَ

ما يستحقون به العقوبة زجرهم وتذكرة واختتم السورة بقوله :
 • كلا انه [أبي القرآن] تذكرة * فمن شاء ذكره * وما يذكر
 الا أن يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة ، فهي سورة تمثل ايضاً
 موقف الرسول عليه السلام بما كان عليه في دعوته وما لقيه من صمود
 ويختص بالذكراً لاهل من احوال بعض القوم بما فيه تحريض على الايمان عظة
 ومن بعد المدر سورة القيامة .

﴿القيامة﴾ : سورة تؤكّد البعث بعد القسم بيوم الحق وندامة الانسان فيه
 قائلاً لا يحسب الانسان ان لن نجتمع عظامه ؟ * بلى قادرين على ان نسوي بنانه ،
 وهو اصغر جزء ظاهر في الانسان ولعل في تخصيصه لما امتازت به السلامات
 مما كان خافياً على الناس علمه يومئذ وعرف في زمننا الحاضر بان اكل
 امرئ في سلاماته تكويناً بخطوطها يتميز به حتى لا تجد لها في الناس
 مثيلاً ابداً ، لعل في ذلك ما توضح به روعة الآية فيما ذكرته ، كما
 ان في ذلك وجهاً من وجوه الاعجاز في القرآن بانطباقه على الحقائق
 العلمية تأتي بعد قرون ترد على لسان رجل امي في صحراء يقول هذا
 ما اوحى به الي فلا سبيل الى ان اعلمه من نفسي فيكون علمي غير
 لديني من عند الله كما يقوم بعض المعاصرين ولا سيما من الغربيين
 ومقلديهم ممن وقفوا على سيرة الرسول الاعظم فعرفوا لها روعتها
 وما فيها من حق وعز عليهم رغم ذلك الايمان استكباراً وتقليداً

لا بأهم أو من غفلة المبادي والنظرات المادية حتى عزوا ما أتى به رسول الله
 إلى عبقرية نابهة وما كان لها أن تأتي بمثل هذا الأمر وهو متوقف على دراسة
 لا إلى تأمل وعبقرية وكم في القرآن من مثل هذه الآيات ما تدفع به تلك الشبهة
 ثم ذكر من مشهد البعث ما ذكره وانه «نبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر»
 بكتابه الذي يعطاه مذكوره فيه جمع أعماله في دنياه فيعجل في قراءته
 فيقال له «لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرأناه [جمعناه لهذا
 اليوم وفي هذا اليوم نقرأه عليه محاسبين فلا تعجل به] فاذا قرأناه
 فانبع قرآنه * ثم ان علينا بيانه» (١٦-١٩) في هذه المحاسبة بما تستحق بنتيجته
 واتبع ذلك بما يناسب المقام مبينا ان هذه المجلة من طبيعة كان
 منها ان الناس يحبون الاله اجلة * ويذرون الآخرة » وذكر
 من شأنها ما ذكر مختما السورة بعد هذا بقوله : «أيحسب الإنسان ان
 يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يعني * ثم كان علقة فخلق فسوى *
 فجعل منه الزوجين الذكر والانثى * أليس ذلك بقادر على ان يحيي
 الموتى» فكان دليلا بينا على البعث وقدرة الله عليه وأنه مرحلة طبيعية
 بعد تلك المراحل التي مر بها الإنسان بها، وقيل فيما ذكرناه من الآيات الأنفة
 (١٦-١٩) بأنها خطاب الرسول بحمل معترضة استمدرك به القول تعليما
 له عند الوحي اذ كان يتمجمل تلاوة ما يوحى به اليه فقل له في ذلك
 ما قيل، ثم رجع القول الى سياقه بعد ما سرت هذه الآيات معترضة

لمناسبتها المعارضة من حال تلقي الرسول للوحي عليه تبييناً لحالة الوحي
وتصويراً لأوضاعه، فمناسبة هذه الايات تكون بهذا الاعتبار بدلالة
حالته عليه السلام آنئذ، وكم من الايات ما تعرف مناسبتها
بسبب وحيها؟ والظاهر ان التفسير الاول اظهر علاقة
بمناسبات الايات ووحدة غرضها فلا تكون
كالجملة المعارضة، وان كانت الجمل المعارضة من اساليب العربية،
تنسجم فيها المناسبة وتحلو الاشاره، وهكذا فان هذه الصورة
صرت بموقف من القيامة وبعثها وحسابها بما يطابق اسمها تمام الطابقة.
ومن بعد القيامة سورة الدهر.

❦ الدهر : سورة مستهلة بخطاب الانسان بقوله تعالى: «هل
أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؟» فكانت
الصلة بهذا وثقى مع ما اختتمت به السورة الالفه فيما ذكره تعالى
من مراحل تكوين الانسان مبينا بعد ذلك ما امتاز به الانسان في
خلقه «سميعاً بصيراً» مدر كاً ليعتلى باختباره فيجزى بمعله بمدان اوضاعنا
له سبيل الهداية «انا هدينه السبيل [فهو تراه] إما شاكراً وإما كفوراً»
وذ كراً ما يتصل بهتين الحالتين من ثوابه وعقابه وفصل القول ترغيباً
بنعيم الجنات ووصف ما أعد فيها تعالى للمتقين بأسبابه من ايمان وخلق وعمل
واتبع ذلك قائلًا: «ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً»

وأوضح أن السبيل الهداية بما نزل به تعالى القرآن تنزيلا وخاطب الرسول
 بالصبر عليه في تبليغه منذ كرا بما يجب عليه من تقرب إلى الله وختم السورة بما
 يصور الذين يحفون دعوته بأنهم «يحبون العاجلة» بخيراتهم ويذرون الآخرة،
 بوجائبها وأنه لو نساء تعالى (تبعيا للمدى قدرته وتحريضاً لعباده) لبدل أمثالهم
 بأنفسهم وخلق غيرهم قائلان هذه تذكرة، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً
 [بالإقبال عليه بما فيه صلاح الدنيا وجنة الآخرة] وما تشاؤون إلا
 أن يشاء الله، «اتباع أمره كما أمر، لا كما تزينون لأنفسكم مغترين
 بأهوائكم وسلطانكم، فإن مشيئتهم من فضله تعالى، وسلطانكم دون
 سلطانه» فسيبيل الهداية لكم بما أمر، تأخذون بوحيه وتنزيله، وقد
 ذكركم بقرآنه وأوضح لكم سبيل الاستقامة في الدنيا والنجاة في الآخرة
 «إن الله كان عليماً حكيماً» عليماً بما فيه صلاحكم وما أمركم وما تفعلون،
 حكيماً في عدله وحسابه فضلاً عما سلف من مشيئته وقد أوجب العدل وكتب
 على نفسه الرحمة، فهو لذلك «يدخل من يشاء في رحمته» [والحكمة صفته]
 والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً، ومن الحكمة أن يقيم فيهم عدله بعذابهم
 جزاء وفاقاً لما فرط منهم إذ جاءهم الذكر فافسدوا العمل بسوء
 تصرفهم وفساد مشيئتهم: وهذه السورة بموضوعها تتناول الإنسان
 في وجوده ومشيئته وعمله وحسابه وتذكرته، وموقف الإنسان
 الأكمل صلى الله عليه وسلم من أداء هذه التذكرة؛ ومن بعد الدهر

سورة المرسلات

 المرسلات سورة مستهله بقسم انتهى منه الى ما في التذكرة
 التي ختم بها السورة الآفة عذراً او نذراً والوعد واقع في مصير الآخرة
 وقد كان الاستهلال بقسم رائع من خلق الله وتصريفه بذكر
 طبقات من الملائكة تدل بصفاتها واعمالها على جليل حكمه
 وسلطانه حتى تفتح النفس للعظة ، ومر من ذلك الى مشهد من الآخرة
 ويوم الفصل في اعمال العباد التي ذكرها في السورة الآفة ، ورجع
 بالفتاة الى الماضين يوضح معنى الهلاك لينبه الانسان الى مكانه ممن
 سبق وختم ذلك زاجراً متوعداً « قائلان ويل يومئذ للمكذبين » ثم
 مر بالانسان في طور تكوينه ومر احله ليعرف قدر نفسه وحده ومكانته
 من خالقه وردد اللازمة الآفة « ويل يومئذ للمكذبين » ثم نبه الانسان
 الى مصيره في آخرته بعد تكذيبه للرسول وعذابه الشديد بما يبين
 ضعف الانسان الى جانب سلطان خالقه قائلان « فان كان لكم كيد فكيّدون »
 ومر من ذلك مرغبا بمصير المتقين وحسن جزائهم ، وعطف أخرى
 على المكذبين ووصفهم بتكذيبهم لرسولهم واجرامهم وعدم عبادتهم
 لربهم وختم السورة بانهم ان لم يؤمنوا بهذا القرآن الذي انزل
 اليهم تذكرة فبأي حديث بعده يؤمنون ، ففي مستهل هذه السورة
 قسمها وفي اللازمة التي اتت عليها اشابة بما سبق التنبيه اليه من سورتين

في معنى تلك الحلقات من معالم القرآن في تقابيع السور والانتقال من معنى الى آخر من مقاصد القرآن الاولى في مثل ما ذكرناه في سورة «الملك» ، وهي تجري بحسبها من الاساليب بين خطابية زاجرة كهذه ، أو يسانية هادئة او مفصلة أحكاماً الى آخر ما هنالك من اساليب القرآن تعليمياً وتذكيراً هدى للعالمين حتي يكونوا مؤمنين على اكمل حال في دنياهم آمنين يوم القيامة في جنات النعيم ومن بعد المرسلات سورة النبأ  النبأ: سورة تتسامل عن البعث الذي كان ينكره فريق كبير من العرب ويتساءلون مستهزئين: احق انهم يبعثون وآباءهم فاكدهم ذلك بدلالة القدرة التي تدل عليها آيات الله في خلقه في هذه الحياة بدقة نظامها قائلاً بعد ذلك : «ان يوم الفصل كان ميقاتاً» (١٧) ووصفه بما فيه ووصف الجنة واهلها والنار وعقابها مختماً السورة بقوله «ذلك اليوم الحق» فمن شاء اتخذ الى ربه ما بآ * إنا انذرناكم عذاباً قريباً * يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، ويقول الكافر ياليتني كنت راباً» فسورة النبأ تنبي عن الآخرة وتبرهن عليها بايات الله التي خلقها في هذه الحياة وتعطي صورة عن مواقفها ومصير المنكرين لها من الندامة ومن بعد النبأ سورة النازعات.

 : النازعات سورة مستهلة بقسم عظيم في الملائكة وما لها من صلة بالانسان في موته بقبض النازعات روحه وفي الحياة بما

تدبر من امر الله وفق نظامه وما تقيم من مقتضى حكمته وما قدره
وانتقل من ذلك الى ما يتصل بالموت وحياة الانسان وهو البعث مبينا انه
حق يسير امره مادامت فيه الكلمة لله ، وهكذا اتبع ذكر
الآخرة في السورة الاتفة بما يتصل بها ، ووقف عند البعث وقفة تشعر
الانسان بعظمة معتبرة إذ أتى على ذكر موسى عليه السلام وقصته
مع فرعون اذ قال فرعون بعد ان اراه موسى الآية الكبرى
«انا ربكم الاعلى» مستكبرا «فاخذ الله نكال الآخرة والاولى»
قائلا ان في ذلك لعبرة لمن يخشى «ربه وحسابه فلا يستكبر كما فعل
فرعون فاهلكه الله بسلطانه الذى يفوق كل سلطان ثم خاطب
بعد هذا التذكير جماعة المنكرين للبعث من العرب بقوله : «أأنتم أشد
خلقا أم السماء بناها» و«الارض بعد ذلك دحاها» و«ذكر من آياتهما ما ذكره
واختتم ذلك بقوله «فاذا جاءت الطامة الكبرى» و كان يوم
النشور فحينئذ يتذكر الانسان ما سعى ، فيثاب بحجيم اوجنة
واتبع هذا بما سئل الرسول عنه من يوم البعث قائلا بان الساعة
علمها عند الله الى ربك منتهاها * انما انت تنذر من يخشاها [وهي
قريبة منهم لا من حيث الزمن ولكن من حيث شعور الانسان بها
اذ يقضي حياة برزخية تنطوي بعد حياة قصيرة على الارض يكون

النشور على أرحمها حتما» كأنهم يوم يرونهم يلبثوا الاعشية اوضحاها،
 فهي سورة اتت مع ذكر الاخرة ببرهانها وعرض شيء من دلائلها
 بقصة من حياة الايمان والكفر فيها عبرة ميمنة مايكون في الاخرة
 من محاسبة فزادت عن السورة الانفة في اتجاهاها الى الانسان بعمله
 حين تتحدث عن القيامة، فالنظر اليها كان من خلال هذه النظرة و كان
 في تلك الحديث اقرب الى دعم نباء الاخرة وهكذا تجد (مع اتحاد الغرض)
 الفارق الذي تعددت السور من اجله على قرب المعاني ووحدة القصد
 من ذلك جميعا في غرض واحد من هداية الانسان دعوة الايمان
 ومن بعد المرسلات سورة عبس

﴿عَبَسَ﴾ سورة مستهلة بحديث رجل ممن اختتمت السورة
 الانفة بذكرهم ممن يخشى الاخرة التي يحذر الرسول من اهوالها، وهو
 رجل اعمى اسمه (ابن ام مكتوم) جاء الى الرسول عليه السلام قائلاً
 له: (علمني مما علمك الله) وكان الرسول مقبلاً على صناديد قريش يدعوم
 فكره الرسول ذلك منه، فعاتبه الله تعالى مبيناً له ان كان عليه ان يقبل
 على من اقبل عليه اذ جاءه وهو يخشى، اما من تجافى عن الدعوة فما
 عليك يا محمد ان تتصدى له وما عليك ألا يزكى، واشفع هذا العتاب
 الذي أريد تعليمه له ولمن يحمل الدعوة من بعده تذكرة فحسب، تبياناً
 لما اقتضته حكمة الله في وحيه وجسا به للناس بعد الاعذار بارسال

الرسول اليهم ، ثم اتبع ذلك بالتمريض بمن صد عن دعوة الله بذكر
الانسان وغروره في كفره وصدده عن ربه قائلا : « قتل الانسان
ما اكفره » ، وذكر من ضعفه انه في قبضة يد ربه في حياته وموته
وبعثه وما اعد له في الدنيا وما هو صائر اليه في الآخرة واختتم
السورة بذكر (المتقين) في وجوه يوم القيام « مسفرة ضاحكة
مستبشرة » و (الكافرين) في وجوه « عليها غبرة » ترهقها فترة * اولئك
هم الكفرة الفجرة » ، فهي سورة ذكرت الرسول عليه السلام خاصة
بمحدث اوردته وانتقلت الى اعم منه وهو الانسان بتذكيره ،
وانتهت من ذلك الى بعثه وحسابه على اعمال دنياه ، وفي التذكرة ايقاظ
لحسه ومشاهد تأملاته وعناية الله به ونظام خلقه وما اعد له من رزق في
طعامه وزراعته ، وبينت مصير الانسان في آخرته بين وجهين مسفر
ضاحك ، ومنغبر قاتم ، فهي سورة تذكرة . ومن بعد عبس سورة
التكوير .

﴿ ٦٠ ﴾ التكوير : سورة آتت مشاهد التذكرة بحديث القيامة
باسبابها وما يكون فيها وممهداً لها ، فذكرت من آياتها الاولى اولى
آيات الآخرة « اذا الشمس كورت » فاضطرب نظام الافلاك واقتراب
الوعد الحق وانتقل من هذه الروعة بزوال الدنيا الى اعمال الناس
والحساب عليها فخص من ذلك مساويء الظلم « واذا الموءودة سئلت »

ومحاسبة الانسان على عمله « علمت نفس ما أحضرت » ورجع كرة
 اخرى الى القسم بروائع الطبيعة لينتهي الى دعم الرسالة المحمدية بصدقها
 مبينا ان القرآن الذي جاءت به « ذكر للعالمين » فليس قول مجنون
 ولا شيطان رجيم « ان هو الا ذكر للعالمين » ينههم الى ما فيه خيرهم
 « لمن شاء منكم ان يستقيم * وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين »
 فهذا يتكلم بما يهديكم اليه لا بما تزعمون لانفسكم وانتم تتبعون هواكم
 فسيثكم بان تخضعوا المشيئة الله وتبعضوا ما امر به من الاستقامة ، فهي
 سورة تذكرة تهز الافئدة ومن بعد التكوين سورة الانقطار .

❦ اوفقطار : كالسورة السابقة استهلت بقسم وروعة

تذكر الانسان بمصيره وتدعوه الى الاستقامة التي انتهت اليها السورة
 الانفة بأسلوب يستلزم للهداية قلبه بقوله تعالى :
 « يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعداك *
 في اي صورة ماشاء » فلم يكن لك حول ولا طول بذلك
 وانت لا تملك نفسك وانما وهبت لك قدرة اسأت التصرف بها
 مغرورا تحسبها ملكا لك ، مبينا ان مبعث هذا الغرور تكذيب يوم
 الدين ومحاسبتهم فيه ، وهو يوم بين شأنه ختم به السورة بقوله « يوم
 لا تملك نفس لنفس شيئا ، والامر يومئذ لله » فوصفه بما يلائم ما خاطبت
 به الآيات الانفات الانسان في خلقه وقدرته ونسبته في ذلك الى ربه

فهي سورة تتمم السور الائمة بتذكرة الخوف والخشية بأسلوب
كاسلوبيها يستأين الافئدة، وكذلك شأن الموضوعات العامة في السور
المكية غالباً. تجري على خطاة من هذا البيان الرائع ومن بعد
الاتقار سورة المطففين.

المطففين: الذين اذا اكتوبروا على الناس يستوفون * واذا
كالوهم او وزنوهم يخنسرون ، فلا يوفون الحق لغيرهم ويتزيدون عند
استيفاء الحق لانفسهم، اعتداء واثرة، وهذا من امهات المفاسد التي تتم عن
اغترار الانسان الذي اوجزت القول فيه السورة الائمة وظلم فيما
رزق الله (مما اشارت اليه من قبلها سورة عبس) هذا الى تخويف وتحذير
بالويل والشمور من يوم النشور الذي يكذبون به وبحسابه وقد كانت
النفلة عنه بسبب من اعتداء الناس بعضهم على بعض * كلا! بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون، وهذا مدعاة حجابهم عن رحمة الله حتى يصيروا
الى جهنم وكانما وقف بهم موقفهم منها اذ يقال «هذا الذي كنتم به
تكذبون» واتبع ذكرهم بذكر المؤمنين الابرار منع شيء من النظر
والمقابلة ترغيباً بمصيرهم مختماً بالسورة بقوله «فاليوم الذين آمنوا من
الكفار يضحكون * على الابرار انك ينظرون * هل ثوب الكفار ما
كانوا يفعلون» فهو يوم ادني من افتدتهم بتصويره لهم كانما حان
موعده وتم المشهد بالتحدث عنه فجاءت «ثوب» بصيغة الماضي كان

المقبل حضراً وأوشك فهذه السورة سورة الانسان بعمله وحسابه عليه
ومن بعد المطففين سورة الانشقاق

❦ الانشقاق سورة مستهلة بذكر الآخرة كالسور الآتية
مرددة القول في عمل الانسان على الجملة بتذكير هاديء بعد ذاك الويل
في « المطففين » وما ورد في « الانفطار » و« عبس » اذ قيل فيها قتل
الانسان ما أكفره ، مما فيه صورة لتتابع القول على وجوه واساليب
في غاية واحدة تراعي احوال القول ومناسباته ومكائدها من النفوس فقد جاء
في هذه السورة بعد ذلك كله قوله تعالى : « يا ايها الانسان انك كادح
[بما يقدر للانسان جهده في حياته بمطف وتجب ورحمة وشفقة] الى
ربك كدحاً فلاقية ، فاحذر بعد هذا الجميد سوء المصير بأن تؤثني
كتابك وراء ظهرك فتدفع الى العذاب بديل ان تنقلب مسروراً الى
أهلك ، ثم اشفع ذلك مبيناً لعدم الاخذ بهذه النصيحة اذ « ظن [الانسان]
ان لن يحور » فلا يبعث فاكهه لهم ذلك بقسم بما فيه الدلالة على القدرة
على البعث وكر مستنكراً لعدم الايمان بعد هذا البرهان والقسم
قائلاً : « فالهم لا يؤمنون » بالقرآن كانه يستفسر عن سبب صيدودهم
لينبه الانظار الى العلة التي ذكرها مستدركاً القول فيها بقوله بل
الذين كفروا يكذبون » تكذيباً لبرهان له سيراً مع أهوائهم فبشرهم
بعذاب اليم ، لان الله « اعلم بما يوعون » من اعمال سيحاسبهم عليها

مستثنياً من العذاب «الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهو لأولهم» اجر غير ممنون ، في جنات عدن . فهذه السورة كالسورتين السابقتين «التكوير» و«الانفطار» من حيث روعة الاستهلال وتبيان مصير الانسان الى ربه وحسابه على عمله ومن بعد الانشقاق سورة البروج

﴿ البروج سورة مستهلة كالسور السابقات بذكر الآخرة ﴾
ثم تحدثت عن يحول دون إيمان المؤمنين فيفتنهم ويعذبهم كما فعل طاغية بأصحاب الاخدود إذ حفر لهم خنادق أحرقهم فيها ، فهو لأول سيحاسبهم الله بعملهم وهو شهيد عليهم ، «ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق» واتباع ذكر هؤلاء بما يناله المؤمنون الذين عملوا الصالحات ، مؤكداً ان المصير لله ، إنه هو بيدي ويهيد ، خلق الخلق ابتداء وسيحشرهم اليه في الآخرة فهو « فعال لما يريد » كما اهلك الماضين في الدنيا يهلك من شاء في الدنيا والآخرة وقد المع لذلك بفرعون وثمود فان يكذب بهذا الكافرون فان الله من ورأهم محيط ، لا يفتنون من سلطانه وقبضة يده ، وهذا ما ينذرهم به في قرآن مجيد « في لوح محفوظ » فيه الكلمة الالهية التي لا تبديل لها ولا بد من نفاذها ففي هذه السورة ذكر لمن يصد عن الايمان ويحول دونه بعد ان ذكر في السورة الآتية من لا يؤمن مكذبا بالآخرة ومن بعد البروج سورة الطارق .

الطارق : وكأهاتستهل قولاً جديداً تؤيده بالقسم في هذه
 السماوات المحفوظة بان الانسان بعمله محفوظ مثل ذلك «إن كل
 نفس لما عليها حافظ، وانه سيبعث ويحاسب والدليل على يسر ذلك ان ينظر
 «ممن خلق» فمن قدر ذلك واتبع في خلق الانسان هذه الاطوار
 التي اوجده عليها فانه «على رجهه لقادر» يوم تبلى السرائر «
 ويؤمنه» فما له من قوة ولا ناصر» ان كفروا أساء العمل في حياته ثم
 اتبع هذا بان الكافرين سيلقون مثل كيدهم بجزائهم وليس بعيداً
 ما يملكون حتى يروا ذلك، فهي سورة لا تناول البعث والحساب تؤيد
 مامر بالسورة الآفة بنطاق هادي يثير التأمل والانتباه ثم يملك
 زمام العاطفة حين يبين للانسان مدى قوته وحقيقة ضعفه ومصيره
 الى ربه ومن بعد الطارق سورة الأعلى

الأعلى : سورة مستهلة بما استوجبها استمدراك القول فيما
 اتت عليه السورة الآفة بقوله تعالى عن كفران الكافرين «إنهم
 يكيدون كيداً» وعن حسابهم عليه مما غفوا عنه رغم انذارهم به «واكيد
 كيداً» بان قال في أول آية من هذه السورة «سبح اسم ربك
 الأعلى» واتبعها بان الكيد للانسان في عقابه انما هو لافاة العدالة فقط
 ذلك لانه تعالى خلق الانسان فسواه وقدر الامور وهداه الى خيرها
 بما دعاه اليه، ولكن من الفطرة ان يزكو المرعي ثم يندني
 فيصبح غناه أحوى كالانسان فانه بعد نمائه وتقمعه بموهبة العقل والنظر

ونعمة القدرة والارادة يصعد عن الهدى ويجفوه فيمتدنى حاله ويسوء مآله
 ويجزى معاقباً بمعله الى هذا المصير بعد ازدهار حياته وهو الكيد
 الذي يلقاه من غفلته واغتراره واسه كباره مما اتت السور الانفات
 على ذكره معطلة كمرانه، وهكذا مررت السورة بالتسييح في استهلالها
 الى روءى تكشف عن معاني للخلق فيها دلالة على الخالق وهداياته
 الى النفاة بخطاب الرسول فيما أوحى الله به اليه ، وتعهد بحفظ الوحي
 بما فيه العصمة حتى يبلغ الرسالة غير محرفة وذلك من فضل الله وتنزيهه
 سبحانه وهو يعلم الجهر وما يخفى ، فربط بذلك بين التعليم وتثبيت
 الوحي وبين اوامره والحساب عليهم اثم اثم الخطاب للرسول مبيناً
 ما هداه اليه بما يوجب تسييحه تعالى وهو يلاثم الكمال في خلقه من
 وحي القرآن المنزل عليه قائلاً : « ويسرك للسرى ، ولعل هذا
 ادق ما توصف به الهداية الالهية للخلق وما يوصف القرآن به وقد
 اريد لخير الناس ويسرهم واحسان عملهم وحسن مصيرهم ، وهذا ما يجب
 ان تذكر به في رسالتك التي تبليها يا محمد » فذكر ان نعمت الذكرى ،
 حسب مقتضى المقام واحواله ومن تلقاها ، فذكر ما وجدت في
 التذكير فائدة ترجي ، وان للتذكير حقاً فائدة ، فانه « سيذكر من
 يخشى * ويتجنبها الا شق ، وبين السبب في ذلك بعد تبيين الجزاء
 بقوله : « بل تؤثرون الحياة الدنيا * [رغم أنه] والآخرة خير وابقى ،

كما اوحينا ذلك في «صحف ابراهيم وموسى» فهذه الحقائق الدينية ثابتة في شرائع الله وقد اوحى بها من قبل في «صحف ابراهيم وموسى» لياخذ العالم بها ولا سيما العرب منهم وهم الامة الاثمية فيكونوا آخذين بعلم اهل الكتاب الذين كانوا يرون لهم عليهم فضل العلم، وبذلك كانت المناسبة دقيقة بين المطلع «سنقرؤك» [يا محمد] وانت الامي في البلد الامي فلا تنسى، وتتعلم وقومك ما كان يعلمه اهل الكتاب في «صحف ابراهيم وموسى» بما في ذلك من هداية ذكر بها وادع اليها وانت تعرف نعمة الله وحسن خلقه ودقة نظامه فهي بخطابها دعوة للرسول ومنة بما يعرف العرب من الهداية فضله، ومن بعد الأعلى سورة الفاشية

 الفاشية هو ما يكون من حال الناس يوم القيامة «وجوه يومئذ خاشعة» * عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية، و «وجوه يومئذ ناعمة لسمعها راضية» بين نعيم خالد وعذاب مقيم اليم، وفي هذا المشهد الاول من هذه السورة وهي ثلاث مشاهد، حتى اذا انتهت من ذلك في وصف الآخرة التفت - (وكانه فجأة) - مبيناً ما فيه زجر عن الغفلة عن آيات الله التي توجب الايمان بالله ماثلة في هذه السماوات والارض وفي هذا المشهد الثاني - مشهد التأمل - الذي اريد للنظر بمعرفة الحقائق وإدراك الخالق والمصير اليه لتحسن بذلك عاقبة الانسان فيكون مع اهل الجنان ممن تحدث

عنهم المشهد الاول بديل اهل الجحيم ممن نفر من حالهم وصورهم بعد آيهم
 آنفاً ايضاً، ولذلك انتقل الى المشهد الثالث الاخير قائلاً للرسول
 الاعظم فذكر بمثل هذا التنبيه والمصير «إنا أنت مذكر» وحسبك
 ذلك دون ان تذكره الناس على الاسلام فانت «لست عليهم عسيطر»
 اللهم «إلا من تولى» وكفر * فيعذب الله العذاب الاكبر «، وهذا
 ما يكون بالاهلاك في الدنيا بمثل حربهم والجهاد فيهم واستئصال
 شأفهم او بامهالهم حتي يكون الحساب وحينئذ تغشاهم غاشية من عذاب
 ربك مما ذكر في مطلع هذه السورة، وختم ذلك قائلاً : «إن اليأس
 إياهم» * ثم ان علينا حسابهم، فهي سورة تذكرة للانسان وحسابه
 وما يهديه من الايات الطبيعية والرسالة المنزلة لتحسن خاتمة بالاياب
 الى ربه ليكون من اهل النعيم ومن بعد الغاشية سورة الفجر .

﴿الفجر﴾ : سورة استهلها بقسم انتهى منه الى ذكر من اهلكهم
 تعالى ممن «طفوا في البلاد» فاكثروا فيها الفساد * فصب عليهم
 ربك سوط عذاب «قائلاً بئس هذا» : «ان ربك
 لبالمرصاد، يجزيك لا بعمله، واتبع هذا بما يكون من الانسان بطعمه
 وحبه للمال وما يصده عن الهدى من خير زائل يحاسب عليه ومن دونه
 جهنم» «يومئذ يتذكر الانسان واني له الذكري» أن تأتيه حينئذ
 بنفع، وقد فات وقت العمل في الحياة الدنيا حتي «يقول، يا ليتني قدمت

لحياتي، هذه الحياة الخالدة في الآخرة فيعذب أشد العذاب بينما يقال للمطمئن
 لعمله الصالح منذ الوفاة «يأتيها النفس المطمئنة» * ارجعي الى ربك راضية
 مرضية * فادخلي في عبادي وادخلي جنتي . . فهي سورة تذكرة استهات
 بروعة القسم وعرضت صوراً من احوال الماضين ملهمة الى اسباب هلاكهم
 ثم ارتفعت درجة الى تعميم القول في طبيعة الانسان وحواله النفسية
 والخلقية على ضوء رزقه وحرمانه لتذكرك من ذلك بواجبه، ثم ارتقى القول
 درجة ثانية الى مشهد من الآخرة، توضيحاً لمسير الانسان فيعمل حياته
 الخالدة ما يطمئن به بمَرْضاة ربه، فكانها سورة تذكرة ترجع بالمرء
 الى فجر من الحياة ليكون له من بعدها الحياة الخالدة المطمئنة ومن
 بعد الفجر سورة البلد .

البلد : سورة مستهلة بالقسم به وهو البلد الحرام بان الانسان
 في مشقة وجهد في دنياه وما سيقاه في آخره ومع ذلك فهو مغتر
 بنفسه . وماله كائنًا «يحسب ان لن يقدر عليه احد» ولا يراه في عمله احد،
 مع اننا نحن الذين خلقناه ولم يخلق نفسه وهديناه الطريق، وبيننا له الخير
 من الشر، «لم تجعل له عينين» * ولسانا وشفقين * وهديناه النجدين، ولكن
 لم يقابل ذلك بما يستحق من الشكر فيقتحم من نفسه عقوبتها بتحرير
 العباد وانقاذهم من الرق واطعام الفقراء في ايام شدتهم وصلة الايتام
 من ذوي القربى او من الفقراء الذين لا يعملون شيئاً، هذا بعد

ان يتحلى بالايمان واخلاقه بالصبر والمرحمة مما يجعلهم اهل الميمنة
يستحقون الجنة بينما الذين كفروا بذلك من آياتنا فاولئك هم :
« اصحاب المشأمة » عليهم نار مؤصدة، ففي هذه السورة كالسابقة روعة
الاستهلال بقسمه حتى تفتح ابواب النفس المؤصدة فتذكر من الاتفاق
والبذل ماوجب بعد ما سلف بالسورة السابقة ذكر قيمة المال في نفس الانسان
وتنبهه الى حالته من الاغترار والجهالة لقرده الى خالقه الذي هداه
فيتخلق باكرم الاخلاق، فهي بعد التذكير بالسورة الآتية سورة
ايمان وبذل ورجولة تقفهم العقبة ومن بعد البلد سورة الشمس .

☞ الشمس : سورة مستهلة بقسم تتابع آياتها منتهية الى قوله في
الانسان بعد ذكر ما ذكره من خلقه في الكائنات « ونفس وما سواها »
فكان بذلك ادق مدخل لما سيق الى هذه السورة في ايضاح هذا المعنى
الذي صرت به السورة الآتية بقوله تعالى عن الانسان « وهديناه
النجدين » فقال بشأن النفس « فألهمها فجورها وتقواها » وذكر الحالين
بقوله « قد افلح من زكاها » وقد خاب من دساها « واتبع ذلك عجلا
جريا مع هذا الاسلوب الخطابي الموجز يمثل لمن دساها فخاب وهلك
بذنبه هلا كالا يكثر الله بمغيبته دلالة على ان السلطان له وحده اذ قال
« قد مدم عليهم » اي على قوم عمود الذين ذكرهم بالهلاك « ربهم بذنبهم فسواها »
ولا يخاف عقباها، فهي بعد التذكير سورة اذار تخاطب الانسان

عما يخشى مغيبته من الهلكة ومن بعد الشمس سورة الليل .

الليل : سورة استهلكت كالسورة السابقة بالقسم بروائع المخلوقات ومظاهر الآيات لتمزق قلوب بني الانسان بالعظة قائلة : **هـ ان سعيكم لشتى** ، مبينة ما فيه النجاء بالتقوى والايمان والبذل وان الانسان في ذلك ميسر ليسرى التي فيها نجاحه وراحته وسعادته ، وذكرت مقابل ذلك ما ثم من عقاب اشفعه على لسان الرسول بانذارا ذريته الى دعوى ما فيه السعادة ، وختمت القول بالبذل ابتغاء وجه الله ذاكرة بان المرء يجزى عما يحقق رضاه ولسوف يرضى ، فهي سورة من بعد السور الآتية توجز مرامها من ايمان وهداية وبذل واتباع لما انذر به الرسول الاعظم ، وهي مثلها خطابية بأسلوبها وكذلك معظم السور المكية اذ كانت تتجه الى التذكير العامة وتدعم اصول الايمان بنظرات التأمل وآيات تدل على آيات الله او تبعث من اخبار الماضين صور العبر فمعظمها لذلك بين تاريخي وخلقى وفلسفي ومن بعد الليل سورة الضحى .

الضحى : سورة استهلت بقسم بمظاهر الطبيعة الرائعة كالسور الاثنية ، والقسم فيها متسلسل في زمرة تريك من اسماء السور زمراً ، والتسم فيها توطئة كانه الاطار الفني الذى يفتح البصيرة على مشهد يملك الانفس بروعة لغته لتستجيب للدعوة الهادية ، والمناسبة في

ذلك وثقى بين القسم وبين الغرض الذي تأتى عليه السورة، وهنا
 في سورة الضحى ترى النور بإشراقه والحياة بوضوحها والحقائق
 بجلائها فتعبر من ذلك الى حالة الرسول الاعظم من الوحي اذ
 جاءه وتكشف عن بهاء الضحاء في سبب النزول
 اذ انقطع الوحي في بداءته عن الرسول عليه السلام ليتمكن منه
 ويتشوق اليه، فقال المداد المنكرون لرسالته، (جفاه ربه) فجاءت هذه
 السورة من ذاك الضحاء ترد الفرية وقابلت الضحاء بالليل «اذا سجدى» في
 هدوء خاشع بالاية الثانية، فاذا الليل باجمل ما فيه والنهار بأروع صفاته
 يدور بمعنى الزمن دورة الوحي وانقطاعه ليتجه الى الرسول عليه السلام
 بما يزيل قلبه ويطمئن خاطره وقد اقلقه شوقه وقول المداد الجفاه، جاءت هذه
 السورة خطا بآبائنا هم الله به عليه لتكون النفس مطمئنة (وقد كان «الفجر»
 حديث النفس مطمئنة) بعد ما سبقت له ور الاثقة في خطابها لقومه ومعاديه
 منذرة محذرة، وقد دعت الرسول عليه السلام الى حسن المعاملة والانفاق
 ليستقر على نهجه بكلماته التي امكن الله بها عليه فانابه بان آواه في بيته،
 واغناه بعد فقره، وهداه الى شريعته، فكانت هذه السورة متممة
 ما يناسب سياق السور الاثقة خطابا للرسول بعد خطاب قومه، ولكن
 بلغه غير لغة الانذار، بما يحرض الهمم ويناسب ما فيه المشوبة وابتغاء وجه الله
 من ممن فيها الرضاء والارضاء مما اختتمت به السورة الاثقة وذلك بذكر

أما متان ينطوي على وعد بمثله وزيادة يتصل بما استدعى نزول هذه السورة بسببها من انقطاع الوحي حتى سري عنه ربه بقوله : « ما ودعك ربك وما قلى » ، وردياً كان نزول هذا في الفترة الذي سئل بها الرسول عن الروح وما الى ذلك مما أتت عليه «سورة الكهف» ، وفي هذه السورة ما يكشف عن منزله الربوبية ومكانة الرسول البشرية منها في نعمة ومنة ودعوة وتوجيه وهداية ومن بعد الضحى سورة الانشراح

❖ الانشراح : سورة موجهة للرسول أيضاً فيها متان ووعد باليسر من بعد العسر ودعوة له ان يظل مجتهداً في عبادته لربه رغبة به ومن بعد الانشراح سورة التين

❖ التين : سورة استهلت بقسم بالتين والزيتون والقسم في القرآن فيه تنبيه وتنويه بمظمة الله خالق هذا الذي يقسم به الى جانب التنويه بشأن ما يقسم به وهو يأتلف في المناسبة مع ما يوطأ به اليه ، ولذلك اخذ المفسرون بالبحث عن فوائد التين والزيتون ، وكادت تقوت بذلك المناسبة مع ما يتلوها من تمام القسم وطورسينين ، وهو كان حرباً ان يؤخذ من هذه الآية بمناسبتها لما كان يناسب ذكر الطور وهو من امكنة الوحي لمعرفة التين والزيتون معرفة اسمي مكان مقدسين بالوحي ، وهذا ما تنبه له بعض المفسرين (*)

(*) وقد ذكر طرفاً من ذلك القاري والمجاهر الروسي نزيل دمشق بعد الثورة البلشفية الشيخ محمد فريد العباسي في تفسيره بالتركية اطلعني على النموذج =

وطاد بعد القسم الى ما قد صر به في السور الاثنية قبل «الضحى» من تذكرة
 الانسان قائلاً: «خلقنا الانسان في احسن تقويم» ثم ردناه اسفل سافلين
 لنكذبه بالدين «الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» متسائلاً بما فيه ختام السورة
 «أليس الله بأحكم الحاكمين» سؤالاً فيه تقرير، فبين في ذلك الدعوة بعنوان من
 القول لا إفاضة فيه بما يلائم اسلوب الخطاب في بدء الدعوة خطوة خطوة
 ويتفق مع هذه السورة الموجزة، ومن بعد التين سورة العلق

العلق سورة مستهلة بما يلائم سياق السور الاثنية من دعوته الانسان
 الذي أحسن الله خلقه الى الدين وهدايته ليجزى بعمله وخطاب الرسول
 عليه السلام في مثل ذلك في سورتي «الضحى» و«الانشراح» فهي
 سورة تخاطب الرسول قائلة «واقراً باسم ربك الذي خلق» خلق الانسان
 من علق، ثممة الوحي والامر به، وتبيان صلته بالله، وصلة الله بخلقه،
 وقد امتن سبحانه بما يميز الانسان من التعليم، باعتبار مناسبته للهداية

= له عربية وكان يعمل على تعريبه فقال بانه مكان مقدس في ديارهم ذكره
 في تفسيره وهو علامة يتبع الآثار العالمية والاكتشافات العصرية ويوفق بين
 ذلك ادق التوفيق وبين ما ورد في القرآن، وما كان يظن لمثله (عربية وفقراً
 في غربته وصبراً على فقره) ان ينقطع لهذا التتبع حتى كان لا يرى امام صندوق
 صغير لبيع العطورات يتجربه الاقارب الا لكاتب او ممسك بقلم اشتراها بما امسك
 به عن طعامه على شدة فقره، وكان اجداده كما قال من وفود العباسيين الى
 روسيا فهو عربي الارومة، وله في دياره شجرة النسب العربي.

لب لبابه ، اذ علم الانسان ما لم يعلم ، ولكن الانسان رغم ذلك
 ليظفى حين تفيض عليه النعم فيستغنى بها ناسيا ان مرجعه كما خلق الى
 ربه ، ثم خص من بني الانسان الطغاة ابا جهل اذ جهل بقوله : (لو زأيت
 محمدا ساجدا لوطأت عنقه) ، ليحول دون تقربه عليه السلام من ربه
 فحماه الله منه ، كما نالايكفي ابا جهل بعده وصدوره ، وختم السورة
 بانذاره بعقاب اليم يذله لا يملك معه حولا ولا طولا ، ميمنا ان على الرسول
 ان يعبد ربه بخشيته ساجدا اليه متقربا منه ، ففي هذه السورة تصوير
 لما كان الرسول عليه في بدء دعوته وما لقيه من قومه ، وما كان يدعو
 اليه موجها النفوس الى معنى الخلق ، وما تميز الانسان به ، وما فيه
 سعادته وهدايته ، بصلمته بربه وتقربه منه ، وان مستهل هذه السورة
 بآياتها الخمس هو اول ما نزل على الرسول عليه السلام من الوحي على اصح
 الاقوال اذ كان متحنثا يتعبد ربه منفردا في غار حراء . ومن بعد

العلق سورة القدر .

سورة القدر : تناسب الوحي وما انزل فيه وما انتهت
 السورة الا نفة اليه بذكر ليلة القدر بفضائلها المستهيلة بان نزل
 القرآن فيها وذلك لاول مرة ، وقيل هي الليلة التي نزل فيها القرآن الى
 سماء الدنيا اولا ثم تقابعت آياته حسب الظروف الداعية نجما ، وقيل
 نزل القرآن بها ذا كرا لها منوها بقدرها ، فهي ليلة تجل واقترب من الله وهي

على جميع الوجوه ظاهرة المناسبة للسورة الانفة، ووحدة الموضوع فيها وفي امثالها من قصار السور خاصة واضحة، بينة ومن بعد القدر سورة البينة.

البينة: سورة ابانت ان الوحي بصحف مطهرة فيها بينة للكافرين والمشركين، ذاكرة بعد ذلك من حالها واصرارها - بعد قيام البينة ومجافاتهما الدين الاقوم - ما يعاقبون عليه بينما يثاب الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم خير البرية، بمجنات ورضوان خصها الله لمن خشى ربه، فكان الوصف بذلك متما للمعاني التي صرت بالسورة الانفة مؤيدا لها وقد دعت للعبادة والصلاة ولا سيما سورة الملق، وفي ذلك من وضوح التلازم بين السور واتمام معاني بعضها بعضها على نسق يجري الى غاية بينة من الهداية وينسجم في وحدة من المقاصد ومن بعد البينة سورة الزلزال.

الزلزال: تذكر يوم الاخرة وبعثه وماوراءه من جزاء دفن يعمل مثقال ذرة خيرا يره* ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، فهي سورة تسمت بالزلزال وهو ابرز مظهر من مظاهر القيامة التي تحذر منها باعتبارها دار الجزاء على العمل ولكنها في موضوعها سورة العمل، وهكذا تجدد المناسبات بين التسمية وموضوع السورة ومن بعد الزلزال سورة العاديات.

العاديات : استهلت بقسم مجهد الانسان الجاهد في دنياه بروعة ثلاثم
ما تريد تفتح الاذهان له من ذلك ، فهي خيل تمديو في مواقف القتال
منذ الصباح تمهد لهذا الجهد الجاهد وتعر من ذلك الى سمي
الانسان وتناجيه وقد اوضحت من ذلك ان الانسان كفور بنعم ربه مفرط في
حبه الخير لنفسه كأنه لا يعلم ان البعث من ورائه يحاسب فيه حتى على
طويته التي لا تخفى على ربه ، كأنما تنبيه الانسان الى ثمرة سعيه وكده
بعد ان دعت السورة الاتفة الى العمل موزونا بذرة ومن بعد الزلزال
سورة القارعة .

الفارعة : تتحدث عن بعث الانسان وحسابه ومصيره الى
عيشة راضية او نار حامية تبين مفصل الجزاء بين تيجتين بعد ان مهدت
السورة الاتفة لذلك ومن بعد القارعة سورة التكاثر .

التكاثر : سورة ذكرت ما يلهي الانسان من ربه ويعلم
حياته فيشمله حتى يفاجأ بحسابه عما تنعم به في دنياه فيرى الجحيم من
دونه حقا يقينا عينا مشاهدة ، فهي سورة توضح علة الغفلة في الانسان
التي توجب هلاكته ، وهي بذلك تتم مقاصد السور الاتفة بتسلسل
وانسجام ومن بعدها سورة العصر .

العصر : سورة تذكر الانسان انه في خسر "إلا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر" فهي عنوان

حياة الانسان وما يلقاه في دنياه وآخرته ليحذر ما يخشاه من خسر
وهلاكه فيعمل صالحا متحليا باخلاقه صابرا داعيامةضامنامتواصيياالحق
والصبر لتكون له النجاة وحسن الخاتمة ، ومن بعد العصر سورة الهمة .

﴿الهمة﴾ : أتت على فئة من الناس من ذوي الخسر - (الذين
ذكرتهم السورة الآتية) - وهم الطعانون الهازئون المغترون بوفرة
مالهم ذاكر أعقابهم وقد نزلت بسببها الخاص في (الاخنس بن شريق)
وقيل في (الوايد بن المغيرة) لما كانا يأتياه من هزؤا بالرسول (ص) ودعوته
فيغتابانه ليمدعن سبيل الله وذلك من الخسران الذي صرت به سورة العصر
مثل الويل والشبور ومن بعد الهمة سورة الفيل .

﴿الفيل﴾ : سورة هلاك ذكرت قصة « ابرهة » اذ جاء يريد هدم الكعبة
فأفناه الله وجيشه ، وفي هذا تأييد للانذار الذي انطوت عليه السورة الآتية
وجاءت ببرهان من التاريخ العربي فيما تنذر به امثال من صرت بهم
عنه السورة الآتية ، ومن بعدها سورة قریش

﴿قریش﴾ : قریش من العرب عشيرة الرسول نفسه ، وقد عادت هذه السورة كرة
ثانية للتذكرة فخصتهم بذلك نعم الله فيهم داعية لعبادته بعد التهيب
الذي أتت على ذكره السورة الآتية ، ومن بعدها سورة الماعون
﴿الماعون﴾ : سورة ذكرت أخلاق الكافرين المكذبين بالدين
المنافقين الذين لا يعبدون الله بحقه أولئك ألهاهم التكاثر فبخلوا وهؤلاء

تظاهروا بالعبادة فأَسَؤاَ امرأتين وهم في حقيقة اخلاقهم بخلاء كَأَوائِكَ
 حتى ليمنعون الماعون من العارية وقضاء حاجة الجار ، وفي ذلك تصوير
 يتمم مراحل التذكير والتعذير مما صرحت به السور الآتية على ضوء
 الاخلاق العربية التي تحب الصراحة والكرم. ومن بعد الماعون
 سورة الكوثر

الكوثر : سورة تذكر نعم الله على رسوله الاعظم حتى
 الجنة في معرض الرد على من قال - (بعد وفاة ابنه ابراهيم) - بان الرسول
 ابتر سينتهي شأنه بانتهاء حياته ، وفيها من اخلاق الرسول عليه السلام
 ما فيها بدعوة الى الاستمرار على البذل فينحر خيار المال عند العرب (البذل)
 ويطعمها للمحاربين خلافاً لمن يدعم طراداً لهم وينزع الماعون عنهم ،
 فهي بهذا تقابل السورة الآتية بعود الى الرسول عليه السلام
 وما تميز به من خلق رفيع ومأمون الله به عليه جزاء في
 الدنيا قبل الآخرة تؤكد الفضله وتعظيما. والكافرون ، تأتي به
 هذه السورة

الكافرون : سورة باسم هذه النعمة ترد عليهم طلبهم من الرسول
 ان يعبد لهم سنة فيعبدوا معه خالقهم - الله - سنة اخرى من نوع المماكسة
 في العبادة والمقايسة فيها ، مما يدل على سوء فهمهم لها ، فهي رد على
 سوء العمل الذي يحذر الرسول عليه السلام منه ، ومن بعدها النصر

النصر: سورة وعد بفتح مكة بلد الوثنية التي الزمت
 الرسول عليه السلام بالحجرة منها هو وصحبه لفرط ما آذتهم وحالت
 دون دعوتهم لدينهم واقامتهم لشمازهم، هذا الى مقابلة الفتح بما يستحق من
 تسبيح الله واستغفاره والابابة اليه ، وذلك من الاخلاق المؤمنة التي
 تقابل حال الكافرين بمصيرهم من القهر في الدنيا قبل الآخرة توكيدا
 لنعم الله على رسوله التي مرت بها الكوثر، ومن بعد النصر
 سورة اللهب

اللهب: سورة تذكر أبا لهب وزوجه بموقفهما من الرسول
 عليه السلام في دعوته إذ قال للرسول: (تبألك! لهذا دعوتنا؟) بعد أن
 اجتمع لدعوة الرسول ذووا قرابة قيسا ما بأمر ربه بقوله ته الى
 دوا نذر عشيرتك الاقربين، فكان الرد على ابي لهب بما سيلقاه في الآخرة
 وهو انموذج للكافرين الذين سيغلبون بالنصر مما مهدت له السورتان
 الآتقتان ، ومن بعدها سورة الاخلاص

الافهم: اتت على توحيد الله جوابا لما سألت قريش
 الرسول عنه اذ سألت عن ربه ووصفه ونسبه . فهي سورة العقيدة من
 الدعوة التي دعا الرسول اليها. ومن بعد الاخلاص المعوذتان

المعوذتان: من شر ما خلق وما ياتيه الناس من شر وحسد
 وما ياتيه شيطان الانس والجن من وسوسة تدعو الى ضلال ، فهي

سورتان تعلمان الرسول ومن ورائه قومه الاستعاذة من الشر وأهله ومأم
 عليه في هذه الحياة اعلانا لقيه الرسول وصحبه وما يلقاه الاتباع حين
 يدعون للحق دعوة الاخلاص ، ولا أمر ما كانت خاتمة القرآن
 المودتان ، وكانت تستفتح التلاوة للسور بل ولجميع القرآن بالاستعاذة
 «فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» ففي ذلك تصل
 البدء بالجماعة من القرآن ومحيط الدعوة دعوة الحق والهدى من
 الشيطان ومكائده وضلالاته هو ومن على خطته من اهل الشر حياطة
 الاستعاذة بما يظهر الانفس من ارجاسها .

هذه موضوعات السور موجزة توضح مناسباتها آياتها ووحدة الموضوعات
 فيها ، ولو جردنا النظر عن نظراته الهادية لنرى الموضوعات على ضوء
 البحوث بنظرة علمية عقلية صرفة بغض النظر عن اسباب النزول ،
 واسلوب الخطاب ومن توجه القول اليه ، فاننا حين ذاك نجد مجالا
 لتصنيف آخر كالذي رآه بعض المستشرقين في تصنيف اغراض القرآن فاورد
 البحوث الفلسفية بالمعتقدات فالاجتماعية باقاصيص الانبياء فالاقتصادية
 وهلم جرا ، وقد غفل عن تلك المعاني الانسانية الهادية والاسباب الداعية
 من قد حسب ان وراء ترتيب السور والآيات ترتيبا ، ووراء التوقيف
 بما علم الرسول عليه السلام كتاب وحيه توفيقا ، فاللهم علمنا القرآن
 وزدنا بصيرة واجعلنا لمتعقبي اماماء والحمد لله رب العالمين .

ابن شهيد ميسلون الخطيب

٦	الفاتحة	١١٤	العنكبوت	١٧٨	الحديد	٢١٣	الطارق
١٢	البقرة	١١٧	الروم	١٨١	المجادلة	٢١٤	الاعلى
١٧	آل عمران	١١٩	لقمان	١٨٣	الحشر	٢١٥	الغاشية
٢٠	النساء	١٢١	السجدة	١٨٤	المتحفة	٢١٦	الفجر
٢٢	المائدة	١٢٣	الاحزاب	١٨٥	الصف	٢١٧	الد
٢٥	الانعام	١٢٧	سبا	١٨٦	الجمعة	٢١٨	الشمس
٣١	الاعراف	١٣٠	الفاطر	١٨٧	المنافقون	٢١٩	الليل
٣٦	الانفال	١٣٢	يس	١٨٨	التغابن	٢٢٠	الضحى
٤٠	التوبة	١٣٦	الصافات	١٩٠	الطلاق	٢٢٠	الانشراح
٤٣	يونس	١٣٨	ص	١٩١	التحريم	٢٢١	التين
٤٨	هود	١٤٠	الزمر	١٩٣	الملك	٢٢٢	العلق
٥٢	يوسف	١٤٧	المؤمن	١٩٤	القلم	٢٢٣	القدر
٥٤	الرعد	١٥٠	فصلت	١٩٥	الحاقة	٢٢٤	البيشة
٥٥	ابراهيم	١٥٢	الشورى	١٩٦	المعارج	٢٢٥	الزلزال
٥٨	الحجر	١٥٤	الزخرف	١٩٧	نوح	٢٢٥	العاديات
٦١	الزحل	١٥٨	الدخان	»	الجن	٢٢٦	القارعة
٧٢	الاسراء	١٥٩	الجاثية	١٩٨	المزمل	»	التكاثر
٨٣	الكهف	١٦١	الاحقاف	١٩٩	المرثر	»	العصر
٨٧	مريم	١٦٢	محمد	٢٠٠	القيامة	٢٢٦	الهمزة
٩٠	طه *	١٦٥	الفتح	٢٠٢	الدهر	٢٢٧	الفيل
٩٢	الانبياء	١٦٧	الحجرات	٢٠٤	المرسلات	»	قريش
٩٤	الحج	١٦٨	ق	٢٠٥	عم	»	الماعون
٩٨	المؤمنون	١٧١	الذاريات	٢٠٥	والنازعات	٢٢٧	الكور
١٠١	النور	١٧٢	الطور	٢٠٧	عبس	٢٢٨	الكافرون
١٠٦	الفرقان	١٧٣	المنجم	٢٠٨	التكوير	٢٢٨	النصر
١٠٨	الشعراء	١٧٥	القمر	٢٠٩	الانفطار	٢٢٩	تبت
١١٠	النمل	١٧٧	الرحمن	٢١٠	المطففين	»	الاخلاص
١١٢	القصص	١٧٨	الواقعه	٢١١	الانشقاق	»	الفلق

* وردت خطأ (طه)

Princeton University Library



32101 095933014

